العدد (٥٠٧) شعبان ١٤٣٣هـ / يونيو-يوليو ٢٠١٢م

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

ثقافة الحوار أم ثقافة الصراع

- مدرسة يوسف بن تاشفين.. معقل العلماء
- من أجل خطة للتعريف بالإسلام
- غربة الحجاب في تونس

مجلة

الوعي الإسلامي

تهديكم جديد إصداراتها

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ الكويت هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
البريد الالكتروني: manager@alwaei.com - info@alwaei.com

الافتتاحية

الائتلاف والاختلاف

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

الله سبحانه أمر بالاجتماع والائتلاف، ونهى عن الفرقة والاختلاف، والخلاف بين الناس سنة كونية، وحكمة ربانية، قال تعالى: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ...﴾(هود: ١١٨-١١٩)، والتأليف بين الأمة والسعي في اجتماعها وإجماعها على الحق، من أعظم الأمور، وقد رُسم لنا الطريقُ المبين، في كتاب رب العالمين، بقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾(آل عمران: ١٠٣).

والتمسك بحبل الله المتين، والاجتماع على ما فيه من الصلاح والائتلاف والدين، والبعد عن الشقاق والاختلاف، وتحقيق مصالح الأمور، والعمل على سلامة الصدور، فيه سعادة الدارين، فإن الله عقد بيننا أخوة الإيمان، وجعل بعضنا لبعض كالبنيان، وشرع لنا التشاور والتناصر بالبيان.

وهذه التعاليم القويمة، والإرشادات الحكيمة، والنصائح العظيمة، أرشد بها الرسول ﷺ أمته في خطبة الوداع، ووصفهم بأنهم إخوة متراحمون متحابون، ولم يشهد تاريخٌ مثلَ مؤاخاة المهاجرين والأنصار.. فلم يكن تجمُّعهم وتعاونهم من خلال قمع ولا إجبار، وهو المثال الحي على ما يمكن أن يصل إليه التآخي والتآزر في دنيا الناس، ومدى القدرة على أن تتمثل هذه القيم في سائر الخلق.

والإنسان مطبوع على الافتقار إلى جنسه، وإنما خصَّ الله تعالى الإنسان بكثرة الحاجة، وظهور العجز، نعمة عليه، ولطفًا به، فائتلافهم بالاختلاف والتباين، واتفاقهم بالمساعدة والتعاون، فإذا تساووا لم يجد أحدهم إلى الاستعانة بغيره سبيلًا، فلابد من طرق علمية، ودراسات منهجية، توضح الطريق.. ففقه الائتلاف مطلوب، ووعي الإجماع مرغوب.. فالإنصاف الإنصاف في سعة الخلاف، والحذر الحذر من آفة الانحراف.. فالألفة تجمع الشمل، وتمنع الذل، والمؤاخاة بالمودة، هي من أسباب الألفة.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٧٦ | شعبان ١٤٣٤ هـ
العام الخمسون
يونيو - يوليو ٢٠١٣ م

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد
يحيى بوم

الإشراف الفني
الشركة العصرية
للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ -
الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.com
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي الوزارة أو المجلة.

في هذا العدد

في ثقافة الصراع كل مصارع يحسب أن رأيه لا يحتمل إلا الصواب، ورأي غيره لا يحتمل إلا الخطأ

٦

السفر من منظور إسلامي

١٢

مدرسة وخزانة ابن يوسف

٦٠

هديل الحمام.. بكاء أم غناء؟

٨٠

الخطوات الأولى نحو الاندماج في العمل

التوزيع وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١- ٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (٠٠٩٦٣ ١١) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ - رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة - رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا - شركة - المصطفى ميديا جروب سندرين برحد - ت- ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر - شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٦)
- تونس - الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار
●الكويت : ٥٠٠ فلس ●السعودية: ٥ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٥ ريالات ● الإمارات : ٥ درهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ●الأردن:دينار واحد ● مصر : ٢ جنيه ●اليمن : ١٠٠ ريال ●لبنان: ٢٠٠٠ ليرة ● سوريا: ٣٠ ليرة ● المغرب : ١٠دراهم ● الجزائر: ٤ دينار جزائري ●تونس: دينار واحد تونسي ● المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني ● باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

المحتويات

٣	الافتتاحية: الائتلاف والاختلاف	فيصل يوسف العلي
٦	قضايا: السفر من منظور إسلامي	رشيد الحسن
٨	حوار: حوار مع د.عمرو شريف	هالة عبدالحافظ
١٢	استطلاع: مدرسة وخزانة ابن يوسف	رئيس التحرير
١٨	ملف العدد: ثقافة الحوار أم ثقافة الصراع	د.آندي حجازي
٢٢	ملف العدد: حاجتنا إلى التعامل بثقافة التسامح	د.حسن أبوغدة
٢٥	ملف العدد: الخصومة الفاجرة	د.مسعود صبري
٢٦	ملف العدد: الحوار: فريضة غائبة حان أذانها	السنوسي محمد
٢٩	ملف العدد: المضامين الإنسانية والتربوية والتعليمية في حوارات النبي ﷺ	عبد بن بركو
٣٢	ملف العدد: تراثنا العلمي والحديث عن حوار الحضارات	د. يسري عبدالغني عبدالله
٣٤	دراسات: أهمية معهود كلام العرب والنبي ﷺ في تفسير القرآن	د.صلاح عبدالعال
٣٨	دراسات: دليل مؤسسات الإعلام الإسلامي	فاطمة الزهراء محمد
٤٤	دراسات: مجالس الاقتراء	د.خالد فهمي
٤٧	دراسات: من أجل خطة للتعريف بالإسلام	د.حسن عزوزي
٥٠	حوار: وزير التربية المصري	محمد حبيب
٥٣	خواطر: أيهما أحق بالقول «أوكي» و«هاي» أم إن شاء الله	خالد الغيص
٥٤	لغة وأدب: الحاجة النفسية إلى الأدب عند ميخائيل نعيمة	عبدالعزيز خلّوفة
٥٦	لغة وأدب: القول المأثور في الصواب المهجور (١١)	عبدالله أيت الأعشير
٥٨	لغة وأدب: عباقرة الضاد	جاك شماس
٥٩	لغة وأدب: يا الله	محمد عباس
٦٠	لغة وأدب: هديل الحمام.. بكاء أم غناء؟	مصطفى عباس
٦٢	تراث: نظم رموز الجامع الصغير	صالح عبدالخالق
٦٤	فكر: ما العلمانية؟	د.سامي عطا
٦٧	خواطر: الفصول الأربعة في حياتنا	هنادي نجيب
٦٨	قضايا: ولكن مسلمي بورما لابواكي لهم	د.محمد صمدي
٧٠	أسرة: علموا أولادكم محبة الأخ	نعيم السلاموني
٧٢	أسرة: غربة الحجاب في تونس	نهلة حميد
٧٤	أسرة: اللعب والثقافة العلمية للطفل	السيد نجم
٧٦	أسرة: الخدم في الأسرة الإسلامية	جميل الأحمد
٧٨	أسرة: الزوجة الجميلة	منى الشريف
٨٠	تنمية: الخطوات الأولى نحو الاندماج في العمل	بشرى شاكر
٨٢	أعلام: أنور الجندي	إبراهيم عثمان
٨٤	تاريخ: التاريخ عند المسلمين(٣)	د.أحمد الشال
٨٦	إعجاز: نعمة الإبصار	محمود علي
٨٩	طب: الرسول ﷺ ينظم سلوكيات مهنة الطب	د.محمد الصديقي
٩٠	فتاوى الوعي:	محمود الكبش
٩٢	الوعي نت:	خالد محمد
٩٤	بريد القراء:	علاء عبد الفتاح
٦٩	ينابيع المعرفة: كلمات في الإنصاف والائتلاف	التحرير
٩٨	مسك الختام: الإسلام والإبداع الفني	حسن بن محمد

كلمة العدد

الخيرات

المؤمن مُستخلف في الأرض، مُطالب بعبادة الله فيها، وتعمير الكون بما سخر له من آيات ومُقدرات، حريص على حمل الخير للإنسانية جمعاء، باعتباره مجبولًا لفعل كل ما هو نافع، ومفيد للناس بغض النظر عن ألوانهم وديانتهم ومشاربهم.

والإسلام يدعو إلى فعل الخيرات، وقول المعروف، والمسارعة إلى الله، والتسابق على نفع الآخرين، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا..﴾ (المائدة: ٤٨).

والمسلمون هم سفراء سلام ورحمة للبشرية جمعاء، يتسلحون بالحكمة والموعظة الحسنة في توصيل الرسالة الربانية، ويخاطبون الناس على قدر عقولهم، يبشروا ولا ينفرون، ييسرون ولا يبشرون.

والجميع مطالب بالتعاون والتكاتف على فعل الخيرات، لأن المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه وأعوانه، وما لا يستطيعه الفرد قد تستطيعه الجماعة، لقول المصطفى ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وشبك بين أصابعه».

والإنسان مسؤول أمام الله- عز وجل- عن تقصيره في دعوة الناس إلى الحق، فلنشحذ الهمم، ونجدد النوايا، ونعدَّ العدة، حتى يبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، ونساعد الجميع في معرفة الدين الحق والعمل به والدفاع عنه.

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير- للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

السفر من منظور إسلامي

رشيد ناجي الحسن
باحث دراسات إسلامية

السّفرُ أحد أسباب المعاش التي بها قوامُه ونظامُه، لأنّ الله تعالى لم يجمعْ منافعَ الدنيا في أرض، بل فرقها، وأحوجَ بعضَها إلى بعض، ومن فضله أنّ صاحبَه يرى من عجائب الأمصار وبدائع الأقطار ومحاسن الآثار ما يَزيدُه علماً، ويُفيده فهماً بقدرة الله عزّ وجلّ وحكمته، ويدعوه إلى شكر نعمته.

وقد مدحَ اللهُ تعالى المسافرين في سبيل الله فقال سبحانه:﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾، وقال حاتم طيء:

إذا لزِمَ النّاسُ البيوتَ رأيتهم
عُماةً عن الأخبار خُرْقَ المكاسب

وقد جاء في المبهج للثعالبي: مَنْ آثر السفرَ على القعود، فلا يَبعدُ أنْ يعودَ مُورقَ العود. وقيل: ربما أسفرَ السفرُ عن النظر، وتعذر في الوطن الوطر.

قال أحد الشعراء:

وإذا الدّيارُ تنكرت عن أهلها
فدعِ الديارَ وأسرع التحويلا
ليسَ المقامُ عليك حتماً واجباً
في بلدةٍ تَدعُ العزيزَ ذليلا

وقال غيره:

إذا نلتَ في أرض معاشاً وثروةً
فلا تُكثرن فيها النزوعَ إلى الوطنْ
فما هي إلا بلدة مثل بلدةٍ
وخيرُهما ما كان عوناً على الزمنْ

وقد قسم العلماءُ السفرَ إلى ثلاثة أنواع : سفرٍ مذموم، وسفرٍ محمود، وسفرٍ مباح.

فأما السفرُ المذموم: فهو السفرُ في معصية الله، فيشدُّ المسافرُ رحاله إلى بلادٍ يعصي فيها الربّ عز وجل، فهذا السفرُ محرمٌ لا يجوز، وعواقبُه في الدنيا والآخرة وخيمة لا يعلمها إلا الله.

وأما السفرُ المحمودُ: فمنه السفرُ للحج والعمرة، ومنه السفرُ لزيارة المساجد الثلاثة (المسجد الحرام –المسجد النبوي – المسجد الأقصى)، ومنه السفرُ لطلب العلم، وزيارة العلماء وأهل الخير.

وأما السفرُ المباحُ : فهو السفرُ في طلب المعاش، والسفرُ بقصد الاستجمام والترويح عن النفس في حدود ما أباح اللهُ سبحانه.

وأما عن فوائد السفر، فقد سُمّي السفرُ سفرا لأنه يُسفرُ عن وجوه المسافرين وأخلاقهم فيُظهرُ ما كان خافيا منها، فتجدُ المرءَ تعرفُه السنينَ الطوالَ، ولم يُظْهِرْ لك من خُلقه إلا الحسنَ، وما إنْ تسافرْ معه بضعة أيام فتراه ليلا ونهارا وعند أكله وشربه ونومه ومعاملته إلا ويُظهرُ لك أموراً قد لا تَسرُّك معرفتُها، لذا كان أميرُ المؤمنين عمرُ رضي الله عنه إذا شهدَ عنده رجلٌ لا يعرفه سأل عنه، ومما يُسألُ المُزكي عنه: أسافرتَ معه؟ فقد شهد شاهدان عنده يوماً فقال لهما: إني لا أعرفكما، ولا يَضرُّكما أن لا أعرفكما، ائتيا بمن يعرفُكما، فأتيا برجل، فقال عمر: كيف تعرفُهما؟ قال: بالصلاح والأمانة، قال: هل كنت جارا لهما؟ قال: لا. قال: هل صحبتهما في السفر الذي يُسفر عن أخلاق الرجال؟ قال: لا. قال: فأنت لا تعرفهما، ائتيا بمن يعرفكما.

هذا ومما يجبُ أنْ تعلمَه أخي المسلمَ أنّ كثيراً مِنَ الناس يُخطئُ في فهم هذه الفوائد، فيظنُّ أنّ السفرَ يُحققها بمجرد حصوله، وليس الأمرُ كذلك، فإن السفرَ ليس مقصوداً لنفسه، بل إنّ السفرَ مقصودٌ لتحصيل المصالح الدينية والدنيوية، فمتى كان السفرُ مُحصّلاً للمصلحة المعتبرة كان مطلباً حسناً، وإلا لم يكن كذلك.

وبيانُ هذا أنْ نعلمَ أنّ السفرَ تشمُله وتعتريه الأحكامُ الخمسة:

– فيكونُ مباحاً إذا قُصد به أمرٌ مباحٌ كطلب الرزق وتحصيل المعاش.

– ويكون مستحباً إذا قُصد به أمرٌ مستحبٌ، كالخروج إلى الحج المستحبّ بعد حج الفريضة، وكشدّ الرحال إلى المساجد الثلاثة: (المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى)، ونحو ذلك من الأمور المستحبة.

– ويكون واجباً إذا قُصد به أمرٌ واجبٌ كالسفر إلى فريضة الحج، وكالهجرة من ديار الكفر إلى بلاد المسلمين.

– ويكون مكروهاً إذا قُصد به أمرٌ مكروه، وقد عَدّ طائفة من أهل العلم السفرَ من أجلِ اللهو من السفر المكروه.

– ويكونُ حراماً إذا قُصد به أمرٌ محرمٌ، كمن يُسافرُ لطلب الفواحش والمحرمات، والعياذُ بالله تعالى.

بعضَ النصائح المهمة في السفر

- تجنب المشاكلَ فليس هناك ما يُفسد متعة السفر مثلَ المشاكل، خصوصاً مع سلطات البلد الذي سافرتَ إليه، فالمثلُ يقول: (مَنْ يودُّ الاستمتاع في السفر، فعليه أنْ يفتحَ محفظته، ويُقفلَ فمه) (يعني عن المشاكل)، والمثلُ الدارج يقولُ: (يا غريب كن أديب).
- ابتعدْ عن لذة الحرام، ففي المُتَع الحلال ما يُغني عن الحرام، والحمدُ لله.
- تجنبْ ما يُثيرُ الشُبهات حولك، وكنْ خيرَ سفير لبلدك.
- تجنبْ الأماكنَ المشبوهة والناسَ الذين يسعون لإفساد خلق الله.

فكنْ سفيرا لبلادك بأخلاقٍ سامية وسلوكيات راقية ترقى بك، وبأبناء شعبك إلى عظمة الشعوب، وكنْ ناقلا للعادات الحميدة والأفكار السليمة والثقافة العالية في إطار دينك الحنيف.

باحث الحضارات د.عمرو شريف:

أوروبا صدرت إلينا الفصام بين الدين والعلم

منى الموجي وهالة عبدالحافظ
القاهرة : دار الإعلام العربية

في حديث طويل، خصّ به «الوعي الإسلامي»، أكد المحاضر المصري في نشأة الحضارات وعلاقة العلم والفلسفة والأديان د.عمرو شريف أن رحلته نحو المعرفة الدينية لا تتعارض مع عمله كطبيب ناجح، وأشار إلى أن كثيرًا من رموز الحضارة الغربية مثل آينشتاين كانوا يؤمنون بوجود إله، لافتًا في هذا الصدد إلى أن التدبر في الآفاق كان أيضًا السبيل نحو قناعة أحد أشرس الملاحدة بوجود مدبر لهذا الكون، رافضًا في الوقت ذاته تعامل الحضارة الغربية مع الإنسان من منطلق مادي بحت، كما تحدث عن دور المعجزة في الديانات الثلاث، ولماذا كان الإسلام هو الدين الخاتم.. إلى التفاصيل.

● خضتَ حربًا شرسة على الإلحاد وناضلتَ على مدى سنوات طويلة لتأكيد العلاقة بين العلم والدين.. لكن ما العلاقة بين دراستك وعملك كطبيب جراح وبين أبحاثك العلمية حول الدين والإلحاد؟

– لم أترك يومًا عملي كجراح، لكني أعتقد أن الإنسان لابد أن يكون له اهتمام فكري، وأنا أؤمن بأن الإنسان لابد أن يكون له رسالة في الحياة، وقضية يتبناها، ومع ذلك أنا لم أبدأ في الكتابة إلا قبل سنوات قليلة، لأن اهتمامي الفكري في البداية كان قاصرًا على القراءة

والاستيعاب، وبدأت أكتب عندما شعرت بحاجتي للكتابة، وعندما أيقنت أن هناك فكرة معينة لم تأخذ حقها في المكتبات العربية، من هنا بدأت، فجاء أول كتاب لي بعنوان «بني آدم من الطين إلى الإنسان»، كتبته بعدما قرأت كتاب د.عبدالصبور شاهين «أدم».

● وماذا عن كتابك الثالث «رحلة عقل» الذي يعتبر أشهر أعمالك الفكرية؟

– بالفعل هو أشهر الكتب التي ألفتها، ومناسبة الكتاب أنني قرأت كتابا بعنوان «هناك إله» there is gad، مؤلفه أشرس ملحد في القرن العشرين، وهو أستاذ الفلسفة بجامعة أكسفورد «سير انتوني فلو»، الذي ظل زعيمًا للإلحاد طوال ٦٠ عامًا من عمره من سن ٢٠ إلى ٨٠ عامًا، وكانت كتاباته مرجع وجدول أعمال الملاحدة، لكن في عام ٢٠٠٤ ذكرت وكالة اسوشيتدبرس أن انتوني فلو أعلن عن وجود إله بدافع من البراهين العلمية، وقامت الدنيا ولم تقعد حتى الآن، وامتلأت بالمعارضين من تلاميذه وزملائه وتعرّض لسخرية وتهكم لدرجة اتهامه بالخرف، نظرًا إلى أنه طعن في السن، وكتب فلو في ٢٠٠٧ كتابه «هناك إله»، وقرأت الكتاب بعد أن دلني عليه صديق، وشعرت بأهمية أن يقرأه كل الشباب العربي، فترجمته في النصف الأول من كتابي «رحلة عقل»، وكان «فلو» قد وصل في كتابه إلى وجود إله، ولم يصل لتبني ديانة محددة، وأن هناك دينًا، وأن الإله يتواصل مع البشر، متبعًا بذلك مدرسة قديمة هي مدرسة «الربوبية» التي تؤمن بأن هناك خالقًا للكون وضع قوانينه وتركه وانشغل عنه بما يليق بالإله وهو ذاته، وهو نفس كلام «أرسطو» الذي رغب في تنزيه الله بهذا الكلام، لكن هذا ليس المفهوم الإسلامي الذي نؤمن به، فنحن نؤمن بالقيومية «اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ»؛ بمعنى أن الله يدبر الكون في كل لحظة، ويستجيب لدعواتنا.

المعجزة في الإسلام دورها ضئيل جدًا بخلاف اليهودية والمسيحية

أما النصف الثاني من الكتاب فسميته «نستكمل الرحلة» حول الأدلة على أن السماء تتواصل مع الأرض، وقدّمت مقارنة بين الأديان اليهودية والمسيحية والإسلامية، ولم أكتب وجهة نظري في المسيحية واليهودية بل طلبت من صديق مسيحي له اهتمامات كنسية ويهودية أن يطلب من الكنيسة كتابة ملخص كما يريدون أن يعرضوه، ووصلنا إلى أنه لا يكفي قول الإنسان أن هناك إلهًا، لكن لابد من تبني أن الإله يستجيب لخلقه.

آيات الآفاق

● ما الدافع العلمي الذي جعل ملحدًا معاندًا مثل «فلو» يقر بوجود إله؟

– الذي قاد «انتوني فلو» لطريق الإيمان ليس دافعًا إيمانيًا، بل دافع علمي بحت، فقد تأمل في خلق الكون من خلال نظرية الانفجار الكوني الأعظم، التي تفسر نشأة الكون، وأيضًا قضية خلق الإنسان والشفرة الوراثية الخاصة بالكائنات الحية، وكيف هي شديدة التعقيد، ولا يمكن أن تكون نشأت دون موجد لها، هذان الدافعان العلميان جعلا مجلة «التايم الأمريكية» تعلّق على قصة إيمان «انتوني فلو»، وتعتبره على رأس أعظم الاكتشافات العلمية في القرن العشرين، وكأننا نحيا في زمن تحقق هذه الآية ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، فها هو أحد أشرس الملاحدة يؤمن بوجود الله من خلال آيات الآفاق.

● لماذا لم يقتنع زملاء «فلو» وتلاميذه بأدلته العلمية بل على العكس هاجموه

آيات الآفاق دلت أشرس الملاحدة على وجود الله

واتهموه بالخرف؟

– لابد أن نفرق بين الدليل العلمي وتطبيقاته العلمية والفلسفية، من الممكن الدليل العلمي نفسه يراه البعض لصالح قضية الإلحاد، فمثلا نظرية الانفجار الكوني الأعظم تقول: إن الكون قديم أزلي لا بداية له، ومن ثم هذا يجعل البعض يشعر بالراحة لعدم البحث عن موجده، وفي وجود آينشتاين ١٩٢٩ كان هناك عالم فلكي اسمه «هابل» توصل إلى الأدلة الحاسمة بأن للكون بداية، فسافر آينشتاين إلى أقصى أمريكا ليطلع على أدلته، وكان هابل قد سجل أن الكون يتمدد، وأن المجرات تتباعد وهي غير ثابتة، وهذا يعني أن المجرات بالأمس كانت أقرب، وأول أمس كانت أكثر قربًا، ومن ثم كانت في يوم ما شيء واحد، وهو ما أطلق عليه مفردة، وقدروا عمر هذه المفردة بـ١٣,٧ مليار سنة، وتوصلوا أن للكون بداية، وأنه نشأ من عدم، لأننا لو جمعنا الشحنات السالبة في الكون مع الشحنات الموجبة يساوي صفر، ولو جمعنا الطاقة السالبة مع الطاقة الموجبة يكون الناتج صفر، وهذه حقائق علمية، لكننا نرى الملاحدة يقولون إن الكون نشأ من عدم فهو ليس في حاجة إلى إله، ويأتي المؤمن ليقول: هل كل هذا الجمال وكل هذا الوجود من عدم؟ وكيف قسم العدم إلى سالب وموجب وشكل منه هذا الكون؟ إذن كل هذا يحتاج إلى قدرة إلهية، فنفس الحقيقة يستشهدون منها على القضية وعكسها، و«فلو» أتبع في حياته مبدأ أبي الفلاسفة سقراط وقال: «أنا أتبع الدليل إلى حيث يقودني، وقادني العلم والفلاسفة من قبل إلى الإلحاد، واليوم الدليل يقودني إلى الإيمان».

● البعض يدعي أن تخلف الدول العربية

والإسلامية على المستوى العلمي بسبب تمسكها بالدين، والعكس بالنسبة للغرب؟

– كثير من المفكرين يتحدثون في ذلك، وأرى أن ذلك مأساة، فالدافع الذي يمكن أن يدفعنا إلى التقدم ينسب إليه أنه سبب تخلفنا، في الحقيقة أنا أصف أي دين أنه سلاح ذو حدين، إذا أسيء فهمه، وظن الناس أن الدين موجود ليبين لنا الطريق إلى الجنة، والسعادة في العالم الآخر فقط، وليس له علاقة في بناء الحضارات في الحياة الدنيا، فهذا الحد الضار، وهذا الذي دفع الماركسيين إلى قول: «الدين أفيون الشعوب»، وهي مقولة فيها جزء من الحقيقة إذا أسيء فهم الدين، لكن إذا فهم الدين بشكل صحيح سيختلف الوضع بالطبع، فالدين الإسلامي حث الناس على القراءة، والله سبحانه قال في سورة القلم ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، فالمتأمل للحضارة الإسلامية يرى أن وقت تمسك المسلمين بدينهم كانت أوروبا تعيش في العصور الوسطى عصر مظلم، وكان المسلمون في أوج نشاطهم وتقدمهم، وكان العالم يجمع بين العلم والدين، فوجدنا الشيخ الرئيس الطبيب ابن سينا، الرازي وابن الهيثم، كلهم لهم اهتمامات دينية

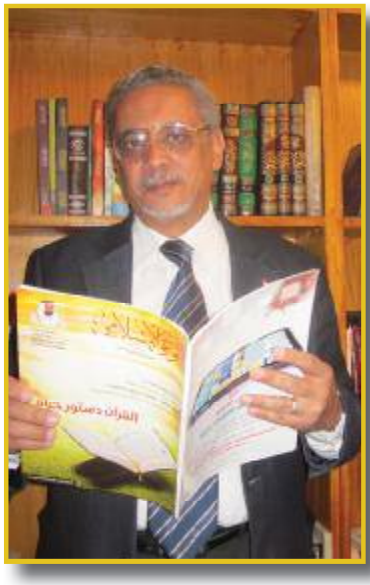

الإدعاء بأن الدين سبب التخلف كاذب وأوروبا كانت في قمة الجهل والمسلمون في أوج مجدهم

وعلمية، وليس هناك دين يأمر الناس بالتدبر والنظر في الآفاق للاستدلال على وجود الإله إلا الإسلام.

● هل لنا أن نلقي باللوم على الخطاب الديني المشغول بالعقاب والآخرة؟

– نعم الخطاب الديني الآن مسؤول إلى حد كبير عن ما آل إليه حال المجتمع الإسلامي، فهو يتبنى للأسف الجوانب الروحية والحياة الآخرة فقط، ويترك جوانب بناء الحضارة، لكن هناك علماء ومفكرون كبار مثل الشيخ محمد الغزالي، د.محمد عمارة، المهندس فاضل سليمان، د.محمد العوضي ود.محمد سليم العوا وغيرهم اهتموا بتغيير هذه الصورة، لكنه ليس الاتجاه العام، فنحن نحتاج إلى صحوة، للأسف الخطاب الديني لم يساهم فقط في التأخر الحضاري، بل في أنه أصبح أحد أسباب ظهور الموجة الإلحادية، نتيجة عدم قدرته على مجاراة التقدم العلمي، وتناقض ما يسمعه الشباب في الإعلام العلمي ودور العلم وما يسمعه في الإعلام الديني ودور العبادة، ومن هنا حدث أن بعض الشباب تركوا الدين، وكثيرون من رجال الدين يثورون إذا قلنا لهم هذا، وسبحان الله الحديث الشريف الذي رواه سيدنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»، فالتجديد وارد، وشيء أساسي في بنية الدين الإسلامي، لأن المجتمع يتغير والعلم يتقدم.

● وماذا عن الخطاب العلمي الغائب عن مجتمعنا؟

– تجديد الخطاب العلمي قضية مهمة، وتحتاج إلى محاولات جريئة، ومشكلتنا أننا نرث مشكلات الغرب، فالفصام بين الدين والعلم فصام كنسي من العصور الوسطى في أوروبا، عندما بدأت الاكتشافات العلمية في الظهور، وبدأت الكنيسة في رفضها انفصل الدين عن العلم، وأصبح هناك عداء بينهما انتشر في أوروبا ثم صُدّر إلينا، وعندما وضع الغرب المنهج العلمي استبعد منها أي تأويلات دينية، حتى لا يتكرر نفس العداء الذي نجم عن أن الدين والعلم لا يلتقيان، فالإلحاد المعاصر ما هو إلا إفراز أوروبي، لكن نحن في العالم الإسلامي نتحمل توابعه.

عواقب الانفصال

● ماذا عن عواقب انفصال الدين عن العلم؟

– د.عبدالوهاب المسيري قال إن النتيجة في انفصال العلم عن الدين هي خسارة الإنسان لنفسه، كما أشبهه أنا بالمسيح الدجال الذي يبصر بعين واحدة، فيبصر فينا الجانب المادي فقط، ولا يبصر فينا الجانب الروحي، الإنسان كائن ثنائي، من مادة الأرض، طين، صلصال، حمأ مسنون، فخار، ونفخة من روح الله عز وجل، أو نفخة نسبها الله عز وجل إليه، إعزازًا وتوقيرًا لعظمة الخالق، وخصوصية الإنسان أنه كائن ثنائي، فالإنسان برزخ، والبرزخ هو الذي يصل بين اثنين لا يمتزجان، الجسد من الطين بما فيه من حيوانية وغرائز، والروح بما فيها من نورانية، فالإنسان سيخسر نفسه إذا اهتم بالجانب الطيني وأهمل جانب الروح، وهذا الجانب هو أهم سلبيات الحضارة الغربية، وهي حضارة عظيمة جدًا أنتجت إنتاجا هائلا، ليس له مثيل في الحضارات السابقة، لكنها جعلت من الإنسان كائنًا ثلاثي الأبعاد منتجا مستهلكا مستمتعا فقط، أما حقيقة رسالته والمطلوب منه مآله من

أين؟ والى أين؟ فلا تهتم ليصل الضياع إلى «جئت لا أعلم من أين لكني أتيت أبصرت أمامي طريقًا فمشيت» هذا شعر إيليا أبو ماضي.

● هل أصبح العلم أداة لزعزعة الإيمان عن طريق إقناع الشباب بأنه وحده الذي يحقق التحضر والسعادة بعيدًا عن قيود الدين؟

– هذه رؤية تنسجم مع مبادئ المجتمع الغربي، فالسعادة عندهم هي السعادة المادية المعتمدة على منتج ومستهلك ومستمتع، وبالفعل العلم يحقق لهم السعادة بهذا المنظور، ومن ثم لا يحتاجون إلى الدين، وهذا حق لا نختلف فيه، إنما القضية خطأ ١٠٠٪ فالمقولة صحيحة في إطار المنظومة الغربية، أما ارتباطها مع الحقيقة كما نراها نحن أن الإنسان كائن ثنائي كما يقول عبدالوهاب المسيري –رحمه الله– قدمه في الطين ورأسه في السماء، يسقط، لكنه يقوم ويرقى ويسمو، فالإنسان بهذا المنظور لا يكفي العلم لإسعاده، فالعلم قد يكون بوابة، بمعنى أن العلم بوابة لمعرفة الله.. فنحن ننظر إلى الجانب الديني أن هناك خالقا وتكاليف وحياة أخرى ننتقل إليها حياة أبدية وجنة ونار، وهي قضية في منتهى الأهمية، والإنسان مضطر أن يتبنى الطرح الديني فيها، فما الذي يقدمه العلم للإنسان في قضية الحياة الأخرى، للأسف الماديون رسخ في قولهم أننا نعيش في الحياة الدنيا، وبعدها ينتهي الأمر كما كتب المسيري في كتابه «الفردوس الأرضي» إنهم يعتقدون أن الجنة الآن وهنا فقط، فالحضارة الغربية حضارة في منتهى الإبداع، لكن لكائن آخر غير إنسان مخاطب ومكلف وسيحاسب.

● ما الذي جعل د.عبدالوهاب المسيري ود.مصطفى محمود يصلان بعد رحلة مع الشك إلى حقيقة الإيمان من خلال البحث العلمي.. ولم يحدث ذلك مع علماء غربيين على نفس المستوى الفكري؟

– لا نريد أن نعمم أن علماء الغرب ملاحدة، بل على العكس، الأغلبية متدينون، إنما القضية من الأعلى صوتًا؟ فبالنظر إلى العلماء الكبار، ومنهم إسحق نيوتن كان مؤمنًا إيمانًا شديدًا، وكذلك اينشتاين كان معترضًا على صورة الإله كما تصوّره الديانة المسيحية، لكن مسألة إيمانه بوجود إله كانت مسألة منتهية، وكان يغضب كثيرًا عندما يتهمه أحد بالإلحاد، والعلماء الستة الذين أسهموا في وضع نظرية الفيزياء الحديثة كانوا جميعهم من المؤمنين بوجود إله، بل والأكثر من ذلك وقد يستغرب له البعض أن «دارون» صاحب نظرية التطور والذي يتخذه الملاحدة رمزًا للإلحاد كان يقول إنه كلما تأمل في الكون وكيف نشأت الخلية الأولى، يقر بأن هناك إلهًا، فالأمر يكاد يكون بديهيًا أن كل شيء موجود لابد له من موجد، فالقضية محسومة ليس فقط عند المسيري ومصطفى محمود، لكن عند معظم علماء الغرب.

● هل هناك أسباب أخرى غير العلم من الممكن أن تكون سبب الإلحاد؟

– علماء النفس اصطلحوا على أنها إرادة الإلحاد أي أنها رغبة الملحد، ولو تأملنا الإلحاد في كتابي «رحلة عقل»، فقد تحدّثت عن الجوانب النفسية للإلحاد، وأن في بعضه يكون السبب نوعًا من الثورة على وجود قوى تتحكم في الكون والإنسان، أي أنه نوع من التكبّر والاغترار وعدم رغبة في القول بأن هناك قوة أعلى منه، سبب آخر يقال إن هناك عددًا من العلماء الكبار مثل راسل، سارتر وفولتير وُجد لديهم مشكلات مع آبائهم، فإما أن يكون والده اضطهده في الصغر وعذبه إلى آخره، أو توفي والده في الصغر فشعر بأنه تخلى عنه، فسماها علماء النفس «الرفض لمنظور الأب الذي في الأرض، ومن ثم رفض الأب الذي في السماء»؛ يعني يمتد موقفه النفسي من القضية إلى رفضه الإلوهية.

خرافة الإلحاد

● ما الجديد والقادم من أعمالك الفكرية؟

– أحضر حاليًا لكتاب «خرافة الإلحاد»، وقد اقترح هذا العنوان المفكر الكويتي د.محمد العوضي، وهو الذي طلب مني تقديم هذا الكتاب عن الإلحاد، وفيه أناقش قضايا الإلحاد ومناقشة أفكار جميع الملاحدة الكبار.

د.عمرو شريف

عمرو عبدالمنعم شريف أستاذ ورئيس قسم الجراحة بكلية الطب – جامعة عين شمس، تخصص جراحات الكبد والجهاز المراري وجراحة مناظير البطن وجراحات الحوادث، حاصل على درجة البكالوريوس في الطب والجراحة مع تقدير امتياز مع مرتبة الشرف الأولى عام ١٩٧٤م، ودرجتي الماجستير عام ١٩٧٨م والدكتوراه عام ١٩٨١م في الجراحة العامة من جامعة عين شمس، عضو مؤسس للجمعية الدولية للجراحة والجمعية الدولية لجراحة الكبد والبنكرياس والجهاز المراري – سويسرا.. اختير المدرس المثالي على مستوى جامعة عين شمس عام ١٩٨٤م، والطبيب المثالي على مستوى الجمهورية عام ١٩٨٨م، محاضر في موضوعات التفكير العلمي ونشأة الحضارات والعلاقة بين العلم والفلسفة وبين الأديان.. من مؤلفاته: «رحلة عقل»، «كيف بدأ الخلق»، «المخ: ذكر أم أنثى»، وتناول فيه الفوارق التشريحية والوظيفية بين مخ الرجل ومخ المرأة، وانعكاس ذلك على مشاعر وسلوك وأسلوب تفكير الجنسين، «أبي آدم: من الطين إلى الإنسان» طرح فيه مفهومًا جديدًا حول نشأة الإنسان عن طريق التطور الموجّه، «رحلة عبدالوهاب المسيري الفكرية» عرض فيه (من خلال فكر د.المسيري) إيجابيات وسلبيات الحضارة المادية الحديثة، وأسوأها ظهور الحركة الصهيونية ودولة إسرائيل.

«الوعي الإسلامي» زارتها واطلعت على معمارها الفريد ومخطوطاتها القيمة:

مدرسة وخزانة ابن يوسف.. معقل العلماء وقبلة طلبة العلم النجباء

استطلاع : فيصل العلي
و بشرى شاكر
تصوير : هدايت الله نثار

لا تتم الفائدة من زيارة مدينة مراكش الحمراء، إلا بزيارة مسجد ومدرسة الأمير علي بن يوسف ابن تاشفين، والاطلاع على خزانة المدرسة التي تضم عددًا لا بأس به من مخطوطات التراث العربي، ونسخ الكتب القيمة الكاملة، من أمثال كتاب «تاريخ دمشق» لابن عساكر.

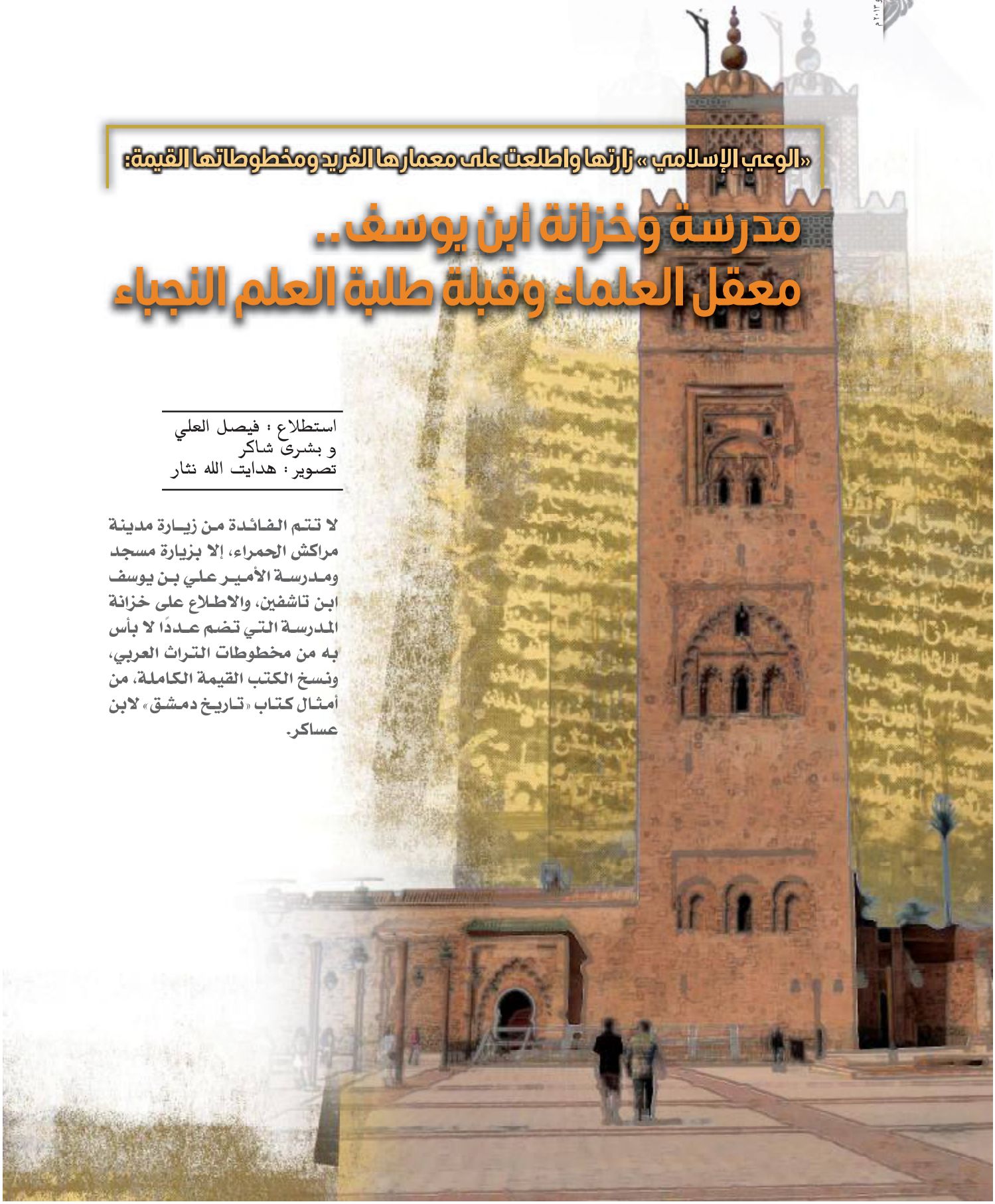

«الوعي الإسلامي» كانت هناك قبل أيام، تطل على تاريخ تجاوز أربعمائة عام من البناء المعماري الرفيع لدولة المرابطين، الذي أعيد إلى حيز الوجود بعد هدم جزئي ناله مع بداية قيام دولة الموحدين.

يقول لنا التاريخ: إن الأمير علي بن يوسف اعتنى اعتناءً فائقًا ببناء مسجد سرعان ما لحقت به مدرسة، في نفس الوقت الذي أدار عاصمته بالأسوار، وأنه حشر لتصويب قبلته أربعين فقيهًا من فقهاء الأندلس، من بينهم ابن رشد الكبير، ومالك بن وهيب وغيرهما، وأنه انقطع إليه من الأندلس من كل علم فحول، واجتمع له من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من العصور، فلا عجب إذن أن يصبح هذا المسجد الجامع – بمدرسته وخزانة كتبه ومخطوطاته – مركزًا من مراكز العلم تشد إليه الرحال، وتعج رحابه بشيوخ العلم، وبتنافس العلماء على الإمامة والخطابة والتدريس به، ونعرف من مقدمة فهرست مخطوطات هذا المكان الجليل أنه في مقصورة من مقاصير الجامع، وكما هو الشأن في سائر المساجد، وضعت النواة الأولى لخزانة الكتب، فارتبطت منذ ذلك الحين حياة خزانة الكتب بحياة المسجد نفسه، ولحقها ما لحق المسجد من تطور وصعود وهدم وخفوت.

دليلنا في رحلتنا إلى هذا الصرح الثقافي التابع لدار الثقافة المغربية،

أنشطة الخزانة

١- الاطلاع اليومي.
٢- الملتقى الشهري.
٣- الملتقى النصف الشهري.
٤- القراءات الشعرية.
٥- أنشطة مناسباتية.
٦- نشاط الطفل.
٧- سلسلة المعارض المتخصصة المواكبة لأهم التظاهرات الثقافية الكبرى بمراكش.
٨- قافلة القراءة في الجماعات الحضرية والقروية المحيطة بمراكش.
٩- إنجاز بحث ميداني حول القراءة وتداول الكتاب.

مساحة خزانة ابن يوسف

مساحة الخزانة تقدر بحوالى ٢٠٠٠ متر مربع، وتضم قاعة بالطابق السفلي لحفظ المخطوط ومعالجته، من تصوير وترميم وتغليف، وهناك قاعة لحفظ المطبوعات النادرة، والطبعة الحجرية، والخروم، وهناك قاعة أخرى لمركز التوثيق، إضافة إلى قاعة تستغل كخزان للمتلاشيات من تجهيزات ومعدات، وفي الطابق الأول قاعتان للرصيد الوثائقي باللغة العربية، وقاعة للمطالعة، إضافة إلى غرفة للرصيد الوثائقي باللغة الفرنسية والإنجليزية، وساحة للدوريات.

وغرفة للطفل وأخرى للناشئة، وثمة جناح خاص بالإدارة يضم قاعة للمعلومات وقاعة للمحاضرات.

وجدير بالذكر أن الخزانة حاليًا أصبحت تتوافر على عدة معدات إلكترونية جديدة، تتكون من آليات لترميم ومعالجة وتصوير المخطوطات، ووسائط سمعية بصرية ومعلوماتية، وجهاز نظام مراقبة

كان الدكتور محمد البندوري مستشار مؤسسة البشير التعليمية، بينما كان في استقبالنا في محافظة دار الثقافة، الأستاذة مريم الحميدي والأستاذ عبد الغني الأعظم، المكلف بالمخطوطات وصاحب الخبرة الطويلة الممتدة لنحو ٤٠ عامًا، وقد علمنا منهم أن وقوع مدرسة ابن يوسف وسط المدينة القديمة بالقرب من سوق السمارين الشهير، وعلى مقربة من قبة المرابطين ومتحف دار المنبهي شجع على جعلها مزارًا للسياح من أرجاء العالم.

ومدرسة ابن يوسف تعد إحدى أقدم المدارس العلمية في العالم الإسلامي التي تشهد للآن على ازدهار الحضارة المغربية، وتبلغ مساحة المدرسة ١٦٨٠ مترًا مربعًا، وقد كانت على مدى أربعة قرون مقرًا للعلماء وطلبة العلم والمعرفة في شتى العلوم، وأهمها الفقهية والدينية، بيد أنه لم يكن يتم التدريس داخلها، بل في مسجد ابن يوسف المجاور، أما المدرسة فكانت عبارة عن سكن للطلبة، شبيه بالأحياء الجامعية الحالية، وكان الطلبة يعيشون فيها ويراجعون دروسهم، وهناك طلبة قادمون من المدن، وآخرون من القرى، وتتوافر غرفهم على نفس العناصر، غير أنها كانت تختلف من حيث مواد الصنع، فأثاث غرفة الطالب القروي مصنوعة من الفخار، بينما مثيلتها في غرفة الطالب الحضري مصنوعة من خزف ونحاس، وتتوافر الغرف على مكاتب ومحابر وأقلام، عبارة عن ريشات من القصب ومخطوطات قرآن وأحاديث نبوية، وكتب العلوم المختلفة، وشمع وقناديل للإضاءة، وموقد جمر ومنفاخ لتهيئة الطعام، وأوان ضرورية لشرب الشاي، من صينية وبراد وأوان للمئونة، من تمر وفواكه جافة، وجرة ماء وإناء للوضوء وحصيرة من الصوف أو الوبر تسمى «الهيضورة» وتستعمل للصلاة، وقد كان عدد غرف الطلبة في مدرسة ابن يوسف ١٣٢ غرفة.

وهناك ممران يحيطان بالساحة المركزية، يؤديان إلى سبعة صحون صغيرة توجد بها حجرات الطابق السفلي، وهناك غرف تشرف على الساحة وتتميز بسعتها، في حين تطل الغرف الأخرى على ساحات منيرة، وكانت المدرسة تتوافر على قاعة صلاة في الجهة الوسطى من الواجهة الشمالية، تستعمل لأداء الواجب الديني بمحراب بشرفات خماسية تغطيه قبة من الجبس المقرنص، وتتوافر على خزانات خشبية استعملت سابقًا كمكتبة خاصة بنزلاء المدرسة، وقاعة للوضوء في أول الممر الغربي، وتحتوي على حوض مربع الشكل يستعمل للوضوء.

وزينت جدران المدرسة بكتابات تراثية وشعرية وآيات قرآنية وأدعية، مثل عبارة «العزة بالله».

وعند الدخول لفناء المدرسة تواجهك قبة من الجص، تحمل نقوشًا ملونة بباب مغطى بالبرونز، ثم تلج لممر مغطى بسقف يضيء المكان قبل أن يفضي إلى دهليز يؤدي إلى مختلف أنحاء المبنى عبر ممرات سفلية وأخرى علوية.

وتم تزيين هذه المدرسة الضخمة باستعمال أعمدة من الجبس والخشب المزخرف المصنوع من شجر الأرز الموجود بجبال الأطلس المتوسط، فضلًا عن

المطبوعات على مستويين

من زيارة الخزانة تبين لنا أن المطبوعات على مستويين:

المستوى الأول: مصنف حسب الحجم: أمهات الكتب والمصادر النادرة في الثقافة العربية الإسلامية.

والمستوى الآخر: مصنف حسب طريقة الديوي العشري، ويغطي جميع ميادين المعرفة، وموجهة للتداول المفتوح، وهادفة لتعميم القراءة.

وقد تم اقتناء عديد من الكتب لسنة ٢٠١١ عن طريق مديرية الكتاب والمحفوظات، وكذلك من طرف الخزانة، وهي مازالت في طور التسجيل والفهرسة.

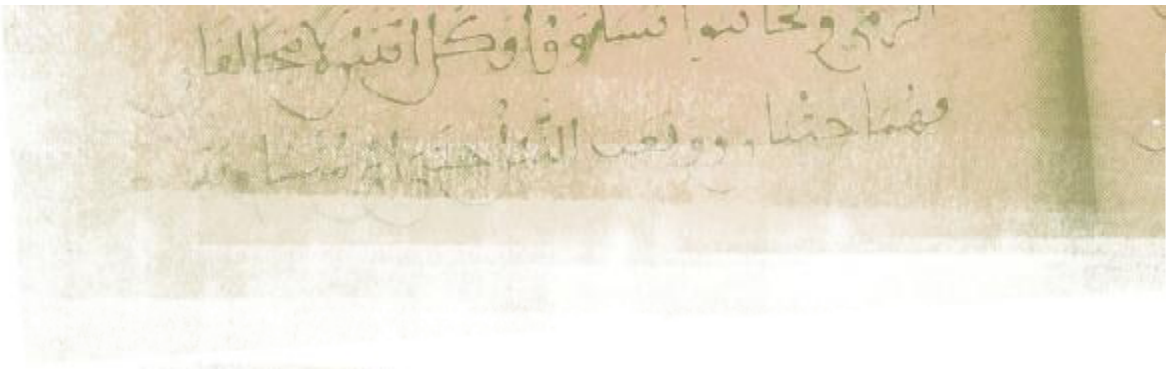

الفسيفساء وفن «الزليج» المغربي العريق الذي يظهر في كل الممرات والأرضيات، وحتى الجدران وأيضًا الزجاج الملون المعروف منذ القديم في المغرب الأقصى ويسمى حاليًا الزجاج العراقي.

أما تاريخ مكتبة (خزانة) ابن يوسف فيرجع إلى أوائل القرن السادس الهجري ٥٣٧هـ، وتم الحفاظ عليها كموروث وطني على امتداد قرون إلى الدولة العلوية، حيث تم إنجاز أول فهرس لمحتويات الخزانة في عهد السيد عبدالحفيظ سنة ١٣٢٩هـ.

من حيث الإطار المكاني تم نقل هذه

رئيس التحرير ويجانبه محمد البندوري

الذخائر لا تعار

تعتمد الخزانة في سيرها على المطالعة في عين المكان والإعارة الخارجية للمنخرطين، علمًا أن هناك بعض الوثائق والذخائر غير القابلة للإعارة: المصادر، النسخ الفريدة، الدوريات، كما هو الشأن في باقي الخزانات في العالم.

الخزانة إلى عدة أمكنة، منها دار الطالب في سنة ١٩٦٠م ودار الباشا الكلاوي في سنة ١٩٧٣م، إلى أن استقر بها الحال في دار الثقافة بالداوديات، بمراكش، بداية القرن الماضي تبعًا لتنقلات المديرية الجهوية للثقافة (مندوبية الثقافة سابقًا) حيث عرف مقرها إعادة تهيئة سنة ٢٠٠٣.

موقع الخزانة ودورها

توجد خزانة ابن يوسف داخل دار الثقافة الذي يحتضن بالإضافة إليها، إدارة المديرية الجهوية للثقافة، وللخزانة وظيفتان: الأولى: حفظ وصيانة التراث المخطوط في شموليته، وهي خزانة بحث موجهة للباحثين في التراث، والثانية: نشر القراءة العمومية وتعميم الكتاب، فهي خزانة عمومية مفتوحة في وجه كل شرائح المجتمع، ويمكن إجمال وظائفها في:

- حفظ التراث الوطني في شموليته.
- جمع الإنتاج الفكري وتنظيمه وفهرسته.
- اقتناء الكتب: وطنية وأجنبية، كالمكتوبة باللغة العربية واللغة الفرنسية والإنجليزية.
- تقديم المعلومات الضرورية في شتى ميادين المعرفة.

كما تقوم الخزانة بوضع رصيدها الوثائقي رهن إشارة الطلبة والباحثين

مشروع ترميم المخطوطات

تم ترميم ٢٠ مخطوطًا ترميمًا جيدًا بما يبشر بنجاح هذا المشروع الذي حمل عناوين وأرقام ترتيبية معتمدة في الفهرس.

- كذلك تم قطع شوط لا بأس به في إعادة تدقيق وفهرسة وترتيب مخطوطات ضمن ما اصطلح عليه بالخروم (٥٧ مخطوطًا) بفضل لجنة متطوعة مكونة من أستاذين مهتمين بالمخطوط، ومن موظف بالخزانة مسؤول عن جناح المخطوطات.

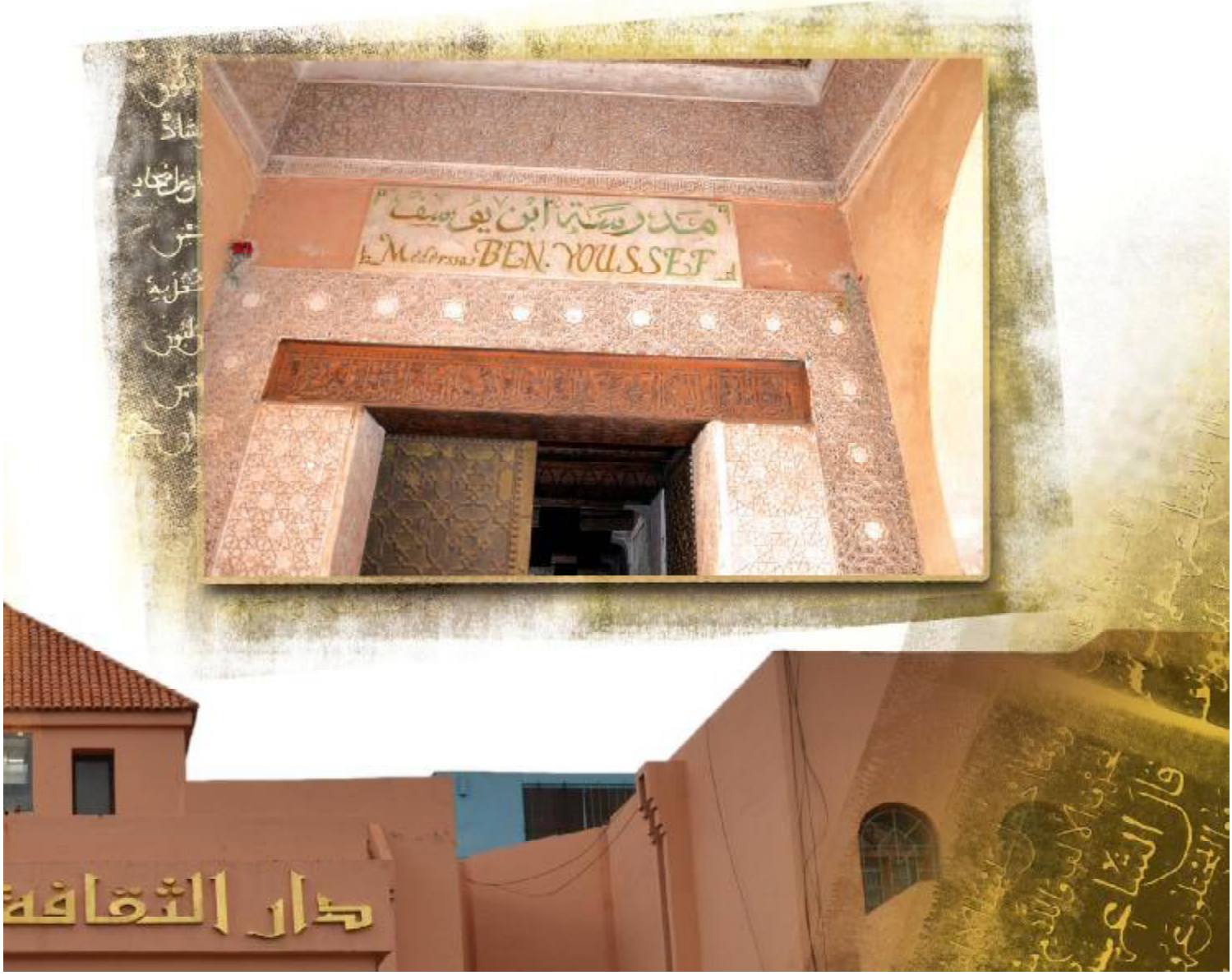

والقراء عامة. وتنظم أنشطة ثقافية بتنسيق مع فعاليات ثقافية أخرى.

وبالخزانة ٦٢٦ دورية، أغلبها تعتبر مراجع مهمة، بل أصبحت الخزانة تتوافر على اشتراك من أجل اقتناء المجلات، بالإضافة إلى ما تتوصل إليه عن طريق الإهداء.

وغير خاف على أحد الدور المهم الذي تلعبه الدوريات في الخزانات من حيث المقالات والمعلومات الجديدة التي يقدمها كل مقال.

وتشارك خزانة ابن يوسف بعرض الصور الفوتوغرافية الخاصة بساحة جامع الفنا في المناسبات، كالذكرى السنوية للجامع الفنا، وكشهر التراث الذي تنظمه المديرية الجهوية للثقافة.

والخزانة ليست مجرد فضاء أو مخزن، ولكنها حياة يومية وعمل مستمر، يسهر على القيام به مجموعة من الموظفين والموظفات تجمعهم رغبة مشتركة لخدمة القراء، وشغف واحد هو الكتاب، وهذه المجموعة مكونة من ١٦ شخصًا، يعتنون بطلبات نحو٤٠٠٠ باحث سنويًا و٣٠٠ زائر يوميًا تتوافر الخزانة على فهارس متقنة، تساعد على البحث.

بالإضافة إلى الخدمات المكتبية الاعتيادية (الإعارة، المساعدة على البحث... الخ) تساهم الخزانة في مد قنوات التواصل الفكري وتوسيع دائرته، والتعريف بالمنتوج الثقافي المغربي، قديمه وحديثه، مراعية في ذلك تنوع مشارب وروافد الثقافة المغربية، ومعتمدة في ذلك على تقنيات ومعارف حديثة في مجال التواصل الثقافي.

وتعد خزانة ابن يوسف نفسها معلمة فكرية وثقافية، ترتبط أشد الارتباط بالحياة الثقافية لمدينة مراكش، بل وبمنطقة الجنوب بصفة عامة، كما أن المجال الذي توجد فيه الخزانة يعد من المناحية الوظيفية مجالًا قابلًا لتنويع الأنشطة الثقافية والعمل على استمرارها، والغاية من ذلك تشجيع انفتاح الخزانة على محيطها للتعريف بمحتوياتها وذخائرها كجزء من الذاكرة الثقافية للمغرب، وكموقع استراتيجي في قلب المدينة من الناحية الجغرافية.

كذلك تهدف الخزانة إلى التواصل مع جمهور متنوع من حيث السن (شباب وأطفال على وجه الخصوص) ومن حيث الميول (أدبية، فنية، علمية).

٦٠ ألف وثيقة

يتكون الرصيد الوثائقي للخزانة من مخطوطات نفيسة في الثقافة العربية الإسلامية، كذلك رصيد من الطبعة الحجرية، مطبوعات في شتى ميادين المعرفة، دوريات، صور فوتوغرافية، ويبلغ هذا الرصيد الوثائقي حوالى ٦٠ ألف وثيقة، ويرجع أقدم مخطوط بالخزانة إلى سنة ٥٠٠هـ.

وعرفنا من الإدارة أنه تم تصوير ١٤٩٥ مخطوطًا في ٢٤٨٢٨٨ ورقة، ووضعها منسوخة في ٧١٣ قرص ذاكرة.

ثقافة السير للوراء

في ثقافة الصراع كل مصارع يحسب أن رأيه لا يحتمل إلا الصواب، ورأي غيره لا يحتمل إلا الخطأ.
في ثقافة الصراع.. نحيا وتموت الأمة.. لا يهم غير أنفسنا.. لا يهم سوى إثبات أحقيتنا في تصدر المشهد وتحقيق ما نريد، أيًا كان هذا الذي نريد، وهي ثقافة ممجوجة، تنمو في مناخ الجهل، وتطغى في بيئة الفرقة والتشرذم، وغياب الأسس الإيمانية التي دعمها الإسلام.
في ثقافة الصراع يتخبط الجميع في غرفة مظلمة، فلا نحصد إلا المواجع والسير للوراء.
أما في ثقافة الحوار فالأرض خصبة للتسامح، لسماع الرأي الآخر، للتنازل عن فكرة تبين بعد اختبارها أنها ليست الأصح، الأرض خصبة للتواضع والمحبة.. لتقديم مصلحة المجموع على مصلحة الذات، وللعودة إلى صف المفكرين المراجعين أنفسهم، وعدم التشبث بمقدمة الركب طالما لا نمتلك ما يؤهلنا لذلك.
بثقافة الحوار تتقدم الأمة، لأن الصحيح هو ما يسود..

علاء عبدالفتاح

ثقافة الحوار أم ثقافة الصراع؟!

د. آندي حجازي- أستاذة جامعية أردنية

إن المتأمّل لواقعنا اليوم يرى بأن ثقافةَ الصراع انتشرت في عالمنا العربي، وتزكّيها بعض وسائل الإعلام كمن يشعل النار في الهشيم، كيف لا، وقد جعل منها مادة دسمة له، فنشر تلك الثقافة، فعمت وطغت بشكل لم يسبق له مثيل، فبتنا نلحظ الصراعات بين أبناء الشعب الواحد: صراع الأهداف، صراع الرؤى، صراع الغايات، صراع المبادئ، صراع الأفكار والمعتقدات، صراع الطموحات، صراع الآمال، صراع القيم، صراع الأحزاب، صراع الماديات، صراع المصالح، صراع القوى المتعارضة... مع أن منتهى الغايات هو الوصول إلى رؤى مشتركة تجمع أبناء الشعب الواحد والأمة الواحدة، تعمل على تقليص الصراع والفجوات، لتحقيق الآمال والأحلام لأبناء الأمة في الرقي والازدهار والعيش الكريم!

وفي عالم كثرت فيه المشكلات والثورات والتحديات والانفعالات لدرجة أننا لا نعلم منتهاها ولا ما تؤول اليه، ومتى تنتهي، وإلى خير أم إلى شرٍّ تتجه، فإننا بحاجة إلى حلول جذرية لا مؤقتة أو مصطنعة، بحاجة إلى حلول توسطية تعين على إعادة الأمور إلى نصابها، وتدفع بدفة السفينة إلى الأمام لا إلى الخلف، لأننا إن بقينا في عالم الصراع بين القوى المتخالفة فإننا سنبقى عالقين في وسط البحر، خائفين الغرق، بانتظار الفرج غير المضمون وغير المنطقي! وربما تكون الخسائر فادحة.. فما نحتاج إليه اليوم هو السعي نحو بر الأمان، وهذا يتطلب بدايةَ الاقتناع بأهمية ذلك السعي وضرورته لنا، من أجل تسديد الخطى أملًا في الوصول إلى ذلك الأمان والاستقرار والرقيّ المنشود الذي نرجوه ونتمناه، والوصول إلى شاطئ الأمان والاستقرار ليس بالأمر السهل، ولكنه في المقابل ليس بالمستحيل! بل إنه يحتاج إلى الإرادة والتصميم وتوحيد الرؤى لبلوغ الهدف.

وتأمّل معي أيها القارئ، كيف خلق الله الإنسان كائنًا اجتماعيًا ميّزهُ عن سائر المخلوقات بالعقل والحكمة والقدرة على الكلام والحوار والإقناع، وميّزه بقدرات تفكيرية وإبداعية تعينه في واقع

حياته على حل مشكلاته، والارتقاء بمستوى حياته.. ولكن من ينظر إلى الواقع اليوم يتعجب من حال أمتنا العربية لماذا لا توظّف ما حباها الله من تلك الميزات وما وهبها من نهج قويم من أجل حل مشكلاتها في هذا الواقع؟ لماذا تقتنع كل الاقتناع بأنه لا حلّ بأيديها، وأن مصيرنا بأيْد غربيّة؟ وبأن قدرات أبنائها على حلّ المشكلات ليست بتلك المستويات! وأن عليها اقتباس أو استيراد الحلول الجاهزة لمشكلاتها! أو أن لا حل لمشكلاتها بغير تلك القوى العظمى (كما تُحب أن يُطلق عليها)! وأنّ علينا أن نبقى في ركب التبعية على الدوام أو أن نفنى! أو أن نقبل بثقافة يرضى عنها الآخر الأجنبيّ!

الاقتناع أولًا بضرورة الحوار

إن الدول التي حققت اليوم ما تريد ووصلت إلى تغيير في أنظمتها الحاكمة، عليها أن تبدأ بالخطوة التالية، (حيث التغيير يبدأ من أنفسنا ومن قناعاتنا، والحلول لمشكلاتنا يبدأ من ذواتنا، ومن سمو مبادئنا وأهدافنا، ومن توفيق الله تعالى لنا، وبالاستعانة بكتابنا وشريعتنا، وبعقولنا وأدمغة مفكرينا، ويبدأ من روعة منطقنا وحلاوة كلامنا) فعليها أن تبدأ بالحوار بين أبنائها، الحوار البنّاء لإصلاح ما عليها إصلاحه، والبدء من حيث وصلت، فنحن بحاجة إلى حوار يعيد لنا الأمل بحياة سعيدة هانئة، لسنا بحاجة إلى جدال هدّام، ولا إلى نقاش عقيم يقودنا إلى صراع أكبر وإلى استمرار النزاع والخلاف! وقبل ذلك كله نحن بحاجة إلى الاقتناع بحاجتنا إلى الجلوس والتحاور بين أطراف الصراع، حوارًا مثمرًا يقود إلى نتائج، والاقتناع به كأسلوب مهم وأساسيّ لحل المشكلات والاقتراب (قدر الإمكان) من النتائج المُرضية

من طبع الإنسان المبدع أن يتقبل التغيير والتعديل والحوار

لجميع الفرق والأفكار المتناحرة فكريًا وعقديًا. فعلينا الاقتناع أولًا بأهمية الجلوس على الطاولة المستديرة، وإلا فكيف سنمارس فكرة مازلنا لا نؤمن بأهميتها؟! بل ونطرحها كحل ولكن البعض يرفض تطبيقها أو التفاعل معها، مفضّلًا مصالحه الذاتية على مصالح وطنه وأمته؟!

يا بني البشر؛ خلقنا الله تعالى لكي نعمر الأرض بالخير والصلاح، وميّزنا عن سائر المخلوقات بالقدرة على التواصل اللفظي والاقتراب من الآخر، والقدرة على الاستماع، والأخذ والعطاء، والتفاعل مع الآخر.. من أجل البناء والتعمير، ومن أجل سعادتنا أولًا وأخيرًا، لا من أجل التباهي والتفاخر بتلك القدرات على بعضنا البعض! ونحن في زمن ازدادت به الوسائل الإعلامية ووسائل الانفتاح على الآخر وعلى الحقائق وغير الحقائق، فإن مواردنا المعلوماتية والثقافية أصبحت كثيرة وباتت متعددة، موثوقة وغير موثوقة، ولذلك لم يعد من السهل الوصول للنتائج التوافقية، ما لم نقتنع من داخلنا بأهمية تلك الخطوة (التحاور) ونسعى لها بأنفسنا. وإننا نرى اليوم أن كل من لديه فكرة أو مبدأ أو حزب ينتمي إليه فإنه يتمسك بمعتقداته تمسكًا شديدًا بدون تقبل للتغيير أو التعديل أو التحاور أو التكيّف، وهذا من الخطأ الذي نقع به، فمن طبع الإنسان المبدع أن يتقبل التغيير والتعديل والحوار، فلعله يصل إلى التحسين.

الحوار ثقافة بنّاءة

ومهما بلغت التحديات في أمتنا العربية والتي زادت في زماننا، إلا أن لكل مشكلة حلًا.. أما بالنسبة لثقافة الصراع التي سادت بين أبناء الأمّة الواحدة الطامحين لواقع أفضل، فإنّ أفضل ما يمكن أن يُحجّمها ويقلل من شأنها، هو الثقافة المقابلة، وهي ثقافة الحوار، فالحوار هو أعلى المهارات الاجتماعية قيمةً ورقيًا ومكاسبَ، وعلى وسائل الإعلام تشجيع ثقافة الحوار البناء الفعال، لا ثقافة النزاع والخلاف والخسائر.

فالحوار هو عمل الأنبياء مع أقوامهم، والعلماء مع ذواتهم، والمفكرين مع بعضهم، والقادة الناجحين مع مرؤوسيهم، والمربين الحقيقيين مع أبنائهم، والمنتجين مع بلدانهم.. وهو أساس لنجاح الأب مع ابنه، والزوج مع زوجته، والصديق مع صديقه، وأبناء الأمة مع بعضهم البعض، فالأمة القوية العزيزة المتقدمة هي التي تشيع فيها ثقافة الحوار بين أبنائها لا ثقافة الصراع، لأن الحوار مؤشر قوي على الديموقراطية، والتي هي أقصى ما تطمح إليه الشعوب، وكلما ابتعدت الأمة عن فتح آفاق الحوار عانت من الأمراض الاجتماعية والحضارية كالتسلط والذل، وهيمنة فئة على فئة، والكذب والمخادعة والغش، والنهب لمقدرات الأمة، والتراجع والتأخر عن باقي الأمم... وهذا ما عاشته شعوبنا العربية لعقود طويلة. وبالمقابل؛ فإنّ فتح آفاق الحوار في الدول الراغبة في

الاستقرار بعد التحرر يعني فتح آفاق الأمل، وآفاق التطور والعدل والديموقراطية والحياة الأفضل.

وانظر على سبيل المثال (لا الحصر) كيف أن رسول الله ﷺ فتح باب الحوار مع صحابته حتى في أحلك الظروف، فعندما نزل المجاهدون مع رسول الله في غزوة بدر وراء ماء بدر، فسأله أحد صحابته (الحباب بن المنذر): «يا رسول الله أهو منزل أنزلكه الله تعالى، فليس لنا أن نتقدّم أو نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال رسول الله ﷺ في تواضع عظيم وتقبّل لآراء الآخرين: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة»، فأخبره الحباب برأيه: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم (قريش) فننزله ونغوّر ما وراءه، ثم نبني عليه حوضًا فنملأه ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون»، بمعنى أن علينا أن نكون أمام ماء بدر لا وراءه، فنشرب ولا يشربون، فتقبّل رسول الله عليه الصلاة والسلام الرأي وغيّر موقع الجيش كله، وكان أن فتح الله تعالى عليهم بالنصر. وإن كان رسول الله وهو أعظم البشر تقبل الرأي الآخر فما بالنا نحن لا نتقبل غير آرائنا الشخصية وكأنها منتهى القول والغاية!

ونذكر أيضًا قصة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما كان يخطب في المسلمين أيام ولايته شؤونهم، فأراد أن يُحدد قيمة المهر للنساء بحيث لا يتجاوز مبلغًا معينًا، فوقفت امرأة وعارضته أمام كل من حضر، وأخبرته أن هذا ليس من حقه لأن الله تعالى قال: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ (النساء: ٤)، فالله تعالى لم يُحدد المهر وكذلك لم يحدده رسول الله ﷺ، ولم يمنعه، فكيف تحدده أنت ياعمر؟ فكان أن قبل عمر برأي المرأة بتواضع منه وتسامح واعترف قائلًا: أصابت امرأة وأخطأ عمر! فهكذا كان العظماء يتراجعون عن آرائهم حينما يرون رأيًا صوابًا سديدًا.

مبادئ أساسية للحوار الفعّال

ولكي لا يكون حوارنا حوارًا فلسفيًا أو عاجيًا أو بيزنطيًا (محاولة التفوق على الخصم بأية طريقة) أو مضيعة للوقت فإن المتحاور عليه أن يضع نصب عينيه الالتزام ببعض مبادئ الحوار التي إن تم التقيد بها فإننا حتمًا سنصل لنتائج مشتركة فاعلة مقبولة، ومن تلك المبادئ:

المبدأ الأول: تقبل رأي الطرف الآخر

كثيرًا ما يتقابل المتحاورون وفي ذهن كل منهم فكرة ذاتية دفينة بأعماقهم، مؤداها أن رأيه هو فقط الصائب المقبول، والذي لا رجعة عنه، وأن رأي الطرف الآخر هو الخاطئ المرفوض تمامًا، ولا يمكن قبوله ولا بأي حال من الأحوال! فلا يمكن أن نصل لحوار بنّاء ما دمنا نأتي للحوار وقد بيّتنا النية بعدم تغيير أي من أفكارنا أو آرائنا.. فالحوار لا يُمكن أن يحصل بين طرفين يدعي كل طرف أنه على هدى، وأنّ الطرف الآخر في ضلال مبين! فمن الصعب أن يتحقق الحوار في ظل هذا المنطق الأعوج المبني على قناعات فكرية شخصية وحزبية متصلبة، لا يمكن التراجع عنها أو تعديلها، فهنا ستبقى الهُوّة بين أطراف الصراع عظيمة، فالبعض خوفًا من الاقتناع بالرأي الآخر نجده يقفل أبواب التحاور أمام الآخرين بشتى الطرق. ولكي يتحقق الحوار المنتج المرغوب به، فلابد أن نأتي بعقلية ذهنية تقول: «إن رأيي صوابٌ يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأٌ يحتمل الصواب»، عقلية التغيير والانفتاح على رأي الآخر وتقبل له.. لأن في نهاية المطاف؛ إن لم يتم الوصول لحلول توافقية عادلة لجميع الأطراف فإن الفجوة ستزداد شيئًا فشيئًا بمرور الزمن، ويكون الخاسر الأكبر هو الوطن!

المبدأ الثاني: تقديم الأدلة والحجج المقنعة

إن الحوار الجاد والفعال هو الحوار الذي يستند على البراهين والحجج المقنعة، والذي يتخذ من الحجج العقلية سبيلًا لمعرفة الحق، وإثبات الرأي، وإقناع الطرف الآخر؛ كما نرى في منطق القرآن الكريم في الحوار (كما في حوار الأنبياء مع أقوامهم) إنه استند على الأدلة والبراهين والحجج والحقائق، وهذا هو الحوار المثمر والمنتج. أما الحوار القائم على الشكوك والتوهمات ورفع الصوت والمجادلات الفارغة، بدون برهان مقنع فلن يكون إلا حوارًا فاشلًا، وجدالًا عقيمًا، لا هدف له إلا إضاعة الوقت وإقناع الآخرين بأننا جلسنا للحوار، ولكننا لم نصل إلى شيء! فعلينا بالعمق في الحوار لأن التفكير السطحي هو الذي يغيّب العقل والنتائج، ويقطع الحوار!

المبدأ الثالث: الرغبة الصادقة في التوصل إلى حلول

عندما نعلن أننا نريد التحاور من أجل التوصل لفهم مشترك أو حل قضية عالقة، فإنه لابد أن يكون لدينا الرغبة الصادقة في الوصول للنتائج والوصول إلى الحق والصواب والتغيير لصالح الوطن، حتى لا يكون جلوسنا للحوار ضريبًا من إضاعة الوقت أو رفع العتب! فعلينا أن نعطي الآخرين فرصة للتعبير عن أنفسهم، وأن نكون موضوعيين في طرحنا وفي قبولنا للحقائق والآراء، ومن الحِكَم السديدة: «رأس الأدب كله الفهم والتفهم والإصغاء إلى

المتكلم». ومن المهم أيضًا التفاؤل بالتوصل للحلول وحل قضايا الخلاف العالقة، ومن المهم نبذ التعصب للآراء والمذاهب والأفكار والأشخاص، فالتعصب ظاهرة قديمة تمثل انحرافًا مرضيًا، ينشأ عن اعتقاد باطل بأن المرء يحتكر الحق وحده. والمتعصب لا يريد التوصل لغير رأيه والسير على هداه، منتصرًا لنفسه أو مذهبه، وهذا ما نشاهده كثيرًا في حواراتنا!

المبدأ الرابع: الالتزام بأخلاقيات الحوار

ومن أهم أخلاقيّات الحوار، الاستماع وحسن الإصغاء للطرف الآخر، وعدم مقاطعته حتى يكمل فكرته، والصدق في الطرح لا المخادعة، واللياقة واحترام الحوار واحترام الآخر، وعدم رفع الصوت فوق الدرجة الطبيعية، ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران:١٥٩). ولكن ما نتابعه اليوم من حوارات عربية تنقلها وسائل الإعلام يظهر كيف أن هذه الأخلاقيات كثيرًا ما تُنقض عراها واحدةً تلوَ الأخرى، أثناء الحوار، فيبدأ المتحاوران يقاطع كل منهما الآخر، ودون استماع أو مناقشة، ومع رفع الصوت شيئًا فشيئًا إلى أن ينتهي الحوار بالشتائم أو الضرب أحيانا! وبشكل بعيد كل البعد عن مفهوم الحوار! والملفت للنظر أننا لا نلحظ مثل تلك السلوكات في الحوارات بين الأجانب، عندما تنقلها وسائل إعلامهم، فلماذا لم نتعوّد الرقي والسمو في حواراتنا؟! إننا بحاجة للتدرب على أسلوب التحاور السليم والراقي منذ الصغر في البيت والمدرسة والمجتمع ووسائل إعلامنا، من أجل استخدامه كاستراتيجية موصولة للحلول والأفكار السديدة.

وكثيرًا ما ورد أسلوب الحوار في القرآن الكريم (كما في حوار سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع قومه، وحواره مع أبيه، وحوار موسى عليه السلام مع فرعون، وحوار موسى مع هارون عليهما السلام، وحوار يعقوب مع أبنائه، وموسى مع الرجل الصالح، وحوار صالح عليه السلام مع قومه، وسيدنا محمد ﷺ مع كفار قريش...) حيث الحوار يتوافق مع النفس البشرية وطبيعة العقل البشريّ المفكر، وقد حث الله تعالى على الحوار البناء لا المجادلة الفارغة، فقد قال عز وجل: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥). وقال رسول الله ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا» (المراء: الجدال)(رواه أبوداود بسند حسن). وقال عليه الصلاة والسلام: «فما ضلّ قومٌ بعد هدىً كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»(رواه الترمذي وصححه).

حاجتنا إلى التعامل بثقافة التسامح

أ.د. حسن عبدالغني أبوغدة
كلية التربية - جامعة الملك سعود

التسامح: من السماحة، أي: السهولة والليونة والمرونة، يقال: رجل سَمْحٌ: لَيِّن، سهلُ المعاملة لا عُقَد فيه، ومثلُ ذلك التيسير، يقال: يسّر الرجل الأمرَ: سهّله ولاَن فيه ولم يتشدّد، ومنه الحديث الذي رواه الشيخان: «يسّروا ولا تعسّروا، وبشّروا ولا تُنفّروا».

إن السماحة طيب في النفس عن كرم، وسخاء في الصدر عن نقاء، ولين في الجانب عن سهولة ويسر، وطلاقة في الوجه عن بشاشة، وذلة على المؤمنين دون هوان، وتساهل في التعامل دون غبن وغرر.

ثقافة التسامح

السماحة والتيسير من الصفات التي تحبها النفوس وتنجذب إليها القلوب بسلاسة وطواعية واختيار، وإذا ما تحققت هاتان الصفتان في إنسان ما، كانتا عونًا له على الوصول إلى قلوب الآخرين، وكسب ثقتهم وودّهم، والتأثير فيهم، ولا غَرْو بعد هذا أن نجد الإسلام يدعو إليهما ويرغّب فيهما، ويثني على من اتصف بهما، قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران:١٥٩).

وإن المتتبع لما في الكتاب والسنة ليُسرٌ من غزارة النصوص، التي ترسم معالم هدي الإسلام واهتمامه بالسماحة، ودعوته إلى التسامح والتيسير في عامة الأمور التشريعية والاجتماعية والمعيشية، ولعل أجمع وأوفى عبارة تدل على هذه المعالم قول النبي ﷺ فيما رواه أحمد: «إني أُرسِلت بالحنيفية السمحة».

السماحة والإسلام

مما لا شك فيه أن للسماحة والتيسير أثرًا واضحًا في سرعة انتشار الإسلام ودوام بقائه بين الأمم والشعوب التي اعتنقته، والتاريخ يشهد أن سرعة امتثال الأمم للشرائع ودوامهم على اتّباعها، إنما كانت على مقدار اقتراب تلك الشرائع من السماحة والتيسير، فإذا بلغت بعض الشرائع من الشدة حدًا يتجاوز أصل السماحة، لحقت الشدة والمشقة والعنت بأتباعها، ولا يلبثون إلا أن ينصرفوا عنها أو يفرطوا في بعض تعاليمها.

وتفاديًا من الوقوع في هذا الجانب السلبي وصّى النبي ﷺ معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري حينما أرسلهما داعيَيْن إلى اليمن، وقال لهما: «يسّرا ولا تعسّرا، بشّرا ولا تنفّرا»(رواه الشيخان).

يقول غوستاف لوبون: الحق أن الأمم لم تَعْرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، ولا دينًا سمحًا مثل دينهم.

ويقول الكونت هنري دي كاستري: درست تاريخ النصارى في بلاد الإسلام، فخرجت بحقيقة مشرقة هي: أن معاملة المسلمين للنصارى تدل على لطف في المعاشرة، وهذا إحساس لم يُؤثر عن غير المسلمين... فلا نعرف في الإسلام مجامع دينية، ولا أحبارًا يحترفون السير وراء الجيوش الغازية لإكراه الشعوب على الإيمان...

ويقول الفيلسوف جورج برناردشو: الإسلام هو الدين الذي نجد فيه حسنات الأديان كلها، ولا نجد في الأديان حسناته، ولقد كان الإسلام موضع تقديري السامي دائمًا؛ لأنه الدين الوحيد الذي له مَلَكَة هضم أطوار الحياة المختلفة، والذي يملك القدرة على جذب القلوب عبر العصور، وقد برهن الإسلام من ساعاته الأولى على أنه دين الأجناس جميعًا؛ إذ ضَمّ سلمان الفارسي، وبلالًا الحبشي، وصهيبًا الرومي، فانصهر الجميع في بوتقة واحدة.

أبدية استمرار السماحة والتيسير في الإسلام

لقد حافظ الإسلام ولايزال على استدامة وصف السماحة والتيسير لأحكامه، فما من أمر تعتريه شدة أو مشقة غير عادية إلا انفتح أمامه باب التيسير والرخصة والسماحة، حتى لو كان فيه الكفر بالله تعالى ظاهرًا لا حقيقة، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾(النحل:١٠٦).

بل إن النبي الكريم ﷺ دعا إلى الإقبال على رخص الله تعالى ورغّب في إتيانها أبد الدهر في عموم ظروفها الزمانية والمكانية فقال: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ»(رواه أحمد والدارقطني). وفي رواية أخرى للطبراني قوله: «ليس من البرّ الصيامُ في السفر، وعليكم بالرخصة التي أرخص الله لكم فاقبلوها».

صور من ثقافة السماحة

تعتبر الأسرة حجر الزاوية في البناء الاجتماعي، ولذلك أولاها الإسلام عنايته وحباها بيسره وسماحته في جميع المراحل والمواقف التي تمر بها، ومن ذلك سماحه بنظر المخطوبَيْن إلى بعضهما، وحثه على ذلك؛ ليكون أعون لهما على مزيد من التآلف والتقارب النفسي والتفاهم الحياتي في المستقبل، روى الشيخان أن المغيرة بن شعبة خطب امرأة فقال له النبي ﷺ: «انْظُر إليها، فإنه أَحْرى أن يؤدم بينكما».

ومن الأمور الأسرية التي حظيت بالسماحة الإسلامية: تقليل المهور وعدم المغالاة فيها، فقد حث الإسلام على تيسير الزواج وأسبابه على الشباب، الذين لم يتوغّلوا بعد في الحياة، ولم يجمعوا الكثير من أموالها وثرواتها، وفي الحديث الذي رواه أحمد: «إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤونة».

ومن صور السماحة الأسرية أيضًا ممارسة المزاح مع أفراد الأسرة

بجميل القول ومستحسن الفعل، وذلك باختيار الألفاظ الحلوة الجميلة، والأسلوب اللطيف المهذب، الذي تتطلع إليه النفوس وتسعد به القلوب، أخرج ابن عسكر عن ابن عباس أن رجلًا سأله: أكان رسول الله ﷺ يمزح؟ قال: نعم، فقال: ما كان مزاحه؟ فقال ابن عباس: كسا النبي ﷺ بعض نسائه ثوبًا واسعًا، وقال: «البسيه واحمَدي الله، وجُرّي من ذيلك هذا كذيل العروس». وفي هذا ممازحة النبي ﷺ لزوجته ومداعبتها من خلال تشبيهها بالعروس وتذكيرها بأيام البهجة والفرح، وهو ما تحبه كل امرأة.

في التعامل الاجتماعي

حث الإسلام على التسامح والتيسير في عموم معاملات الناس، ومن صور التسامح في مجال العلاقات الاجتماعية: دعوة الإسلام إلى تفقد الأهل والأصحاب وترغيبه في السؤال عنهم وصلتهم ومبادرتهم بالزيارة، وإن كانت منهم قطيعة وهجران وإساءة... روى الحاكم وصححه أن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كنّ فيه حاسبه الله حسابًا يسيرًا، وأدخله الجنة برحمته، قيل: وما هي يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال: تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمّن ظلمك».

ومن صور السماحة تطييب قلوب المهمومين ومؤانستهم وإدخال السرور إلى نفوسهم، روى البيهقي وابن سعد عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ دخل على أبي طلحة، فرأى ابنًا له يكنى أبا عمير حزينًا، فقال: «مالي أرى أبا عمير حزينًا؟»، قالوا: مات نُغَرُه الذي كان يلعب به، قال: فجعل النبي ﷺ يمازحه ويقول: «يا أبا عمير، ما فعل النُغَيْر؟». والنُغَيْر: فرَخُ العصفور.

ومن هذه السماحة: الدعوة إلى برّ غير المُسْلمين من الأشخاص المَسالمين، والإحسان إليهم وصلتهم بالمال والهدايا والزيارة ونحوها، فربما كان ذلك سبيلًا إلى تأليف قلوبهم وتعرّفهم إلى الإسلام ومحاسنه وفضائله، قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(الممتحنة: ٨).

ومن هذه الوقائع أيضا ما رواه الشيخان: أنه كان لعمر بن الخطاب أخ غير مسلم قد بقي على دينه، فأهداه عمر ثوبًا من حرير، كان قد أعطاه إياه النبي ﷺ.

وخلاصة ما سبق: أن سماحة الإسلام تسع الناس جميعًا، وهي من عوامل انتشاره وبقائه حيًا نابضًا إلى اليوم، وهذه الحقيقة هي ما تضيق بها صدور كثير ممن لم يفقهوا الإسلام، ولم يتعمقوا في دراسته ومعرفة تشريعاته ومقاصده، فحسبوه شدة وعنفًا وخشونة وغلظة مع الآخرين.

لقد شملت هذه السماحة الإسلامية الكبار والصغار، والرجال والنساء، والمتعلمين والأميين، المسلمين وغير المسلمين، في الأمور الخاصة والعامة، وفي الأمور التشريعية والاجتماعية، والمعيشية والشخصية.

ولايزال الإسلام يشمل بسماحته الأعداء مثلما يشمل الأصدقاء، أو ليس النبي الكريم ﷺ هو القائل لقريش في فتح مكة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»! وهم الذين عذّبوه، وآذوه، وقتلوا بعض أصحابه، وكادوا له ولدعوته، وأخرجوه من مكة بلده ومسقط رأسه؟!. فما أعظم سماحة الإسلام، وما أجمل تعاليمه وقيمه؟!.

الخصومة الفاجرة

د. مسعود صبري - باحث في وزارة الأوقاف الإسلامية - الكويت

رغم تغني كثير من الناس بقبول الخلاف، وأن اختلاف الطباع والنفوس من فطرة الله تعالى في خلقه، وأن هناك كثيرا من الأمور ما هو نسبي قابل لأن يفهم على وجه ووجه آخر، إلا أنه عند التطبيق العملي لا تجد مثل هذه الكلام المعسول، حتى أضحت النصفة والتجرد عملة نادرة أندر من الكبريت الأحمر، قل أن تكون في كاتب، وندر أن تكون في قائل، فأضحى الخلاف سببا للنفور بين الناس، بل تعدى ذلك إلى الخصومة الفاجرة بينهم، فأوغرت الصدور، وتفرقت القلوب، وقد حذر الرسول ﷺ من الخصومة الفاجرة وذلك في حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه كان منافقا، ومن كانت فيهن خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر».

والفجور في الخصومة هو أن يميل في الخصومة عن الحق، وأن يقتحم الباطل، وأن يزور الحقائق حتى يثبت للغير أنه على صواب، وأن خصمه على باطل، فيصاب الإنسان بعمى الفكر، وانطماس القلب.

وذلك أن الإنسان قد يجتمع فيه إسلام وجاهلية، وتكون في مقابل إسلامه جزءا يسيرا ، كما ورد في حديث المعرور أنه لقي أبا ذر رضي الله عنه، وعليه ثياب جميلة، وعلى غلامه ثياب جميلة مثله، فسأله عن سر أنه يلبس خادمه مثل ثيابه، فقال له أبو ذر رضي الله عنه: إني سابت رجلا، فعيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: «يا أبا ذر أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم».

مظاهر الخصومة الفاجرة:

الأول: السب والشتم:

ومن أخطر مظاهر الفجور في الخصومة هو التحول من الاختلاف في الرأي والتعبير عن ذلك الاختلاف إلى السب والشتم والرمي بالأشياء القبيحة والبهتان، فوجدنا من يصف بعض الناس بالخرفان والنعاج وغيرهما من بذيء الكلام.

الثاني: نسيان الفضل:

ومن مظاهر الفجور في الخصومة أن ينسى كل خصم ما للآخر من فضل سابق، وجهاد مبذول، وعمل محمود، فيحاسبه ربما على خطأ فينقلب عليه رأسا على عقب، وقد يكون هو مخطئ في حكمه.

وقد حثنا الشرع الحنيف إلى الميزان العدل في القول والفعل، وألا تكون الخصومة والاختلاف سببا في أن نقلب الحق باطلا والباطل حقا، أيا كان صاحبه، كما قال ربنا سبحانه: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨).

إن من الصواب أن نحكم على إنسان في موقف من المواقف أنه مخطئ، غير أن هذا لا يتعدى إلى أن نحكم عليه بالكلية بل نحكم على موقفه، إلا إذا غلب على مواقفه أنها كلها خطأ، ونصطحب في هذا قول الشافعي رحمه الله: «رأي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب»، فما تراه أنت صوابا فهو في عين الآخر خطأ، والعكس بالعكس.

الثالث: ضياع الحق:

ولكن الأخطر في الخصومة الفاجرة بذاءة اللسان، وأن يتحول الخلاف والخصومة إلى فجور فيها، فلا يكون هم الإنسان أن يبين رأيه بقدر ما يكون همه نسف الخصم الذي يختلف معه، فيضيع الحق حين يكون هذا منهج الخلاف والخصام.

الرابع: تنحية الدين

ثم من أخطر الأمور في الخصومة الفاجرة أن ينحى الدين جانبا، فلا يقبل الإنسان أن يحكم كلامه وموقفه على مبادئ الدين والشريعة، بل يريدها أن تكون على مبادئ الهوى وما يعتقده، وحال لسانه يقول: رأيي صواب لا يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ لا يحتمل الصواب.

الحِوار.. فريضةٌ غائبة حانَ أذانُها

السنوسي محمد السنوسي- كاتب صحفي

ما أكثرَ الفرائضَ الغائبة في حياتنا!
وما أشدَّ حاجتَنا إليها!
و«الحوار» إحدى تلك الفرائض التي انزوت عن سمائنا، مع غياب شمس حضارتنا وأفول نَجمها، حتى رأينا هذا الضيق بين أبناء الأسرة الواحدة، فضلاً عن أبناء المجتمع الواحد، ناهيك عن أبناء الوطن الواحد والحضارة الواحدة!
لعَمرُكَ ما ضَاقتْ بلادٌ بأهلها
ولكنَّ أخلاقَ الرجالِ تَضِيقُ

ولا أعني بـ«فريضة الحوار» أنه من قبيل تلك الفرائض التي حدَّدتها النصوص وصرَّحت بها، بل أعني أنه من قبيل الأسس والركائز والمفاهيم التي رسَّخها الإسلام وحضَّ عليها، بحيث غَدَتْ كأنها فريضة من فرائضه، أو أصبحت سِياجًا ضروريًّا لإقامتها.

إن الله سبحانه- وهو الربُّ الأعلى، وخالق الكون، ومالكُ أمره- قد حاور الآبق إبليس، على النحو الذي سجّله القرآن الكريم بتفصيل في أكثر من موضع.. مع أن إبليس قد استحق العقوبة بمجرد الامتناع عن تنفيذ الأمر بالسجود لآدم، والعصيانُ حينئذ سببٌ كافٍ لرفض الحوار من الطرف الأعلى، الذي بإمكانه أن يعاجل العاصي بالعقوبة المستحقة.

لكن الحوار هنا في قصة الآبق إبليس، إنما هو تفضُّلٌ من الله سبحانه ليقيمَ عليه الحجة، ويقطع عليه الأعذار، كما أنه توضيح وتعليم

لأمم آتيةٍ من المهم أن تطلع على المزيد عن إبليس، وكيف يفكر، ولِمَ يعاند؟ لتكون على حذر وبيِّنة.

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، كان الحوار رسولَهم في البلاغ والبيان والتواصل مع أقوامهم، ولم يَضيقوا ذَرْعًا بالردِّ على شُبهة محاور، أو مناكفة مجادل، بل كان نَفَسُهم في الحوار والنقاش أطولَ من خصومهم الذين خشُوا على أنفسهم- ولا أقول على غيرهم فحسب- من مجرد الاستماع لآيات الله، تُتلى، فصمُّوا آذانهم، وتواصَوا بين بعضهم البعض: ﴿لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ (فصلت: ٢٦).

وكان حريًّا بهم- لو يملكون ما يدافعون عنه باقتناع وتجرُّد- أن يستمروا في الحوار حتى يتضح أيُّ الفريقين أهدى سبيلاً، لكنهم عجزوا حتى عن الحوار.

وقد رأيت أن يكون مدخلي لـ«الحوار» هو تناول معنيين من المعاني اللغوية للكلمة، وهما معنيان: الجمال والنصرة.

الحوار.. جَمَال:

إذا كان من المعاني اللغوية لمادة «حور» ما يدل على الجمال، سواء جمال العين، أو جمال المرأة بصفة عامة، حتى وصف القرآن نساءَ الجنة بالحُور فقال: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ (الرحمن: ٧٢). وجاء في «المفردات»: «الْحَوَرُ: قيل ظُهورُ قليل من البَياض في العَيْن من بين السَّواد، وأَحْوَرَتْ عَينُه، وذلك نهايةُ الْحُسْن من العَين»(١). وفي «لسان العرب»: «وَالْحَوْرَاءُ: الْبَيْضَاءُ، لا يَقْصِدُ بِذَلِكَ حَوَرَ عَيْنِهَا. وَالأَعْرَابُ تُسَمِّي نِسَاءَ الأَمْصَارِ حَوَارِيَّاتٍ لِبَيَاضِهِنَّ»(٢).

أقول: إذا كانت هناك صلة بين الحوار والجمال، فلا شك أن دلالة

كم خسرت أمتنا بسبب غياب الحوار على مستويات الحياة كافة التربوية والثقافية والاجتماعية والسياسية!

الحوار على جمال العقل أَوْلى من دلالته على جمال الظاهر فإن العقل الجميل هو الذي يبحث عن الحقيقة، ويقبل النقاش والحوار، ويُفسح المجال لما يخالفه، ولا يُعرض عما لا يقبله مما يجوز فيه التعدد والتنوع.

أما العقل الذي لا يكون هذا وَصْفَه، فإن في تسميته «عقلاً» شكًّا من الأساس!

الحوار.. نُصْرَة:

ومن معاني «حور» أيضًا: النُّصْرَة، لذلك سُمي أنصارُ نبيِّ الله عيسى ابن مريم: حواريين، جاء في «المفردات»: «الحَوَارِيُّونَ: أَنْصَارُ عيسى عليه السلام.. وقوله صلى الله عليه وسلم: «الزبَير ابنُ عمِّتي وحَوَارِيِّ»(٣)، وقوله أيضًا: «لكلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ، وحَوَارِيِّ: الزبَيرُ»(٤)، تَشْبِيهٌ بهم في النُّصْرَة، حيثُ قال: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٥٢)»(٥).

قلتُ: نعم، الحوار نصرة، لكنها نصرة الحق والحقيقة والموضوع، لا نصرة الذات والشخص والنفس، ويوم ينقلب الحوار إلى نصرة غير الحقيقة فإنه يصير لَجَاجَةً وخِصَامًا، وهي من ملحقات المناظرة لا المحاورة. فالحوار المثمر يتطلب التجرد عن حظوظ النفس، وهذا لا يكون إلا إذا كان الهدف نصرة الحق لا الذات.

وهل صارت «حواراتنا» على المستوى الاجتماعي والسياسي، بلا جدوى- حتى فقدت كلمة «الحوار» معناها ومصداقيتها، وصارت دلالةً على استهلاك الوقت والجهد- إلا لأن الانتصار فيها كان للنفس لا الحقيقة؟!

الْحوَار.. طَرَفَانْ:

ومما يقتضيه الحوار بطبيعته أنه يكون بين طرفين- أو أكثر- يتبادلان النقاش والرأي، ويعرض كلٌّ منهما ما لديه، سعيًا لجمع الفائدة من كلا الاتجاهين، والوصول إلى أفضل خلاصة.

وحتى حديث الإنسان إلى نفسه، يصحُّ أن يُسمَّى حوارًا، إذا قابل الإنسان بين الأفكار المختلفة، وأجرى نقاشًا بينها. وهنا يكون التعددُ المطلوب في الحوار، تعددًا بين الأفكار وليس بين الذَّوات.

فالحوار قرين التعددية والإقرار بالتنوع، ولا يُتصوَّر «الحوار» بوجود طرف واحد، إلا إذا كان تَلَقينًا- كما في معظم مدارسنا وجامعاتنا، للأسف- أو كان خداعًا للنفس، كما هو حال «الحوارات السياسية» التي يدخل فيها كلُّ طرف، وهو لا يستمع إلا لمطالب نفسه، وكأنه وحْدَهُ بالقاعة.

الحوار يستلزم ابتداءً التسليمَ بوجود الآخر، وحقِّه في صواب الرأي ومشاركة الفعل. فإذا اعتقد الإنسان أن غيره لا يقول صوابًا أبدًا، أو لا حقّ له في العمل وإثبات الذات، فإنه تلقائيًّا يرفض الحوار، أو يتخذه سبيلاً لمضيعة الوقت واستهلاك الجهد، لا سبيلاً إلى بناء الجسور، وتفادي الصدام.

إن من يرفض التعددية والتنوع، ولا يرى إلا ذاته ومطالبه، ويرفع شعار: «رأيي صواب لا يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ لا يحتمل الصواب»، هل يؤمن بالحوارِ وسيلةً للتفاهم؟! وهل

إذا شارك في «جلسات الحوار» سيكون حريصًا على إنجاحه، ومستعدًا للتنازل عن بعض النقاط للوصول إلى حل؟!

الحوار.. توليدٌ للأفكار(٦):

فضلاً عن كون الحوار هو الوسيلة المُثلى- والوحيدة- لإدارة الخلاف والاختلاف دون خسائر، فإنه أيضًا إحدى الوسائل المهمة لقَدْح زِنَاد العقل، وتوليد الأفكار، وعَصْف الأذهان، والتحريض على التجديد والابتكار.

جرِّبْ أن تفكِّر وحدك في موضوع ما، ثم أدِرْ حوارًا جماعيًّا حول ذات الموضوع، ثم انظر أيّ الطريقتين تخرج منهما بخلاصات أعمق وأفضل.

إن خير طريقة لتوليد الأفكار، أن تجعل الفكرة تتلاقح مع أفكار أخرى، فإذا أنت أدرتَ حوارًا داخليًّا مع نفسك، تلاقحت الأفكار بدرجة ما، لكن إذا تحاورتَ مع الآخرين، صارت الفرصة أكبر للتعرف على عوالم أخرى، ومداخلات وحلول أكثر.. وكفى بهذه فائدة للحوار.

ولا شك أن نجاح هذه العملية يستدعي أن تنتقي من تحاورهم وتستطلع آراءهم، بأن يكونوا من ذوي الخبرة، والقابلية للتواصل مع الآخرين بأَرْيَحِيَّة وإخلاص.

الحوار.. ثقة:

إذا كان الحوار يهدف- ضمن ما يهدف إليه- إلى إقناع الآخرين بوجهة نظر معينة، فإن هذا يعني بالضرورة أن يكون المحاور على ثقة تامة بما يعتقد ويحاور الآخرين فيه. ولذا، فالشخص الذي يعتمد في عقيدته وبناء مفاهيمه على التقليد، تجده يخشى من الحوار، ولا يستسلم بسهولة لعرض آرائه أمام الآخرين، خشيةَ انتقادها، مما يُلجِئه إلى الانزواء، والتمادي في التقليد والتبعية.

لكن الدخول في حوارات ونقاشات مفتوحة، يجعل المرء أكثر ثقةً بما لديه، وأكثر قدرةً على التحاور مع الآخرين بشأن أفكاره.

ولمَّا كان القرآن الكريم تنزيلَ ربِّ العالمين، ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٢)، فإنه لا يخشَى من محاورة الآخرين، ولا من عَرْض آرائهم بصدق وأمانة للرد عليها وتفنيدها، بل يرفع شعارًا لم يُسبَق إليه، وهو: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾. وقد وردت هذه الكلمة في أكثر من موضع من القرآن، منها عند الرد على زعم أهل الكتاب أنه: ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ (البقرة: ١١١)، وعند الرد على من أشركوا بالله و﴿اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً﴾ (الأنبياء: ٢٤).

والإسلام بشعاره: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾، يغرس الثقة به في نفس المسلم، ويجعله على يقين جازم وإيمان راسخ، فضلاً عما يشير إليه هذا الشعار من أن «البرهان»- لا السيف- هو طريق الإسلام للإقناع والحوار، والجدال بالتي هي أحسن. ولا تلتفتْ إلى أكاذيب وافتراءات خصوم الإسلام.

من يرفع الأذان؟

كم خسرت أمتنا بسبب غياب الحوار على مستويات الحياة كافة، التربوية، والثقافية، والاجتماعية، والسياسية وكم جرّنا ذلك إلى أنّ الصدامَ يكاد يكون ثقافة مترسخة حتى داخل الأسرة الواحدة، بل حتى بين الإنسان ونفسه!

فغابَ الصفاء الذاتي، والترابط الأسري، والتماسك الاجتماعي، وحلّ التناحر والشقاق، وتبعثرت الجهود والطاقات في معارك وهمية، ما كان لها وجود من الأساس لو أنّا اعتمدنا الحوار طريقةً، لا أقول لحلِّ الخلاف، بل لإدارته.

وإذا كان ديننا يُقرُّ ويعترف بالتعددية، والاختلاف على مستوى المعتقَد: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (هود: ٩٩)، فإن الاعتراف بالتعددية والاختلاف فيما دون المعتقد، هو أيسر وأقل كُلْفَة.

وحينئذ، لا مفر من إدارة هذا التنوع إلا بالحوار، لتتكامل الجهود لا تتعارض، وتتواصل الجسور لا تنقطع.

عند عدم الحوار، الطرفان خاسران، حتى لو كان أحدهما يظن أنه انتصر بسبب أنه أقل خسارة.

الحوار ضرورة إنسانية، وركيزة إسلامية، وفريضة غائبة حان أذانُها.. فمن يرفع الأذان، ويجيب النداء؟

يا قومنا، تعالَوا إلى كلمة سواء، فإن الشيطان قد رَضِي بالتحريش بينكم، فاقطعوا الطريق على حَالِقَة الدِّين وحارقة الأوطان.. ثبتّ اللهَ خُطاكم على طريق الحوار البنَّاء، الذي يؤلف القلوب، ويُثري الأفكار، ويشيد الأوطان..

الهوامش

(١) «المفردات في غريب القرآن»، الراغب الأصفهاني، ص: ١/ ١٧٨، مكتبة نزار مصطفى الباز، بدون تاريخ.

(٢) «لسان العرب» لابن منظور، من «المكتبة الإسلامية» على موقع «إسلام ويب».

(٣) روى أحمد في مسنده، في «أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين» عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ، وَحَوَارِيِّ الزُّبَيْرُ وَابْنُ عَمَّتِي».

(٤) رواه البخاري ومسلم عن جابر بن عبدالله.

(٥) «المفردات»، الأصفهاني، ص: ١/ ١٧٨، بتصرف يسير.

(٦) استفدت هذا المعنى من المفكر الفلسطيني د. أحمد صدقي الدجاني- رحمه الله- لكن غاب عني الآن اسم كتابه.

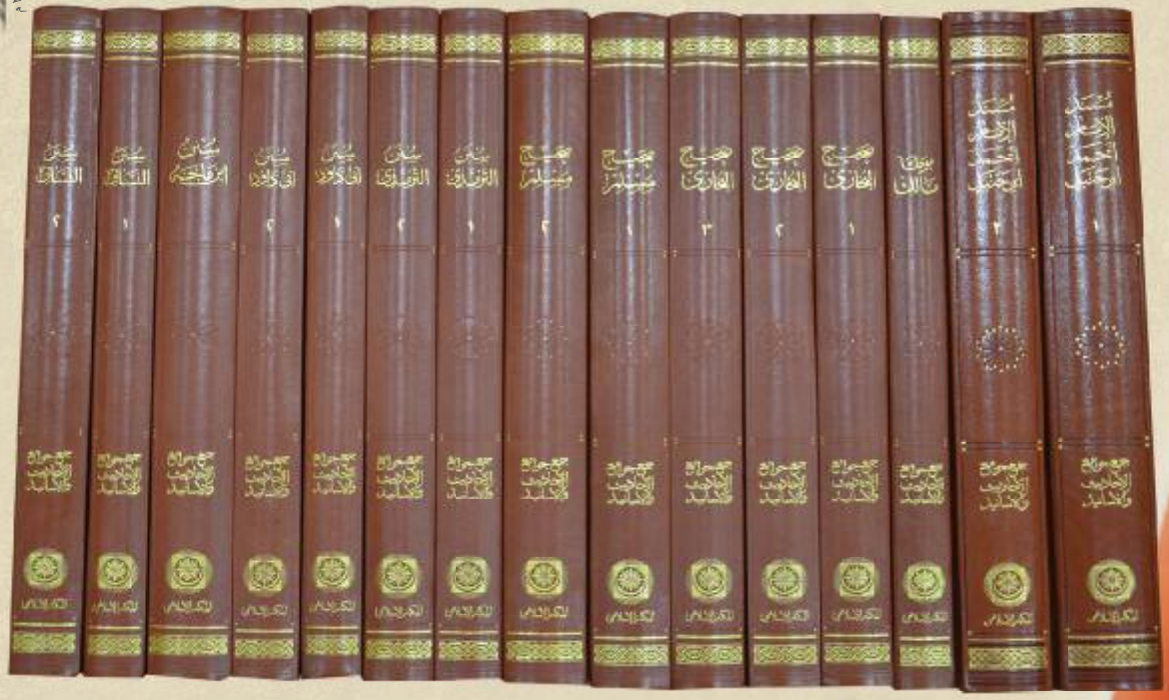

المَضَامين الإنسانيّة والتربويّة والتعليميّة في حِوَارَات النَّبي ﷺ

عبد بن محمد بركو- باحث مغربي

عَلَّمَ النَّبي ﷺ -بما آتاه الله من الهُدى والفرقان- الناس المبادئ الإنسانية الحقّة والقيم التربوية والتعليمية الفاضلة التي أرشدت الناس إلى التفكير السّديد في الدِّين الصحيح، والرأي الصائب، والقول الحسن، والحوار الرصين.

وسنسلط الضوء على جوانب مهمة من المَضَامين الإنسانية والتربوية والتعليمية في حواراته وأحاديثه الشَّريفة ﷺ، عِلمًا بأنَّ هذه المضامين بحاجةٍ إلى كتابٍ كامل.

الإنسان هو أحد أفراد الجنس البشري، أو هو كلُّ آدمي، مهما اختلفت الأشكال والألوان والصفات. وقد اختار الله تعالى الإنسان من سائر خلقه، وميّزه على غيره، وكلّفه إعمار الأرض بعد أن شرَّفه بالنَّفخ فيه من روحه. كما كرَّم الله تعالىَ الإنسان على سائر المخلوقات الأخرى وجعله هَدَفًا في ابتعاث الرسل، وإنزال الكتب.

وقد انطوتْ حوَارَات النَّبي ﷺ مع أصحابه الكرام، والناس أجمعين بمختلف أشكالهم وألوانهم وأديانهم على مَضامين إنسانية عظيمة، كون

الرسالة التي نزلت عليه موجّهة إلى البشر كافة.

وقد ظهر البُعد الإنساني كطابع مهم في الكثير من أحاديث النَّبي ﷺ، والعديد من حواراته ومناقشاته الخاصّة والعامة مع أزواجه وأقاربه وأصحابه وسائر الناس.

وفي الحديث النَّبوي الحواري: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السَّماء»(١).

ومن الوصايا الإنسانية العظيمة لرسول الله ﷺ لمن يُرسله للدفاع عن المسلمين والجهاد: «انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله، لا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا طفلاً، ولا امرأة، ولا تغلوا، وضعوا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا، إنَّ الله يحبُّ المحسنين»(٢).

وحَاربَ رسول الله العصبية القبلية الجاهلية المَقيتة، فعن جبير بن مطعم أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «ليس منّا من دعا إلى عصبية، وليس منّا من قاتل على

ركز النبي ﷺ في حواراته وأحاديثه مع أصحابه الكرام على تربية الإنسان بعامة والطفل بخاصة

عصبية، وليس منّا من مات على عصبية»(٣).

كما حَاربَ الرسول ﷺ العصبية العنصرية القومية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله قد أذهب عنكم عصبيَّة الجاهلية -الكِبر، والنخوة بها- وفخرها بالآباء، مؤمن تقيّ، وفاجر شقيّ، أنتم بنوآدم وآدم من تراب، ليدعن رجالٌ فَخْرَهم بأقوام، إنما هو فحمٌ من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن»(٤).

وحَاوَرَ النَّبي ﷺ أصحابه الكرام حول كثير من الجوانب الإنسانية العظيمة كاحترام الأرقاء، وحسن معاملتهم، ومنع ضربهم.

روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «إخوانُكم خَوَلكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفُوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»(٥).

المَضَامين التربوية

كان الإنسان محور التربية القُرآنية، حيث اتجه الإسلام أصلاً إلى تربية الإنسان تربية شاملة متكاملة، في مختلف النواحي الجسدية والروحية والعقلية والأخلاقية والنفسية والاجتماعية.

لقد رَبّى النَّبي ﷺ النفوس وغَذّى الأرواح وهَذَّب السُّلوك وبنى العقول النَّيِّرَة.

«وكان من نتيجة التربية الإسلامية لبناء الإنسان الكامل أولاً، أنها كانت الباعث الرئيسي، والسبب في اعتناق ملايين الناس الإسلام، والإقبال عليه، وقبوله عقيدة وشريعة، ليتفيؤوا ظلاله، وينعموا بخيره، لأنه التقى مع الفطرة السليمة، وحقَّق لهم ما يصبون إليه من معاني الإنسانية الصادقة، والواقعية، وأنه يؤمِّنُ السعادة والرفاهية، التي يتطلع إليها الإنسان في الدنيا والآخرة»(٦).

لقد ركَّزَ النَّبي ﷺ في حواراته وأحاديثه مع أصحابه الكرام على تربية الإنسان بعامة، والطفل بخاصة، حيث يحتاج إلى الرعاية والمحبة، والاهتمام، والحنان، والعدل في المعاملة.

روى الشّعبي أن رسول الله ﷺ قال: «اعدلوا بين أولادكم في العطايا، كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البرِّ»(٧).

وروى النعمان بن بشير رضي الله عنه أن أباه أعطاه عطية، ولم يعطِ إخوته، وأراد أن يُشْهِد على تصرُّفه رسول الله ﷺ، فسأله (عليه الصلاة والسلام): «هل أعطيت كلَّ أولادك مثل هذا؟» قال: لا، فقال (عليه الصلاة والسلام): «فاتقوا الله، واعدلوا بين أولادكم» وفي رواية قال: «لا تشهدني على جَوْر، وإنَّ لبَنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم»(٨).

ولاشك أنَّ هذا هو المبدأ التربوي السليم الذي يترك أثرًا حسنًا على الأطفال، لأنَّ تفضيل أحد الأطفال على إخوته يعدُّ من أساليب التربية القديمة الخاطئة التي ألغتها التربية الإسلامية وأحلت مكانها أساليب تربوية رشيدة.

وعلّم النَّبي ﷺ أصحَابَه الكرام رضي الله عنهم أن يحُسنوا تربية أولادهم بالمناقشة المقنعة والحوار الرشيد.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالوا: يا رسول الله! قد عَلِمْنَا ما حقُّ الوالد، فما حقُّ الولد؟ قال: «أن يُحْسِنَ اسمَه، ويحسنَ أدبه»(٩).

وشدّد رسول الله ﷺ في حواراته وأحاديثه الشّريفة على برّ الوالدين والإحسان إليهما، كمبادئ تربوية رَاشدة في الحياة الدنيا ووسيلة مهمة لابتغاء مرضاة الله تعالى.

سُئل رسول الله ﷺ عن أحق الناس بالصُّحبة والبرّ من أهله، فأجاب رسول الله: ﷺ «أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أباك، ثم أدناك أدناك»(١٠).

وعلَّمَ النَّبي ﷺ أصحَابه الكرام رضي الله عنهم الكثير من المبادئ التربوية الحميدة التي تركت أثرًا إيجابيًا كبيرًا انعكس على حياة الفرد والأسرة والمجتمع.

قال رسول الله ﷺ: «إياكم والجلوسَ في الطرقات. فقالوا: ما لنا بدٌ، إنما هي مجالسُنا نتحدثُ فيها. قال: فإذا أبيتم إلا المجالسَ، فأعطوا الطريقَ حقَّها. قالوا: وما حقُّ الطريق؟ قال: غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، ورَدُّ السلام، وأمرٌ بالمعروفِ، ونهيٌ عن المنكرِ»(١١).

وأكَّدَ رسول الله ﷺ على أهمية تربية الأولاد وتأديبهم وتهذيبهم، قال ﷺ: «لأن يؤدِّب أحدكم ولده خير من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع على المساكين)(١٢).

وبَيَّنَ رسول الله ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم والمسلمين كافة أن المسؤولية التربوية ملقاة على عاتق الجميع، الفرد والأسرة والمجتمع.

قال ﷺ: «كلكم راعٍ، وكلُّكم مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها»(١٣).

ثم تأتي مسؤولية تربية الأولاد ورعايتهم، وقد أوصى رسول الله ﷺ باتخاذ الصَّديق الصالح وحذّرَ من رفيق السّوء.

قال ﷺ «مثلُ الجليس الصَّالح، والجليس السوء كحامل المسك، ونافخ الكير»(١٤).

المَضَامين التعليمية

أول كلمة وآية نزلت من الله العَليّ القَدير على رسول الله ﷺ كانت في طلب القراءة والعلم والحثّ على المعرفة.

قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾ (العلق: ١-٥).

وتوالت الآيات الكريمة التي تحثُّ على العلم، والفكر، والمعرفة، وتبيّن فضل العلماء.

وقد حثَّ رسول الله ﷺ على طلب العلم، ولم يجعله مجرَّد حقّ لصاحبه، بل هو واجبٌ وفرض، وليس واجبًا دنيويًا، وقضائيًا في الدنيا، يُسأل عنه أمام الدولة والسلطة، بل هو فرضٌ دينيٌ يسأل عنه في الدّنيا والآخرة» (١٥).

قال رسول الله ﷺ «طلب العلم فريضةٌ على كل مسلم»(١٦).

ثم بَيَّن ﷺ فضل العلم والعلماء، فيما رواه عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: مرَّ رسول الله ﷺ بمجلسين في مسجده، فقال: «كلاهما خيرٌ وأحدهما أفضل من صاحبه، أما هؤلاء فيدعون الله، ويرغبون إليه، فإن شاء أعطاهم، وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه والعلم، ويُعلِّمون الجاهل، فهم أفضلُ، وإنما بعثت معلِّمًا، ثم جلس بينهم»(١٧).

وأوصى رسول الله ﷺ بتأديب الأولاد ذكورًا وإناثًا وتعليمهم. فقال ﷺ: «مُروا أولادكم بالصَّلاة، وهم أبناء سبع»(١٨).

وقال ﷺ: «عَلِّمُوا أبناءكم السِّباحة والرمي، والمرأة المغزل»(١٩).

وهكذا كان رسول الله ﷺ -بما آتاه الله من الهُدى والفُرقان- مدرسة إنسانية وتربوية وتعليمية عظيمة، ستظلُ الأمة الإسلامية والإنسانية جمعاء تنهل من معينها الرقراق كل المبادئ التربوية والقيم الفاضلة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

الهوامش

١- هذا جزء من حديث رواه الترمذي عن ابن عمرو مرفوعًا، وأوله «الرّاحمون يرحمهم الرحمن». وروى البخاري ومسلم والترمذي عن جرير قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يرحم الناس لا يرحمه الله» (رواه أبوداود: ٢-٦٢٥ تحفة الأحوذي: ٦-١٩،٥١).

٢- رواه أبوداود عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا، الفتح الكبير (١-٢٨٢).

٣- رواه أبو داود: (٢-٦٢٥).

٤- رواه أبوداود: (٢-٦٢٤). والترمذي وحَسّنَه (١٠-٤٥٥).

٥- صحيح البخاري: كتاب الإيمان، (١-٣٣).

٦- السيّد، د.محمود: معجزة الإسلام التربوية. ص٤٠ -٤١.

٧- صحيح البخاري:(٤-١٩١٩).

٨- رواه البخاري: ٢-٩١٣، صحيح مسلم:١١-٦٥، مسند الإمام أحمد، ٤-٢٦٩، ٢٧١.

٩- رواه البيهقي عن ابن عباس: فيض القدير: ٣-٣٩٤.

١٠- صحيح مسلم: (١٦-١٠٢).

١١- صحيح البخاري: (٢-٨٧٠)، صحيح مسلم: (١٤-١٠٢).

١٢- رواه الترمذي والطبراني عن جابر بن سمرة (تحفة الأحوذي ٦-٨٢، الفتح الكبير ٣-٥).

١٣- صحيح البخاري: (٠١-٣٠٤)، صحيح مسلم (١٢-٢١٣).

١٤- رواه البخاري عن أبي موسى مرفوعًا، صحيح البخاري: (٢-٧٤١).

١٥- الزحيلي، د.محمّد: حقوق الإنسان في الإسلام، ص٢٦٨.

١٦- رواه ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (١-٨١).

١٧- سنن ابن ماجه: (١-٨٣)، سنن الدارمي: (١-٨١).

١٨- هذا جزء من حديث رواه أبوداود والترمذي والإمام أحمد والحاكم عن ابن عمر مرفوعًا (الفتح الكبير: ٣-١٣٥). مسند الإمام أحمد: (٢-١٨٧).

١٩- رواه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر مرفوعًا (الفتح الكبير ٢-٢٣١).

تراثنا العلمي والحديث عن حوار الحضارات وتعدد الثقافات

د. يسري عبدالغني عبدالله
خبير في التراث الثقافي

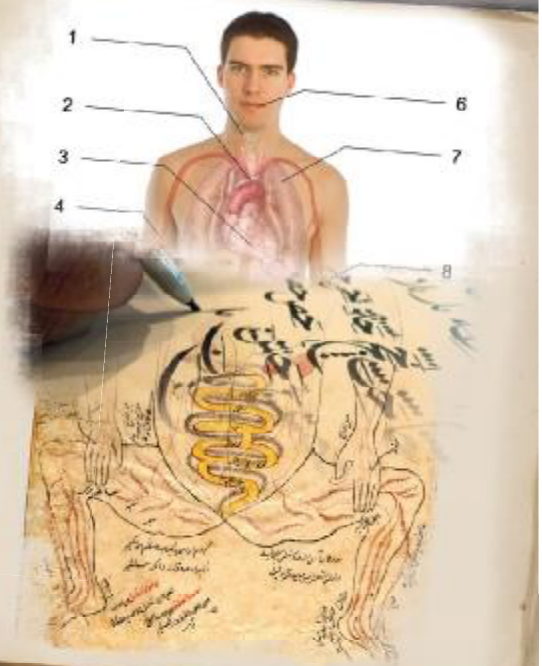

لقد كتب الكثير عن تقدم العلوم العقلية والنقلية عند المسلمين في العصور الوسيطة، وعن إسهام المسلمين بوجه عام في كل مجالات العلم والفكر، وعن استفادة الغرب فيما بعد من ازدهار الحركة العلمية والفكرية في العالم الإسلامي، ولذلك يقول البعض: ليس ثمة ما يدعو إلى فتح ملفات هذا الموضوع من جديد.

وفي رأينا أن هذا الموضوع لا ينتهي بالتقادم، أو بالطرح الموسمي، وعليه فإن أي حديث عن تعدد الثقافات أو الحوار بين الحضارات، أو قضية التأثير والتأثر.. أي حديث في هذا السياق لا يمكن أن يخلو من الإشارة الصريحة إلى جهد المسلمين في تقدم العلوم، في نفس الوقت الذي يجب أن نعترف فيه بإسهامات عدد كبير من أهل الاستشراق بالذات في إبراز فضل المسلمين على الحضارة الغربية، وعلى التقدم العلمي الحديث لديه.

نقول: إننا في أمس الحاجة إلى ضرورة إلقاء الضوء الكاشف مرات ومرات، على هذه الناحية، ناحية الدور الذي قام به أهل الاستشراق في مجال خدمة تاريخ العلوم عند المسلمين، وذلك بما قاموا به من تحقيقات علمية، وأبحاث ودراسات، وكتابة مقالات وآراء حول دور المسلمين في النهوض بالعلم.

وعندنا: إن هناك العديد من الجوانب المتعلقة بالتراث العلمي الإسلامي في حاجة إلى المزيد من الدراسة والتأمل والتفكير والتحليل، خاصة وأن وقتنا الحالي بما فيه من تداعيات وملابسات والتباسات يحتم علينا المزيد من الاهتمام بتراثنا العلمي، واضعين في الاعتبار أن أي حديث عن اهتمام أهل الاستشراق بتراثنا العلمي سيضع في اعتباره الحديث عن دور المسلمين في العطاء العلمي للبشرية، بعيدًا عن أي تعصب أو ادعاء أو مبالغة.

ونعترف هنا أن هناك بعض الجهود التي تبذل في العالم الإسلامي بهدف إحياء التراث العلمي الإسلامي، ولكن بكل أسف نلاحظ أن هذه الجهود كثيرًا ما تتكرر بدون أدنى تنسيق بين الجهات المنوطة بذلك، وهذا يؤدي إلى ضياع الكثير من المال والوقت والجهد، وحبذا لو انطلقت هذه الجهود من إطار علمي منهجي سليم.

إن الاهتمام بالتراث العلمي الإسلامي يجب أن يقابل من جميع مؤسساتنا العلمية والتعليمية والثقافية بالترحيب والتشجيع، بعد أن طال إغفاله وإهماله

والانصراف عنه.
نعود بعد ذلك لنقول: معنا الآن ابن النديم، الذي ولد ونشأ في بغداد العباسية، خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) والذي عني بالتاريخ واللغة والأدب، وشهرته في التأليف مرتبطة بتأليفه لكتاب (الفهرست) وهو في نشأة العلوم، وأقدم الكتب في هذا المضمار.
ويعد كتاب (الفهرست) لابن النديم من أهم الكتب في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية، فهو وثيقة مهمة يمكن لنا أن نتعرف من خلالها على ملامح الازدهار الثقافي، ولقاء الثقافات والحضارات في إطار الحضارة الإسلامية، وهذا ما نؤمن به، وندعو إليه بعيدًا عن أكذوبة صراع الحضارات أو نهايتها، واضعين في الاعتبار أن الله تعالى خلقنا فوق المعمورة الأرضية من أجل أن نتعارف، ونتفاهم، ونتبادل الآراء والخبرات والأفكار، من أجل أن نتعاون ونتضامن ونتكاتف، وهدفنا في كل ذلك هو السعي من أجل العيش في واقع أفضل وأحسن للبشرية جمعاء.
إن نحو ثلث كتاب الفهرست لابن النديم، يتناول الرافد الأجنبي، وتأثيره في الحضارة الإسلامية، وعليه فإن هذا الكتاب يعد من هذه الزاوية مصدرًا مهمًا يدلنا على المعرفة العميقة الواعية بتراث اليونان والفرس والهنود.
لقد بذل المسلمون جهودًا كبيرة من أجل نقل هذا التراث (تراث الآخر) والإضافة إليه، بعد أن استوعبوه جيدًا، ونقدوه، وحذفوا منه الكثير الذي لا يتناسب مع العقل أو المنطق، أو الذي لا يتفق مع ثوابتهم، وكان ذلك في جميع التخصصات: الفلسفية، والرياضية، والطبيعية، والطبية، والموسيقية، والكيميائية... الخ.
هذا، وقد خصص ابن النديم صفحات للحديث عن «جالينوس» أشهر أطباء اليونان، وعن مؤلفاته التي قام حنين ابن إسحق وتلاميذه من المترجمين المسيحيين السريان بترجمتها في العصر العباسي.
والسريان- كما نعلم- هم أبناء اللغة السريانية، وكانت هذه اللغة من أهم لغات بلاد الشام والعراق قبل الإسلام، وظلت مستخدمة عند بعض الجماعات إلى جانب اللغة العربية في إطار الدولة الإسلامية، والحق يقال أن السريان أسهموا في حركة ترجمة التراث اليوناني إلى السريانية، وإلى العربية، كما أسهموا بعلمهم في النهضة العلمية الإسلامية.
وفي نفس الوقت ينبغي علينا ألا ننسى أعلام الطب الإسلامي، مثل: أبي بكر الرازي، طبيب الدولة الإسلامية الأول، الذي ألف أكثر من مائة كتاب في علوم الطب، فهؤلاء جميعًا ذكرهم ابن النديم، وعرفنا بجهودهم في التأليف والترجمة، ولهذا يعد كتاب «الفهرست» من أهم الكتب الدالة على أهمية التعددية الثقافية، وضرورة لقاء الثقافات والحوار بينها، من أجل نهضة فاعلة لسائر الأمم.
وبهذه المناسبة يجب القول أن الثقافة اليونانية كانت أكبر تأثيرًا في العلوم العقلية التي ألف فيها المسلمون مثل الطب، والرياضيات، والفلسفة وغيرها.. وأن الثقافة الفارسية كانت أكثر تأثيرًا في الأدب العربي، وفي نظام الحكم، وفي الفنون بوجه عام.. والمجددون في الأدب العربي نثرًا وشعرًا كانوا من أصل فارسي.
نقول: نحن لا ننكر فضل أهل الاستشراق على تاريخ العلوم العقلية الإسلامية، مهما كان اختلافنا مع بعضهم في بعض المنطلقات الفكرية.. إن لأهل الاستشراق الباع الأجل في الكشف عن تاريخ العلوم عند المسلمين، وهو فضل رائع وعظيم، يعيه ويدركه جيدًا كل من له اطلاع، ولو قليل في مجال الدراسات الإسلامية، أو في تاريخ العلوم الطبيعية.
لقد تناول أهل الاستشراق التراث العلمي الإسلامي بالتحقيق والتمحيص والدرس، والمقارنة بينه وبين أصوله اليونانية والهندية، وتأثيره على الغرب في العصور الوسيطة، وأوائل العصر الحديث.
وعليه فلا ضرر أن نقوم بدراسات وأبحاث تحاول أن تعرض لأطراف مما قاموا به، ولا بأس أن تكون هذه الدراسات مسهبة ومعمقة، أو تكون سريعة عاجلة غير مستقصية أو مستفيضة، وهذا النوع الأخير يمكن أن يكون في شكل مقالات تنشر في الصحف السيارة، أو في المجلات العامة، أما النوع الأول الذي ينطلق من الإسهاب والتفصيل فيحتاج إلى مجلدات ومجلدات، ويكفي أن يعلم القارئ أن مجرد السرد الببليوجرافي لجهود أهل الاستشراق في دراسة العلوم الإسلامية، يمكن أن يستغرق بمفرده أكثر من ألفي صفحة أو ما يزيد على أقل تقدير.
فلا غضاضة بالمرة من أن نعترف بجهد الآخر، والآخر هنا قدم خدمة جليلة لتراثنا العلمي، فما المانع من أن نشكره ونقدره، ونحاول أن نطور ونعمق ونجود ما قام به، ونبدأ من حيث انتهى، ومهما اختلفنا معه، فإن الود لا يفسد للعلم والفكر الإنساني قضية.
ويرى كاتب هذه السطور أن أوضح وسيلة أو طريقة لتناول موضوع جهود أهل الاستشراق في خدمة العلوم العقلية الإسلامية، هو أن نتناوله: علمًا علمًا، وبالطبع قد لا يتمكن أي باحث من ذكر أو الحديث المفصل عن كل العلوم، إذن فلا ضرر إذا قام بذكر بعض ما قام به هؤلاء المستشرقون في دراسة تاريخ العلم العربي، وبحثه وتحقيق نصوصه.
وختامًا: فليس عيبًا على الإطلاق أن نسعى لعلم الآخر أو فكره، نفحصه، ندرسه، نتأمله، ننقده، ثم نأخذ منه ما ينفعنا، وما يصلح لنا، وما يتفق مع ثوابتنا.

أهمية معهود كلام العرب والنبي ﷺ في تفسير القرآن الكريم وترجمة معانيه

د. صلاح خليل عبدالعال سرور
دكتوراه في الدراسات اللغوية- جامعة القاهرة

أُنزل القرآن الكريم على النبي ﷺ على معهود لسان العرب في ألفاظها الخاصة وأساليب معانيها ومعهود كلامهم وعاداتهم وأساليبهم في الفصاحة والإيجاز وجوامع الكلم، والإعراض عما لا يحتاج إلى البيان، والذي يحتاج إلى البيان ربما عبر فيه عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، واكتفى بدلالة بعض الألفاظ عن ذكر البعض الآخر. فمن أراد تفهم القرآن الكريم فمن جهة معهود كلام العرب في تقرير معانيها ومنازعها في أنواع مخاطباتها يفهم، وأيضًا يفهم من جهة معهود خطاب النبي ﷺ وبيانه للقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل:٤٤).

ولمعهود كلام العرب والنبي ﷺ معانٍ تأثيرية لابد من مراعاتها أثناء النظر في الدلالات القرآنية، ومجال المعاني التأثيرية يرتبط في الأساس بالعلاقة بين مبدع النص الأصلي وبين الوحدات اللغوية التي يختارها للتعبير عن قصده من رسالته إلى المتلقي، وتقديم بعض الوحدات وتأخير أخرى، وهذه النوعية من المعاني تقوم على تضمينات انفعالية عاطفية وذهنية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بواقع أبناء اللغة، وتكوينهم النفسي، فالمعاني التأثيرية تدخل في علاقة تبادلية مع ما تثيره مع ابن اللغة من ردود فعل انفعالية، أو عاطفية، أو ذهنية، أو جمالية (١).

ولابد من استصحاب البيان النبوي،

ومعهود العرب في الخطاب، والمعاني التأثيرية لهما، أثناء النظر في الدلالات القرآنية، وإدراك معهود اللغة التي نزل فيها الخطاب، وبذلك يكون البيان النبوي عصمة للنص القرآني من التحريف، وهو الخروج بالمعنى عما وضع له اللفظ، أو التأويل الفاسد الذي يتجاوز البيان النبوي كمرجعية، ومعهود العرب في الخطاب كضوابط منهجية (٢).

والمشكلة أنه في حالة عدم بيان المفسر معاني معهود كلام العرب وبيان النبي ﷺ، ومعانيهما التأثيرية أو عدم ترجمة المترجم لهذه المعاني، فإن المعنى المنقول في كلتا الحالتين لا يحدث في قارئه أو سامعه تأثيرات مساوية لتلك التي أحدثها النص القرآني في متلقيه من العرب والصحابة زمن نزول القرآن.

قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ (٣) كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (البقرة ١٧- ١٨).

بيئة المتلقي

هذا المثال القرآني: مركب من جزءين: الجزء الأول: من موقد النار (الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ) وليس لموقد النار ذكر في القرآن الكريم غير هذا القدر، والجزء الثاني: من القوم المضروب بهم المثل، (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ- الآية).

وقد درست دلالة التمثيل باستيقاد النار وتأثيرها في معهود الخطاب عند العرب، وفي بيان النبي ﷺ، لمعرفة معنى هذه الآيات والغرض من التمثيل فيها، وكيفية نقل المفسر أو المترجم ذلك المعنى إلى ما يناظره، أو ما يرادفه في لغة المتلقي لتؤدي في ذهن القارئ أو السامع في بيئة المتلقي نفس الدلالة، أو ما يقرب منها في بيئتها الأصلية.

وتبين من الدراسة- كما سيأتي- أن لهذا التمثيل معانيَ أصليةً ومعانيَ تأثيريةً، فلا تكاد تتلقفها الأذن حتى يخطر لها في الذهن صورة بارزة المعالم والحدود، تضطرب لها النفوس، وتنفعل لها العواطف، فإذا تغربت هذه المعاني وخرجت من بيئتها الاجتماعية في المجتمع العربي عصر نزول القرآن إلى معهود لغوي آخر، أو إلى لغة أخرى وبيئة أخرى، احتاج المفسر والمترجم إلى جهد للحصول على ما يناظرها، أو ما يرادفها في دلالتها لتؤدي في ذهن القارئ أو السامع الجديد في البيئة الجديدة نفس الدلالة في بيئتها الأصلية، أو ما يقرب منها، وهنا يمكن أن يقال: إن المفسر أو المترجم قد وفق في مهمته، وأعطى صورة صحيحة لدلالة التمثيل (٤).

دلالة التمثيل

وقد أخفق المفسرون (٥) والمترجمون (٦) في نقل معهود كلام العرب والمعاني التأثيرية المرتبطة به في هذا التمثيل إلى ما يرادفها في لغة المتلقين للتفسير أو الترجمة، ولم يعطوا صورة صحيحة لدلالة هذا التمثيل، فذهب جمهور المفسرين- نقل بعضهم عن بعض- والمترجمون إلى أن المقصود بـ«الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا» هو المنافق، وأن «الَّذِي» في المثال بمعنى الذين، وأن «اسْتَوْقَدَ» بمعنى أوقد، وأنه لما أَضَاءَتْ النار مَا حَوْلَ المنافق والمنافقين، طفئت وبقي المنافق والمنافقون في الظلام متحيرين خائفين، كذلك المنافقون إذا أظهروا كلمة الإيمان استناروا بنورها واعتزّوا بعزّها وناكحوا المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم وأمنوا على أموالهم وأولادهم، فإذا ماتوا عادوا إلى الخوف والظلمة، وهوَوْا في العذاب والنقمة، وهذا مخالف لمعهود الخطاب في العربية.

استيقاد النار ورؤيتها في الليل في الصحراء في معهود كلام العرب

النار في معهود الخطاب العربي في هذا التمثيل، هي نار القِرى والضيافة والهداية، وهي من أعظم مفاخر العرب، وهي النار التي تُرْفَع للمسافرين، ولمن يلتمسُ القِرَى. وللتمثيل بها في معهود العرب مجموعة من العادات والعلاقات بين الأفراد في المجتمع العربي قبل الإسلام، ومجموعة من الدلالات التي تتبادر إلى ذهن من يراها، ومعانٍ تأثيرية مرتبطة بها تتبادر إلى ذهنِ العربي عصر نزول القرآن عند سماعه لقوله تعالى ﴿كمثل الذي استوقد نارا﴾.

وكان الرجل من العرب إذا تحيّر في ظلام الليل المطبق في الأرض القَفْر الخالية فلم يَدْرِ أين البيت أو الطريق يستغيث، يطلب بذلك الهداية ممن يغيثه وممن يسمعه من الناس ليستنقذه من هول الليل، وبلاء الضر، أو ينبح فتسمعه الكلاب فتنبح، فيقصد أصواتها فيهتدي بها، وربما تاه من أصداء الصوت فتكون رؤيته للنار التي أوقدها المستوقد في مكان عال هداية له للطريق وللقرى. وكان المجيب للمستغيث والمستنبح يفعل مجموعة من الأفعال تدل على طلب إجابة الداعي، منها أن يرد عليه بصوته ويدعوه لقراه، ومنها أن يجعل كلبه ينبح حتى يستدل الداعي بصوته على مكان صاحبه، ومنها أن يوقد له ناره حتى يهتدي بها ويأتي لقراه، فهذه الأمور تُجيب للداعي دعاءَه وتطلبه لقراه.

قدح الزند

ومعهود العرب في استيقاد النار أن صيغة «أ س ت» في «استوقد نارا» للطلب على الحقيقة، ويتطلب ذلك من موقدها أن يكون معه المادة الخشبية (الحطب) الذي سوف يشعل فيها النار، وما يبدأ به إشعال النار وهو قدح الزند، وأن تكون في موضع عال، يلي ذلك أن يباشر الأفعال التي تنقدح بها النار في الحطب، ويتجدد منه الإلهابُ والإشعالُ لها حالًا فحالًا لدوام إيقادها، ومع تحريك الرياح لها وإمدادها بالوقود، يكون ذلك أرفع لنارها وإضاءتها، وكلما كان موضع النار أشد ارتفاعًا كان أفخر وأشهر، وكان صاحبها أجود وأمجد، لكثرة إضاءتها بالليل ما حول مستوقدها وما حول المكان العالي الذي أوقدها فيه، وكثرة من يراها من الأماكن البعيدة عنها، وسواء في ذلك

أن يباشر الشخص استيقاد النار بنفسه أو أن يأمر غيره بذلك فكأنه فاعله لأنه آمر به.

والغرض من إيقاد هذه النار أنها تهدي المسافر أو التائه الذي يراها وهو يسير بليل في البيئة الصحراوية للعرب، بحيث يقول من يراها من بعيد وهي تضيء ما حول المستوقد: أنارٌ بَدَتْ أم بَرْقٌ من اللَّيل لامعُ؟ وتقصد نحوها السابلة، وتتشوف إلى هذه النار العيون التي تنظر إليها، وعسى أن يراها من يمر بتلك النواحي وينظر إليها من ضل عن الطريق، فإذا وصل من رأى النار إلى مكان النار وجد عندها القرى والضيافة والهداية ولقي من موقدها كل حفاوة وترحيب وإكرام، وأشعار العرب شاهدة بما تقدم (٧).

ولرسوخ دلالة رؤية النار في الصحراء في المجتمعات العربية على وجود القرى والدفء والضيافة والهداية عندها، ذكر في القرآن الكريم الاستدلال برؤية النار على الهداية في قصة سيدنا موسى عليه السلام، أظهرها الله تعالى لسيدنا موسى باستدعائه بنور في ظلمة لإتيانه عندها لتلقي هداية الوحي، رمزًا على أنه سيتلقى ما به إنارة الناس في زمنه بدين صحيح، بعد ظلمة الضلال وسوء الاعتقاد.

حَديثُ مُوسَى إذْ رَأَى نَارًا

قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ (طه٩-١٠) وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (القصص٣٠) وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَأَلْقِ عَصَاكَ...﴾ (النمل ٨-١٠).

لما قضى سيدنا موسى الأجل بمدين مع والد زوجته، وسار بأهله راجعًا إلى مصر، رأى وهو يسير في الصحراء ليلًا نارًا على بعد، بالجانب الغربي من جبل الطور، فشعر بالطمأنينة والأنس واستبشر، وقال لأهله ﴿امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ لعله يجد على النار هُدًى، فيأتيهم منها بخبر عن الطريق ، أو يقتبس من النار جذوة ليوقد بها النار لأهله ليستدفئوا بها في الصحراء في الليل. وقد أجرى الله على لسان سيدنا موسى معنى هذه الكلمة ﴿أو أجد على النار هدى﴾ إلهامًا إياه أنه سيجد عند تلك النار هُدى عظيمًا، ويبلّغ قومه منه ما فيه نفعهم. ولما أتى سيدنا موسى مكان النار في وادي طوى من جانب الوادي الأيمن من الشجرة التي رأى فيها النار، سمع نداء الله تعالى بالثناء عليه وعلى من معه في ذلك المكان: أن بُورِكَ مَنْ فِي مَكَانِ النَّارِ من الْمَلَائِكَةِ، وَمَنْ حَوْلَ مَكَانِ النَّارِ من الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ هُمْ حَوْلَهَا، وَبُورِكَ مُوسَى عليه السلام لِأَنَّهُ حَوْلَهَا مَعَهُمْ، وإذا هو يتلقى النداء الأسمى:

﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَأَلْقِ عَصَاكَ...﴾ (النمل ٨-١٠)، ويتلقى الوحي من الله تعالى كما قصه الله تعالى في باقي الآيات السابقة هداية للناس في زمنه عليه السلام.

مفاجأة كبرى

لقد ذهب سيدنا موسى عليه السلام إلى هذه النار يطلب هاديًا يهديه للطريق في الصحراء، فيأتي أهله منها بخبر عن الطريق، أو يجد قبسًا من النار يستدفئ به أهله، ولكنه وجد المفاجأة الكبرى، وجد النار التي تهدي لا في الصحراء ولكن في الرحلة الكبرى من الدنيا إلى الآخرة، ووجد موسى الخبر عند النار التي آنسها، ولكنه كان الخبر الهائل العظيم في الدلالة على الله تعالى والدعوة إليه؛ ووجد النار التي تدفئ لا الأجسام ولكن الأرواح، ووجد القبس الدافئ، ولكنه كان القبس الذي يهدي إلى الصراط المستقيم، رجا سيدنا موسى عليه السلام هدى نازلته، فصادف الهدى على الإطلاق، وظفر على النار بحاجتيه الكليتين جميعًا، وهما العزّان: عز الدنيا، وعز الآخرة (٨).

الصحيح الثابت عن النبي ﷺ في تشبيه نفسه بمستوقد النار

ولشهرة هذه الدلالة المركبة لاستيقاد النار في معهود الخطاب العربي- السابق وصفها- استخدمها النبي ﷺ في معهود خطابه مع المسلمين وغيرهم في تشبيه نفسه ﷺ في دعوته الخلق إلى الله وهدايته لهم بـ«رجل استوقد نارا»، وبين موقف البعض منهم من عدم قبول دعوته بالْفَرَاش والدَّوَابّ التي تَقَعُ في النَّار.

فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ التي تَقَعُ في النَّار يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَقْتَحِمُونَ فِيهَا». «رواه البخاري ومسلم»(٩)، ورواه ابن حبان وزاد في روايته: فأنا اليوم آخذ بحجز الناس: هلموا إلى الجنة هلموا عن النار فهم يقتحمون فيها(١٠).

زوابع الفتن

وهو تمثيل من أوجز الكلام وأبلغه وأشده اختصارًا، فهو ﷺ الهادي الأعظم، وقد استوقد شعلة الهداية الإسلامية وعالج إيقادها أمام زوابع الفتن، وأعاصير المقاومات العنيفة، فلما أوقدها وأضاءت ما حوله، ونادى النبي ﷺ في الناس هلموا إلى الجنة هلموا عن النار، فرغمت أنوف الكفار أعداء الحق الذين أكل الجهل والحسد قلوبهم عن الإيمان، وازدادوا تدافعًا إلى النار، وفي هذا الحديث موعظة لبعض من أجابوا الدعوة، وفيه وعيد لمن لم يؤمن به ﷺ وأصر على كفره (١١).

فتشبيه المفسرين والمترجمين موقد النار بالمنافق، وأن «الذي» بمعنى «الذين» غير صحيح، ويخالف الدلالة السابق

وصفها في معهود الخطاب العربي، وفي بيان النبي ﷺ.

الغرض الذي من أجله سيق هذا المثل القرآني

لرسوخ دلالة استيقاد النار في ذهن العربي في زمن النبي ﷺ وفي عصر نزول القرآن خاطبهم الله تعالى بها في القرآن ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ...﴾.

فإذا سمع العربي هذا المثل سارع إلى ذهنه الصورة المركبة لاستيقاد النار من موقدها وَعظُمَ عنده مكانة المستوقد للنار وأنه من الكرم والهداية والسيادة في قومه بمكان.

دفء وهدي

وكذلك يتبادر إلى ذهنه النفع الذي سوف يعود على من يراها ويسير على مرأى منها، وأنه سوف يجد عندها الدفء والهدى والضيافة والقرى والنجاة من الأهوال التي كان يتوقعها من يسير في ظلمات الليل الشديدة في الصحراء المقفرة الشديدة الظلام المليئة بالمخاطر، التي ليس بها أحد.

فلما قال تعالى ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ استحضر العربي زمن النبي ﷺ هذه الصورة وعلم ضرورة حصول الهداية والقرى لمن أضاءت لهم هذه النار، فيتوقع أن يهتدي بهذه النار من يراها ويستضيء بها، ويقصد نحوها ويذهب إلى مستوقدها، ويطلب منه الهداية والقرى، وأن يجد عنده القرى والهداية للطريق.

فضرب الله تعالى المثل للكافرين الذين لم يستجيبوا للهدى الذي جاءهم به رسول الله ﷺ بالقوم المذكورين في هذا المثل فشبهت قصتهم مع النبي ﷺ بقصة المستوقد للنار وحوله قوم المفترض أنهم سوف ينتفعون بها في الهداية والقرى، ولكنهم لم يعيروا هذه النار وموقدها أي اهتمام- وقد انتفع بها غيرهم.

بل إنهم لما رأوا النار أضاءت ما حول المستوقد، أغمض القوم أعينهم عن الإضاءة التي جاء بها، وأمسكوا ألسنتهم عن طلب قراه وسؤاله عن الهداية، وصموا آذانهم عن سماع ندائه، وسماع الهدى الذي جاء به، فلما لم يحصل لهؤلاء القوم نفع وهداية وقرًى بسبب هذه النار التي أبصروها، وقد انتفع بها غيرهم، جازاهم الله تعالى بجنس فعلهم ونبه تعالى على ذلك بأن ﴿... ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٧-١٨).

فالذي يتحصل في نفس الناظر في أمر هؤلاء الكفار مع النبي ﷺ كمثل الذي يتحصل في نفس الناظر في أمر هؤلاء القوم مع المستوقد نارًا، وحالهم العجيبة الشأن كحال الذين لم ينتفعوا بضوء وهداية وقرى الذي استوقد نارًا.

فشبه الله تعالى حالة الكافرين العجيبة الشأن، في امتناعهم عن دعوة النبي ﷺ لهم، والذين لا ينفع معهم إنذار النبي ﷺ وعدمه في أنهم لا يؤمنون، بقوم رأوا تلك النار فلم يرفعوا لها رأسًا بل عموا عن رؤيتها وصموا عن سماع نداء مستوقد النار لهم وبكموا عن إجابة هدايته ودعائه لهم.

فلما كان معلومًا ومعهودًا عند سامعيه بما أظهرَ من الكلام أنّ المثلَ إنما ضُرب لهؤلاء القوم الذين أغمضوا أعينهم عن ضوئها، حَسُن في الآية حذفُ ما يخصهم بما ظهرَ من الكلام عن جزاء الله تعالى لهم.

فهؤلاء القوم هم الذين سبق أن وصفهم الله تعالى بقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة: ٦-٧) فبفعلهم جميع ما سبق مع مستوقد النار أصبحوا فيما هم فيه ﴿... فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾(البقرة: ١٧-١٨)، إلى هداية ما داموا مصرين على حالتهم تلك(١٢).

الهوامش

١- لمزيد من التفصيل راجع: الشاطبي، الموافقات، ١/٤٤، ٢/٦٤-٦٦، ٧٩، ٨٢، ٣/ ٣٣٧-٣٤٠، ٣/٣٥١،
-ابن تيمية، دقائق التفسير، ١/٤٢-٤٤ - محمد، فوزي عطية، علم الترجمة، مدخل لغوي، دار الثقافة الجديدة-القاهرة، ١٩٨٦م، (ص١٩٦-١٩٧) - سرور، صلاح خليل عبدالعال، مشكلات الترجمة من العربية إلى الهوسا، دراسة تطبيقية، على ترجمات معاني الجزء الأول من القرآن الكريم إلى لغة الهوسا، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، قسم اللغات، ٢٠١٠م. (ص١٨٧، ١٩٢).

٢- راجع: تقديم عمر عبيد حسنة (ص ١١-١٢) لكتاب في شرف العربية د.إبراهيم السامرائي، كتاب الأمة رقم ٤٢، طبع قطر.

٣- ذهب جمهور المفسرين إلى أن مرجع ضمير الجمع في (مَثَلُهُمْ) للمنافقين السابق ذكرهم في السياق القرآني، وأن المثال المذكور في هذا المقال للمنافقين.

٤- راجع: سرور، مشكلات الترجمة (ص١٩٢-١٩٤).

٥- لمزيد من التفصيل راجع: الطبري، تفسير الطبري ١/٣١٩-٣٢١- أبوحيان، البحر المحيط، ١/١٢٢، ١٢٥-١٢٦- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ١/٣٠٧- سرور، مشكلات الترجمة (ص١٦٠).

٦- المترجمون الذين درست ترجماتهم هم: أبو بكر محمود جومي، ومحمد ناصر كبرا، وبشير محيي الدين، في ترجماتهم لمعاني القرآن الكريم إلى لغة الهوسا، راجع التعريف بهم وترجماتهم في: سرور، مشكلات الترجمة (ص١٣-٢١).

٧- لمزيد من التفصيل راجع: الجاحظ، الحيوان، ٥/١٣٤- البخلاء، ص٢٤٣ - القالي، أمالي القالي، ١/٢١٠، سرور، مشكلات الترجمة، (ص ١٠٦، ١٨١-١٨٢، ٢٣٤-٢٣٥).

٨- لمزيد من التفصيل راجع: (تفسير الطبري ١٨/٢٧٦) - (المحرر الوجيز ٤/ ٣٩٣) - (الكشّاف ٤/٤٣٢) - (أضواء البيان ٣ / ٤٣٢) - (ظلال القرآن ٥/٣٧١، ١١٤-٣٧٢) - (التحرير والتنوير١٦/١٩٥).

٩- راجع: عبدالباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ١/ ٧١٦.

١٠-صحيح ابن حبان (١٤/٣١٨) وقال محققه: إسناده حسن.

١١- راجع: الرامهرمزي، الحسن بن عبدالرحمن، كتاب أمثال الحديث، الدار السلفية- بمباي الهند، ١٩٨٣م، ص٣٥-٣٦، دراز، محمد عبدالله، النبأ العظيم، (هامش ص ١٧٠-١٧١).

١٢- راجع: سرور، مشكلات الترجمة، (ص١٩٤-١٩٥، ٢٣٥- ٢٣٦، ٢٣٨ -٢٣٩، ٢٤٢-٢٤٣)، مرجع سابق.

ببليوجرافية منتقاة:

دليل مؤسسات الإعلام الإسلامي

فاطمة الزهراء محمد - ماجستير مكتبات - جامعة القاهرة

تتناول هذه الببليوجرافية الإنتاج الفكري الخاص بالإعلام الإسلامي مع التركيز على مؤسسات الإعلام الإسلامي المقروء والمسموع والمرئي، وقد صدر هذا الإنتاج الفكري في أشكال متعددة وهي «الكتب- أبحاث الدوريات- بحوث المؤتمرات والندوات والحلقات النقاشية- الرسائل الجامعية»، وتم تجميع هذا الإنتاج الفكري من مجموعة من المواقع على شبكة الإنترنت، وفهارس مكتبات «جامعة القاهرة- كلية الإعلام»، وبعض الببليوجرافيات المنشورة حول الفكر الإسلامي، والدعوة في بعض الدوريات الإسلامية.

هذه المصادر قريبة الصلة من الموضوع، وتم تقسيمها حسب نوعية المصدر، ثم الترتيب بأبجدية اسم المؤلف. بالإضافة إلى ذلك، ملحق بالمقال دليل بمؤسسات الإعلام الإسلامي،

أولًا: الكتب:

١- أبوغنيمة، زياد. تجربة الصحافة الإسلامية في الأردن في الخمسينات (صحيفة الكفاح الإسلامي). الكويت: دار الوثائقق، ١٩٨٥.

٢- إسماعيل، محمد حسام الدين. الصورة والجسد: دراسات نقدية في الإعلام المعاصر. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨.

٣- إمام، محمد كمال الدين. النظرة الإسلامية للإعلام: محاولة منهجية. الكويت: دار البحوث العلمية. (١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م)، ط ٢، ص ٢٦٣.

٤- حجاب، محمد منير. الإعلام الإسلامي: المبادئ - النظرية - التطبيق. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣.

٥- عبدالواحد، حامد. الإعلام في المجتمع الإسلامي. مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٤ هـ، ص ١٣٨. (دعوة الحق- ٣٣).

٦- عزت، محمد فريد محمد. بحوث في الإعلام الإسلامي. جدة: دار الشروق، (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) ص ١٧٣.

٧- العودي، محمد علي. الإعلام الإسلامي الدولي. الدوحة: دار الدوحة للنشر، ١٩٨٣م.

٨- المركز الإسلامي للدراسات السياسية. الإعلام الإسلامي: نظرة عامة. طهران: المركز الإسلامي للدراسات السياسية، ط ١، (١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٤ م)، ص ٩٥.

٩- مكتبي، محمد غياث. الإعلام الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة. دمشق: دار المكتبي، ٢٠١٠.

١٠- واقع وهموم الصحافة الإسلامية: كتاب يوثق «ندوة واقع وهموم الصحافة الإسلامية يونيو ١٩٩٩». الكويت: الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، ١٩٩٩.

ثانيًا: الرسائل الجامعية:

١- إبراهيم محمد كرم سليمان. التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام. (أطروحة ماجستير) الرياض- المعهد العالي للدعوة الإسلامية- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٤هـ.

٢- أبوعزب، موسى إبراهيم. مسؤولية الإعلام الإسلامي. (أطروحة ماجستير) الرياض: المعهد العالي للدعوة الإسلامية، ١٤٠٣هـ.

٣- أحمد، حسن محمد. البرامج الإسلامية في تلفاز المملكة العربية السعودية. (أطروحة ماجستير)- الرياض: المعهد العالي للدعوة الإسلامية، ١٤٠٢هـ.

٤- خان، سليم الرحمن. الصحافة الإسلامية في الهند: تاريخها وتطورها. (أطروحة ماجستير)- الرياض: المعهد العالي للدعوة الإسلامية، ١٤٠٢هـ.

٥- زين، عبدالعزيز محمد. مكانة الصحافة في نشر الدعوة. (أطروحة ماجستير)- الرياض: المعهد العالي للدعوة الإسلامية، ١٤٠٣هـ.

٦- السبتي، عبدالحكيم محمد. دور وسائل الإعلام في تشكيل الثقافة السياسية لدى الشباب الكويتي: دراسة حالة التلفزيون الكويتي في الفترة من ١٩٩١ إلى ٢٠٠٥م/ إشراف كمال المونوفي، عبدالعزيز شادي. (أطروحة ماجستير) - جامعة القاهرة - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية- قسم العلوم السياسية، ٢٠٠٩.
٧- سعد، عبدالسلام سليمان. عمل تكوين الرأي العام في المجتمع المسلم مع التطبيق على السودان. (أطروحة ماجستير)- الرياض: المعهد العالي للدعوة الإسلامية- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٤هـ.
٨- سليم، نور الدين أحمد. وسائل الاتصال الجماهيري المعاصرة ودورها في نشر الدعوة. (أطروحة ماجستير)- الرياض: المعهد العالي للدعوة الإسلامية، ١٤٠٣هـ.
٩- الشامي، علاء عبدالمجيد. دور الخطاب الديني في وسائل الاتصال في تشكيل اتجاهات الشباب المصري نحو القضايا السياسية/ إشراف سامي الشريف.. (أطروحة دكتوراة)- جامعة القاهرة- كلية الإعلام- قسم الإذاعة والتلفزيون، ٢٠٠٦.
١٠- الشنقيطي، سيد محمد ساداتي أحمد. وكالة الأنباء الإسلامية في الميزان. (أطروحة ماجستير)- الرياض: المعهد العالي للدعوة الإسلامية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١ هـ.
١١- الشوربجي، طارق محمد يوسف. المعالجة الإخبارية لقضايا العالم الإسلامي في التلفزيون المصري، ودورها في تشكيل معرفة الجمهور واتجاهاته/ إشراف عدلي سيد رضا. (أطروحة دكتوراه)- جامعة القاهرة- كلية الإعلام- قسم الإذاعة والتلفزيون، ٢٠١١.
١٢- عبدالوهاب، عبدالخالق محمد. الدعوة الإسلامية في مجال الإذاعة والتلفزيون/ إشراف محمد البهي. (أطروحة دكتوراه) القاهرة: كلية أصول الدين- جامعة الأزهر، ١٩٨٢م.
١٣- عبدالوهاب، مصطفى محمد. بنية الخطاب الديني الإسلامي بالقنوات التلفزيونية (الحكومية والخاصة) والعوامل المؤثرة فيه/ إشراف حسن عماد مكاوي، محمد نبيل طلب. (أطروحة دكتوراه)- جامعة القاهرة- كلية الإعلام- قسم الإذاعة والتلفزيون، ٢٠٠٩.
١٤- كدسة، منصور علي. الأسس العلمية إدارة المؤسسات الإعلامية: دراسة تطبيقية على عينة من المؤسسات الإعلامية بالمملكة العربية السعودية/ إشراف سمير محمد حسين. (أطروحة دكتوراه)- جامعة القاهرة- كلية الإعلام- قسم الصحافة، ١٩٨٥.
١٥- مدكور، مرعي. الإعلام الإسلامي الطباعي في الدول غير الإسلامية. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٥- ٤٣٦ ص. (الأصل دكتوراه من جامعة الأزهر).
١٦- الميتمي، معين صالح يحيى. العوامل المؤثرة في بناء الإقناع لمواقع الإنترنت: دراسة تحليلية، وميدانية للمواقع الإعلامية العربية على شبكة الإنترنت/ إشراف شريف درويش اللبان. (أطروحة دكتوراه)- جامعة القاهرة- كلية الإعلام- قسم الصحافة، ٢٠١٢.
١٧- ندى، محمد ناجي مسلم. الوظيفة الإعلامية للمسجد. (أطروحة ماجستير)- الرياض: المعهد العالي للدعوة الإسلامية- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ.

ثالثًا: أبحاث الدوريات:

١- أبومسعد، محمد شتا. «دراسة في كتاب المسئولية الإعلامية في الإسلام» للدكتور محمد سيد محمد. المسلم المعاصر. السنة ١١: ع ٤٢ (١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م) ص ١٤٧ - ١٥٣.
٢- الآصفي، الشيخ محمد مهدي. «في مواجهة أجهزة الدعاية الغربية: مقدمة في الإعلام الإسلامي». الجهاد. السنة الأولى: ع ٤، (اجمادي الثانية ١٤٠٣هـ/١٦ مارس ١٩٨٣م) ص ٧٦ - ٨١.
٣- الإعلام الإسلامي وتحديات العصر. منار الإسلام. س ١٠: ع ٣ (١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٤ م) ص ٤٦- ٥٧.
٤- إمام، محمد كمال الدين. نحو إعلام إسلامي في الألفية الثالثة. مجلة المسلم المعاصر. ع ٨٩ (١٩٩٨م) ص ٥ - ١٨.
٥- خليفة، إجلال. «الإعلام الإسلامي المعاصر- ٢». منار الإسلام. س ٨: ع ٥ (١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م) ص ١١٠- ١١٩.
٦- خليفة، إجلال. «الإعلام الديني في الوطن الإسلامي المعاصر- ١». منار الإسلام. س ٨: ع ٤ (١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م) ص ٨٠- ٩١.
٧- الخير، عمر. دورة إعلامية: نحو تطوير الخطاب الإعلامي

الإسلامي، الخرطوم أكتوبر ٢٠٠٢. مجلة إسلامية المعرفة- المعهد العالمي للفكر الإسلامي. ع ٣٠ (٢٠٠٢م). ص ٢٠٨ - ٢١١.
٨- رجب، حسن. الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي للدكتور عبدالوهاب كحيل. مجلة المسلم المعاصر. ع ٥٤ (١٩٨٩م.) ص ١٥١- ١٥٧.
٩- الركابي، زين العابدين. «نحو نظرية إسلامية في الإعلام». المسلم المعاصر. س ٣: ع ١٠ (١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧م.) ص ٣٩ - ٧٥.
١٠- زهران، عاطف. «الصحافة الإسلامية في القرن التاسع عشر». تقديم سامي الكومي. الأمة. س ٦: ع ٧١ (١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م.) ص ٢٤ (جزء من رسالة جامعية).
١١- شعلان، محمود عبدالسميع. «أجهزة الإعلام، ودورها في ميدان الدعوة الإسلامية». الدعوة (السعودية). ع ٩٨٦ (١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.) ص ٢٨- ٣٠.
١٢- الصحافة الإسلامية بين الحقيقة والتضليل. التقرير السياسي الإسلامي. ع٢٤ (١٤٠٣ هـ.) ص ١- ١٦.
١٣- طاش، عبدالقادر. «الصحافة الإسلامية والتحديات». الدعوة. (السعودية. ع ٩٨٩ (١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.) ص ١١.
١٤- عبدالحليم، محي الدين. التحديات الإعلامية التي تواجه العالم الإسلامي في القرن الحادي والعشرين. مجلة الجامعة الإسلامية- رابطة الجامعات الإسلامية. ع ٢٨ (١٩٩٨م.) ص ٣٣٠ - ٣٥٩.
١٥- عبدالحميد، محمد. «صحيفة إسلامية للطفل المسلم». الوعي الإسلامي. س ١٨: ع ٢١١ (١٤٠٢ هـ) ص ٩٢ - ٩٩.
١٦- عبدالسلام، جعفر. تقرير لجنة التحديات الإعلامية التي تواجه العالم الإسلامي في مطلع القرن المقبل. مجلة الجامعة الإسلامية- رابطة الجامعات الإسلامية. ع ٢٧ (١٩٩٨م.) ص ٢٠٩ - ٢١٦.
١٧- غلوش، أحمد. «الإعلام الإسلامي في المجتمع الحديث». التضامن الإسلامي. س ٣٧: ج ١١(١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م.) ص ٧٩ - ٨٤.
١٨- كمال، مصطفى حسين. «الصحافة الإسلامية: المنهج والتطبيق». هذه سبيلي. الرياض. ع ٥ (١٤٠٣ هـ. - ١٩٨٣م.) ص ١٧٧ - ٢٠٠.
١٩- مليجي، مجاهد. في مؤتمر قناة اقرأ الفضائية الثقافية: التعاون بين أهل الفقه، وأهل الخبرة ضرورة لصناعة إعلام إسلامي متميز. مجلة المنار الجديد. ع ٤ (١٩٩٨م.) ص ١٤١ - ١٤٣.

رابعًا: أبحاث المؤتمرات والندوات والحلقات النقاشية:

١- أحمد، أحلام حسن. مسؤولية الإنتاج الفني الإسلامي بين الحكومات والهيئات والأفراد. مؤتمر الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية: النظرية والتطبيق: اللقاء الثالث لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي. - الرياض، ١٩٧٩م.
٢- إعلام الثورة الإسلامية في العراق. حزب الدعوة الإسلامية. المركز الإسلامي للأبحاث السياسية، ١٤٠٤ هـ ٧٠ ص (ندوة).
٣- بالقادر، آبوبكر. البرامج الإعلامية للكبار في العالم الإسلامي. مؤتمر الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية: النظرية والتطبيق: اللقاء الثالث لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي. - الرياض، ١٩٧٩م.
٤- توصيات المؤتمر العالمي الأول للإعلام الإسلامي- ٢٠١١- رابطة العالم الإسلامي- وزارة الشؤون الدينية الأندلسية. جاكرتا- أندونيسيا. Available from: diae. /6660/16/12/net/2011
٥- توصيات المؤتمر العالمي الثاني للإعلام الإسلامي- ٢٠١١- رابطة العالم الإسلامي- وزارة الشؤون الدينية الأندلسية. جاكرتا- أندونيسيا. Available from: www.themwl-media.org/index./php/.../show.
٦- ثابت، عبدالمنعم. التخطيط لإنتاج برامج إذاعية وتلفزيونية تخدم الدعوة الإسلامية. ندوة الإعلام السياسي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل: نظمتها مؤسسة اقرأ الخيرية، بالتعاون مع مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي- جامعة الأزهر- القاهرة، ١٩٩٢.
٧- حجاب، محمد منير صابر. ضوابط الممارسة الإعلامية للقائم بالاتصال في حقل الإعلام الإسلامي. ندوة الإعلام السياسي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل: نظمتها مؤسسة اقرأ الخيرية، بالتعاون مع مركز صالح

كامل للاقتصاد الإسلامي- جامعة الأزهر- القاهرة، ١٩٩٢.
٨- حماد، محمود أحمد. الدراما: رؤية إسلامية. ندوة الإعلام السياسي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل: نظمتها مؤسسة اقرأ الخيرية، بالتعاون مع مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي- جامعة الأزهر- القاهرة، ١٩٩٢.
٩- زقزوق، محمود حمدي. الإعلام الإسلامي في مواجهة الاستشراق. ندوة الإعلام السياسي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل: نظمتها مؤسسة اقرأ الخيرية، بالتعاون مع مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي- جامعة الأزهر- القاهرة، ١٩٩٢.
١٠- السمان، محمد عبدالله. كيف نبني مؤسسات الإعلام على أسس إسلامية. مؤتمر الإعلام الإسلامي، والعلاقات الإنسانية: النظرية والتطبيق: اللقاء الثالث لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي- الرياض، ١٩٧٩م.
١١- الشال، انشراح. الإعلام الإسلامي، وتكنولوجيا الاتصال في مجال التلفزيون. ندوة الإعلام السياسي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل: نظمتها مؤسسة اقرأ الخيرية بالتعاون مع مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي- جامعة الأزهر- القاهرة ١٩٩٢.
١٢- شكري، عبدالمجيد. الإذاعة الإسلامية وطموحات المستقبل. ندوة الإعلام السياسي بين تحديات الواقع، وطموحات المستقبل: نظمتها مؤسسة اقرأ الخيرية، بالتعاون مع مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي- جامعة الأزهر- القاهرة، ١٩٩٢.
١٣- عثمان، عثمان أبوزيد. إعلام المنظمات الإسلامية: تنسيق وتكامل- مؤتمر مكة المكرمة الحادي عشر التحديات الإعلامية في عصر العولمة، ذوالقعدة ١٤٣١هـ. - Available from: http://abuzaid7.yoo7.com/t58-topic.
١٤- عجوة، علي. الإعلام الإسلامي في القرن الحادي والعشرين. ندوة الإعلام السياسي بين تحديات الواقع، وطموحات المستقبل: نظمتها مؤسسة اقرأ الخيرية، بالتعاون- مع مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي- جامعة الأزهر- القاهرة، ١٩٩٢
١٥- عطية، محي الدين. مستقبل نشر الكتاب الإسلامي. مؤتمر الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية: النظرية والتطبيق: اللقاء الثالث لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي. - الرياض، ١٩٧٩م.
١٦- العظم، يوسف. الإعلام العربي المعاصر، وأثره ضياع الجيل وهزيمة الأمة. مؤتمر الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية: النظرية والتطبيق: اللقاء الثالث لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي- الرياض، ١٩٧٩م.
١٧- علي، إبراهيم. استخدام تكنولوجيا وسائل الإعلام، والاتصال الجماهيري في إحداث تغيير اجتماعي على أساس إسلامي. مؤتمر الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية: النظرية والتطبيق: اللقاء الثالث لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي. - الرياض، ١٩٧٩م.
١٨- فايد، عبداللطيف. الصحافة الإسلامية بين العمومية والتخصص: تجارب من الواقع. ندوة الإعلام السياسي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل: نظمتها مؤسسة اقرأ الخيرية بالتعاون مع مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي- جامعة الأزهر- القاهرة، ١٩٩٢.
١٩- مقلد، طه عبدالفتاح. كيف نبني مؤسسات الإعلام على أسس إسلامية؟. مؤتمر الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية: النظرية والتطبيق: اللقاء الثالث لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي- الرياض، ١٩٧٩م.
٢٠- هويدي، فهمي. مشكلات الصحافة الإسلامية. ندوة الإعلام السياسي بين تحديات الواقع، وطموحات المستقبل: نظمتها مؤسسة اقرأ الخيرية، بالتعاون مع مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي- جامعة الأزهر- القاهرة، ١٩٩٢
٢١- الوفد الإسلامي. «عناصر الضعف في الإعلام الإسلامي». في المؤتمر الدولي للإعلام الإسلامي، والمشكلات التي تقف أمامه واستراتيجيته المستقبلية- كوالالامبور، ١٤٠٢هـ. كتاب مع المؤتمرات الدولية. طهران: منظمة الإعلام الإسلامي، رمضان ١٤٠٣هـ ، ص ٢٧ - ٣٦.
٢٢- يماني، محمد عبده. الإعلام الإسلامي في عصر الفضاء. ندوة الإعلام السياسي بين تحديات الواقع، وطموحات المستقبل:

نظمتها مؤسسة اقرأ الخيرية، بالتعاون مع مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي- جامعة الأزهر- القاهرة، ١٩٩٢.

الإعلام المرئي والمسموع

قناة الناس
العنوان: المنطقة الحرة العامة الإعلامية بمدينة ٦ أكتوبر.
تليفون: ٣٨٥٥٥٢٧٩- ٣٨٥٥٥٢٨٠
الموقع: http://www.alnas.tv
العنوان: كورنيش النيل ماسبيرو
تليفون: 25741768
الموقع http://www.ertu.org/nile__chan/tanweer.asp
البريد الإلكتروني altanweer@ertu.org
قناة الرسالة الفضائية
http://www.alresalah.net
قناة فضائية تقدم إعلامًا إسلاميًا متميزًا بأفكار إبداعية، وبرامج ابتكارية عالية الجودة وفقا للمعايير والمواصفات العالمية.
قناة اقرأ الفضائية
http://www.iqraa-tv.net
موقع قناة إقرأ الفضائية الإسلامي
قناة المجد الفضائية
http://www.quran.tv
وهي القناة العربية الأولى المتخصصة في تلاوة القرآن الكريم طوال ساعات الليل والنهار وفق منهجية خاصة.
قناة المجد الفضائية
http://www.almajdtv.com
أول قناة فضائية إسلامية نقية أطلقت عام 1424هـ برأس مال قدره 120 مليون ريال سعودي، انبثقت عنها سبع قنوات أخرى، ومقسمة إلى قسم مفتوح وقسم مشفر.
قناة المسك
http://www.elmsktv.com
قناة المسك قناة إسلامية للدروس والمحاضرات الدينية
قناة أزهرى الفضائية
http://www.azharitv.net
تقدم رسالةً إعلاميةً متنوعةً تضم الموعظة والمعلومة، وهي ليست بمعزلٍ عن الأحداث الجارية في مصر، والعالم العربي والإسلامي، وهي إذ تقدم نفسها لجمهورها تأمل أن تجد الرأي والنصيحة والمشورة.
راديو الإسلام
http://www.islamicity.com/multimedia/radio
راديو الإسلام من موقع مدينة الإسلام.. الموقع باللغة الإنجليزية

مؤسسات الإعلام المقروء:

- مجلة التوحيد
العنوان: 8ش قولة-عابدين- القاهرة
تليفون: 23936517
فاكس: 23930662
الموقع http://www.altawhed.com/detail.asp?InServiceID=89&item platekey=mainpage&Inmagflag=1
البريد الإلكتروني: mgtawheed@hottmial.com
- مجلة الأزهر
العنوان: مجمع البحوث الإسلامية-مدينة نصر- القاهرة
تليفون: 22638599
فاكس: 2263859
الموقع http://www.alazhar.gov.eg/alazharmag
- مجلة إسلامية المعرفة
فصلية- تصدر عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي- فيرجينيا- تاريخ الصدور 1995
الموقع: http://eiiit.org/resources/eiiit.asp
مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية
فصلية - تصدر عن جامعة الكويت - الكويت - منذ 1984.
مجلة أوقاف
نصف سنوية- الأمانة العامة للأوقاف- الكويت- 2001.
- مجلة الجامعة الإسلامية
غير منتظمة الصدور- رابطة الجامعات الإسلامية- القاهرة
- مجلة كلية دار العلوم
نصف سنوية- كلية دار العلوم- الجيزة- 1995.
- مجلة التجديد
فصلية- الجامعة الإسلامية العالمية- ماليزيا- 1997.
- مجلة كلية الدعوة الإسلامية
سنوية - كلية الدعوة الإسلامية - طرابلس ليبيا - 1984.
- مجلة الجامعة الأسمرية
سنوية- الجامعة الأسمرية- للعلوم الاسلامية- زليتن (غرب ليبيا)- 2003- يصدر عن الجامعة الأسمرية - مجلة الجامعة الأسمرية، وهي دورية

علمية جامعة محكمة. تعمل على نشر بحوث أعضاء هيئة التدريس، ونشاطاتهم العلمية. صدر العدد الأول منها سنة 2003، وصدر منها حتى الآن 15 عددًا.

– مجلة تفكر
نصف سنوية– معهد إسلامية المعرفة– 1999– السودان

– مجلة المنار الجديد
فصلية– دار المنار الجديد للنشر والتوزيع– القاهرة– 1998.

– مجلة قضايا إسلامية معاصرة
غير منتظمة الصدور – مركز دراات فلسفة الدين – بغداد – 1997.

– مجلة فقه أهل البيت
فصلية – دائرة معارف الفقه الإسلامي– إيران– 1995.

– مجلة مسجد الإلكترونية
http://www.e-msjed.com
مجلة مسجد الإلكترونية موقع ثقافي إسلامي، يحتوي الكثير مما يحتاجه المتصفح العربي من فوائد في الحياة العملية مجلة ثقافية مميزة– ألبومات صور– برامج كاملة– أخبار التكنولوجيا– إسلاميات– أناشيد.

– مجلة عقيدتي
http://www.aqidati.net.eg
مجلة أسبوعية إسلامية تصدر عن دار التحرير للطبع والنشر مصر

– مجلة الوعي الإسلامي
http://www.alwaei.com

– مجلة إسلامية شهرية جامعة– تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية– دولة الكويت
مجلة الدعوة الاسلامية
http://www.aldaawah.com
الدعوة مجلة إسلامية جامعة، تصدر يوم الخميس من كل أسبوع، عن مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية ومركزها الرئيس مدينة الرياض

مجلة المسلم المعاصر
http://www.islam-online.net/muasir/arabic/mainmuslim.asp

– مجلة فكرية فصلية محكمة، تعالج قضايا الاجتهاد المعاصر في ضوء الأصالة الإسلامية

مجلة الفرقان
http://www.al-forqan.net

– مجلة إسلامية أسبوعية– تصدر عن جمعية إحياء التراث– الكويت

الصحيفة الصادقة
http://www.alsadiqa.com
تقريب صحيح السنة بين يديّ عموم الأمة

– مجلة الشورى
http://www.shura.gov.sa/ArabicSite/Nashrah/Nashrah.htm
موقع مجلة الشورى الصادرة عن الإدارة العامة للعلاقات العامة، والإعلام بمجلس الشورى السعودي

– مجلة مغاربة ضد التنصير
http://www.mdtpress.com
مجلة مغاربة ضد التنصير مجلة إسلامية أخبارية مستقلة، تهدف إلى التعريف بالدين الإسلامي الحنيف، والوقوف سدًا منيعًا بإذن الله أمام المد التنصيري، ومواجهة أعداء الإسلام بالدلائل، والحجج الدامغة.

– مجلة ثمار
تصدر عن منظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي

وكالات الأخبار الإسلامية

– وكالة الأخبار الإسلامية نبأ
http://www.islamicnews.net
تقديم الأخبار والملفات الأرشيفية، وملفات القضايا والموضوعات الأكثر سخونة على الساحة، والدراسات الإستراتيجية والاقتصادية والسياسية والبرامج التليفزيونية.

– وكالة الرائد الاخبارية
http://www.arayede.com
وكالة أنباء موريتانية مستقلة تهتم بالشأن الموريتاني بالدرجة الأولى، وبالقضايا العربية والإسلامية ثانيًا، وبالشأن الدولي ثالثًا. كما تهتم بالسياسة والأدب والثقافة العربية، والإسلامية والتاريخ وعلوم القرآن.

– وكالة الأنباء الإسلامية الدولية.
http://www.islamicnews.org
موقع وكالة الأنباء الإسلامية الدولية IINA– مقر الوكالة في مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية، وتقدم نشرات تتكون من جملة من التقارير والأخبار عن المسلمين، والأقليات الإسلامية في المجالات الدينية والتربوية والتعليمية والتنموية والاجتماعية وتقوم بنشرها حول العالم بعدة لغات.

مجالس الاقتراء في العصر النبوي

وعلاقتها بالتربية اللغوية للصحابة رضوان الله عليهم

د.خالد فهمي
باحث أكاديمي

الاقتراء في اللغة: هو عين القراءة، فقد روي عن سيبويه أنّ قرأ واقترأ بمعنى واحد، كما جاء في لسان العرب (قرأ).

أما في اصطلاح علوم القرآن، والقراءات فهو إقراء القراء بعضهم بعضًا، بمعنى أن يجلس عدد يقرأون، وبينهم من يصحح بهم قراءتهم.

وهو مصطلح لم أجد من ذكره، أو عرف به ممن صنعوا معجمات لمصطلحات القراءات من أمثال: محمد المختار ولد اباه، والدكتور عبدالوالي المسؤول، والدكتور إبراهيم سعيد الدوسري، أحمد محمود عبدالسميع الحفيان.

وقد جاء هذا اللفظ في حديث أخرجه أبوعبيد القاسم بن سلام الهروي سنة 224هـ في كتابه: فضائل القرآن (تحقيق مروان العطية وآخرين، دار ابن كثير، دمشق 1420هـ=1999م ص 68) أن سهل بن سعد الأنصاري، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، ونحن نقترئ، يقرئ بعضنا بعضًا، فقال الحمد لله، كتاب الله عز وجل واحد فيه الأحمر والأسود، اقرأوا، اقرأوا، اقرأوا».

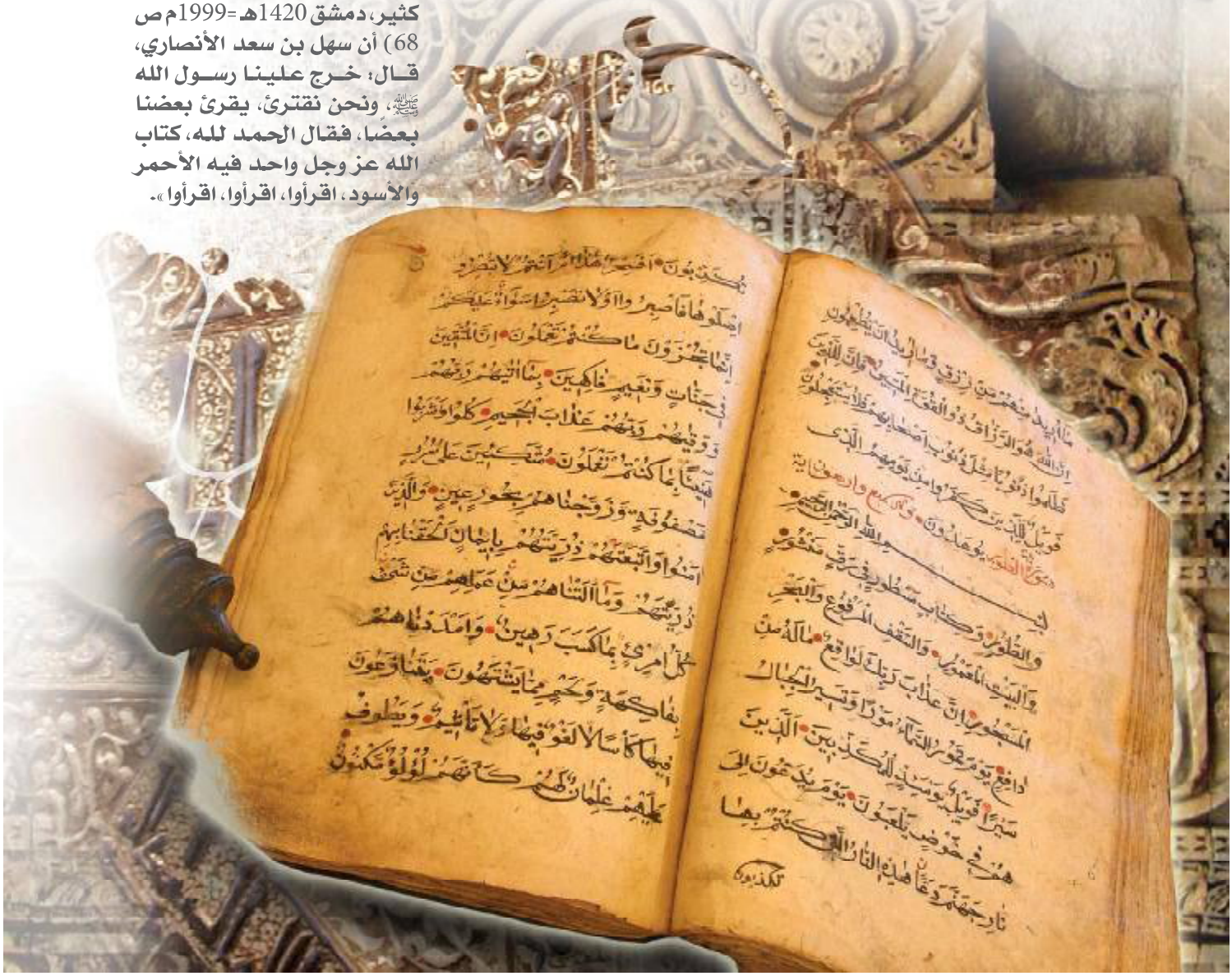

اقترب من هذا اللفظ لفظ آخر هو: التدارس، الذي ورد في أحاديث ترغب فيه، وتمتدح فاعليه، ففي الحديث عن عقبة بن عامر، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في المسجد نتدارس القرآن، فقال: تعلموا كتاب الله عز وجل».

ومثل ذلك ألفاظ: تعلم القرآن الكريم، ومجالسته.

ومن هنا يتضح لنا أن هذه الأربعة الألفاظ هي أكثر الألفاظ العربية دورانًا في باب العناية بقراءة القرآن، وتعلمها، وإتقان قوانينها.

ويظهر من استقراء صور الإقراء في العصر النبوي حصرها في الصور الأربعة التالية:

الأولى: إقراء النبي ﷺ الصحابة القرآن الكريم، بالتعليم المباشر.

الثانية: شهود الصحابة عرض النبي ﷺ القرآن الكريم على جبريل عليه السلام.

الثالثة: سماع النبي ﷺ القرآن الكريم من الصحابة، فيما يشبه القراءة عليه ﷺ.

الأخيرة: جلوس الصحابة في مجالس وحلقات، يقرئ الأعلم بالقرآن الكريم غيره، ويصوّب له قراءته.

وهذه الصورة الأخيرة ظاهرة في الحديثين المذكورين في بيان مفهوم الاقتراء هنا، وفي كتب فضائل القرآن الكريم، وكتب علوم القرآن الكريم، والمدونات الحديثية أحاديث أخرى كثيرة تثبت صور الإقراء المختلفة المذكورة.

فمن أحاديث الصورة الأخيرة أيضًا ما يروى عن الأعمش من أنه قال: «مرّ أعرابي بعبدالله بن مسعود وهو يقرئ قومًا القرآن، أو قال: وعنده قوم يتعلمون القرآن».

ونحن نلحّ على هذه الصورة، لأنها هي الصورة التي استمرّت بعد عصر النبوة، في عهد الراشدين ومن بعدهم، يقول سليمان بن يسار: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج من خوخته، (أي: حجرته) فأتى على قوم يقرأون، فلما رأوا عمر أنصتوا، فقال: كنتم تراجعون؟ فقالوا: كنا نقرئ بعضنا بعضًا، فقال: اقرأوا، ولا تلحنوا»(١).

دور مجالس القرآن في التربية اللغوية للصحابة

مفهوم التربية اللغوية مفهوم حديث نسبيًا يشتبك مع علم اللغة التطبيقي في مجالين، هما: اكتساب اللغة، وتعلمها، وهو يكاد يكون فرعًا من فروع اللغة التعليمي.

وتحليل مجالس الاقتراء في العصر النبوي في ضوء مفهوم التربية اللغوية يمكن أن يكشف عن منهج متمايز، ودور بارز اضطلعت به مجالس الاقتراء في تربية الصحابة رضي الله عنهم لغويًا.

ويكاد يدور مفهوم التربية اللغوية عند المنشغلين به حول تنمية قدرة الإنسان في الأداء اللغوي الصحيح، نطقًا، وتأليفًا للكلام، وفق قوانين صحة الكلام، صوتيًا وصرفيًا وتركيبًا.

وفيما يلي يحاول هذا المقال رصد العلاقة بين مجالس الاقتراء في العصر النبوي والتربية اللغوية للصحابة رضى الله عنهم، وما تصنعه من ترقية الأداء اللغوي، بسبب ما تنتهجه إجراءات التربية اللغوية، ووسائلها.

وتتلخص هذه الأسس التي وفرتها هذه المجالس القرآنية فيما يلي:

أولًا: التهيئة النفسية.

ثانيًا: تبين الحروف، وتفصيل النطق بها في قراءة النبي ﷺ.

ثالثًا: رفع الصوت بالقراءة، وطلب تحسينه.

رابعًا: ترديد النص المقروء أكثر من مرة، مع تعاهد القرآن الكريم.

خامسًا: تصحيح خطأ القارئ، ورده إلى الصواب.

سادسًا: استصحاب النظر في المصحف المكتوب في أثناء القراءة.

وفيما يلي بيان هذه الأسس الستة التي مارسها القراء في حلقات الاقتراء في العصر النبوي، وما تركته من أثر في تنمية الأداء اللغوي للصحابة رضوان الله عليهم.

التهيئة النفسية

من المقرر في أصول التربية ضرورة تهيئة البيئة النفسية للمتعلمين حتى تثمر العملية التعليمية التربوية، وقد جاء عن النبي ﷺ مجموعة من الأحاديث تمثل أصلًا جامعًا للتهيئة النفسية، تبعث على الإقبال على برامج تلقي القرآن الكريم، وحسن أدائه وقراءته، من مثل:

أ- السكينة والرحمة نتيجة للارتباط بمجالس الاقتراء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفت بهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»(صحيح مسلم)(٢).

ب- رصد الأجر والثواب وعلو المنزلة للماهر بالقراءة، فقد أخرج أبوعبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص٤٩) حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ «إن الذي يقرأ القرآن وهو به ماهر مع السفرة الكرام البررة».

ج- تشجيع المبتدئين والضعاف والمتأخرين في التحصيل وعدم تيئيسهم، فقد أخرج أبوعبيد القاسم بن سلام في فضائله (ص٤٩) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «والذي يقرأ القرآن وهو يشتد عليه فله أجران».

د- مضاعفة الثواب على التلاوة، أخرج أبوعبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن (ص٥٠) من حديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف عشر، ولام عشر، وميم عشر». ومن هنا فإن تأمل هذه العوامل تدلنا على مدى ما يحرص الإسلام على توافره دفعًا للنفوس على التقدم نحو قراءة الذكر الحكيم، الذي

يحقق أصلًا جامعًا من أصول التربية اللغوية التي تهيأت للصحابة رضوان الله عليهم.

تبين الحروف، وتفصيل النطق بها في إقراء النبي ﷺ الصحابة رضي الله عنهم

جاء في وصف قراءة النبي ﷺ أنه كان يقرأ بتؤدة وهدوء، ويحرص في قراءته على تبيين الحروف، وتفصيل النطق بها، وهو أمر مهم جدًا في برامج تعليم اللغة، وهو ما كان له الأثر البالغ في ترقية اللغوية للصحابة وفيما يلي ما يثبت ذلك:

أ- أخرج أبوعبيد في فضائل القرآن (ص ١٥٦) عن أم سلمة أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ «قراءة مفسرة، حرفًا حرفًا».

ب- وأخرج أيضًا (ص ١٥٦) عنها رضي الله عنها أنها وصفت قراءته ﷺ بأنه كان يقطّع قراءته، أي يفصلها ويبين حروفها، ويقف على رأس كل آية.

رفع الصوت بالقراءة،

ومما استقر أيضًا في برامج علم اللغة التعليمي، الأثر الإيجابي للقراءة بالصوت المرتفع، فمما تقرره ماريان وايتهيد في كتابها عن التنمية اللغوية أن القراءة ذات المغزى بالصوت العالي لها أثر إيجابي فعال في تنمية اللغة والتواصل بين المتعلمين، وهو الأمر الذي كان يحرص عليه رسول الله ﷺ مع أصحابه، فمما جاء من وصف قراءة النبي ﷺ أن عبدالله بن المغفل قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يومَ الفتح على ناقة له، يَقرَأُ سورةَ الفتح، أو منَ سورةِ الفَتحِ، قال: فرجّع فيها، قال: ثم قرَأَ مُعاويةُ يَحكي قراءَةَ ابنِ مُغَفّل، وقال: لولا أن يَجتَمِعَ النَاسُ عليكم لرَجّعتُ كما رجّع ابنُ مُغَفّل، يَحكي النبيّ صلّى اللهُ عليه وسلّم. فقلتُ لمُعاويةَ: كيف كان تَرجيعُه؟ قال: آ آ آ، ثلاثَ مرات.(صحيح مسلم). والترجيع تحسين الصوت بالتلاوة.

ومن ذلك أمره ﷺ للصحابة بقول: «زينوا أصواتكم بالقرآن»

وهذان الحديثان مثالان على عناية المنهج النبوي للقراءة بالصوت العالي الحريص على التزيين، وهو من العوامل الفاعلة في التنمية اللغوية للأفراد.

ترديد النص المقروء أكثر من مرة

مما جاء عن رسول الله ﷺ وتعليمه الصحابة رضي الله عنهم الحرص على ترديد النص المقروء أكثر من مرة.. صحيح أن ذلك كان بدافع الإعانة على التدبر المفضية إلى الخشية، والتأثر بالمعنى المتضمن في الآيات، لكنه يؤدي في الوقت نفسه إلى استقامة طرائق النطق، وبرامج علم اللغة التعليمي، في المختبرات والمعامل اللغوية تحرص في بعض مستويات تعليم اللغة على الترديد للنص المقروء طلبًا لضمان صحة أدائه، ومما يدل على ذلك:

أ- ما أخرجه أبوعبيد في الفضائل (ص١٤٦): «أن ابن مسعود صلى ليلة، قال: فذكروا ذلك، فقال بعضهم: هذا مقام صاحبكم منذ الليلة يردد آية حتى أصبح. قال ابن عون: بلغني أن الآية: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(طه: ١١٤).

ب- ومثل ذلك التعبير وارد عن كثير من الصحابة من مثل: الفضائل (١٤٥) فلم يزل تميم الداري يرددها حتى أصبح. وعن أسماء بنت أبي بكر أنها ذهبت إلى السوق في حاجة ثم رجعت وهي تكرر ﴿ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾(الطور: ٢٧). كما تواتر الأمر بتعاهدَ القرآن الكريم، أي مداومة الاتصال به، وحفظه، وهما أمران فاعلان فاعلية إيجابية في التربية اللغوية، بما هو المثل الأعلى.

تصحيح القارئ

إن فكرة الإقراء، والسماع قائمة في الأساس على إقامة المثال الحي على القراءة الصحيحة، وهو الأمر المفهوم من عبارة «أقرأنيها رسول الله ﷺ» التي ينطق بها كثير من الصحابة عند الاختلاف معهم.

وليس يعقل أن يستمع رسول الله ﷺ ولا الصحابة العلماء إلى من يقرأ فيخطئ من دون تدخلهم بردّه إلى الصواب، ذلك أن رسول الله ﷺ بعث ليبلغ، وليس من شأنه ولا سمته أن يسكت على خطأ أو باطل.

ومن أجل ذلك تواتر الأمر بتجنب اللحن، أو الخطأ في القراءة:

أ- أخرج ابن وهب في الجامع ٤١/٣ حديث ٧٣ عن عمر أنه قال «اقرأوا، ولا تلحنوا».

ب- و أخرج كذلك ٤٢/٣ حديث ٧٨ عن ابن عياش عن سعيد بن عبد الله القرشي عن أبي الزناد أن رجلًا قرأ عند رسول الله ﷺ، فلحن، فقال رسول الله ﷺ: «أرشدوا أخاكم»

ومن أجل ذلك لم يكره العلماء نقط المصحف، ولا شكله ليعينوا على القراءة السليمة المنضبطة، فمما جاء في ذلك:

أ- ما أخرجه وهب في الجامع ٤١/٣ حديث ٧٤ عن نافع قال: سألت ربيعة بن عبدالرحمن عن شكل القرآن في المصاحف، فقال: لا بأس بذلك.

ب- وأخرج كذلك ٤١/٣ حديث ٧٥ عن الليث بن سعد قال: لا أرى بأسًا أن ينقط المصحف.

استصحاب النظر في المصحف المكتوب

ومما استقر كذلك أن استثمار أكثر من حاسة في عملية التعلم مثمر بدرجة أعلى، مقارنة باستعمال حاسة واحدة.

ومن هنا فإننا قد نفهم من الأمر بالنظر في المصحف في أثناء التلاوة ما يسرع بتنمية القدرات اللغوية والقرائية لدى من يفعلون ذلك، وقد أثبت علم نفس التعلم أن استصحاب الصورة، أو الرموز الحرفية معين جدًا في عمليات تحسين التعليم، وتحسين القراءة.

الهوامش

١- الجامع لعلوم القرآن لابن وهب. تحقيق ميكلوش موراني، دار الغرب الإسلامي سنة ٢٠٠٣م (٤١/٣).

٢- أخلاق حملة القرآن، للآجري ص ٥٠ حديث ٢١.

في ٦ مرتكزات أساسية:

خطة للتعريف بالإسلام عبر اللغات الأجنبية

د. حسن عزوزي
رئيس تحرير مجلة كلية الشريعة بفاس

إذا كان من الواجب المتيقن أن تظل الدعوة الإسلامية مشغولة بأمر المسلمين الملتزمين بأمور دينهم تذكرهم وتنبههم عند غفلتهم، وتسدد خطاهم وتقيم الدين الحق في مجتمعاتهم شعائر وشرائع حياة ومنهجًا، فإن ذلك لا يعني أن تنغلق الدعوة داخل شعوب العالم الإسلامي ولا تنفتح على غيرها من الأمم والشعوب أو تنطلق إلى العالمين، بل ينبغي أن يسري خطابها لكل قرن وأمة في التاريخ وكل قرية وملة وقوم على وجه الأرض. ولم يكن الإسلام في خطابه الخاتم لمدى محدود بقوم أو ملة، بل كان خطابًا للعالمين ﴿إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ التكوير: ٢٧. ورسول الله ﷺ يأمره القرآن أن يعلن في الناس أنه مرسل إليهم أجمعين، فقال تعالى له: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الأعراف: ١٥٨

إن نجاح الدعوة يتوقف من جهة أخرى وجود لسان مشترك بين الداعي والمدعو، واللسان المشترك أوسع دلالة من مجرد معرفة بلغة مشتركة، بل لابد من معرفة ما تحويه هذه اللغة من ثقافة المدعو وخصائص بيئته، وما يشكل موقفه من أفكار ومعتقدات وما يحكم تفكيره من عادات وتقاليد.

ولعل في قوله تعالى: ﴿أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ إنكارًا للاختلاف اللغوي بين الداعية والمدعوين، إذ لا يصح أن يكون الكلام أعجميًا والمخاطب به عربيًا، لأن ذلك لو حدث لاحتاج المخاطبون إلى التفصيل والبيان. وتحقيقًا لعالمية الإسلام توّجب على فئة من الدعاة العرب أن يتمكنوا من إتقان اللغات الأجنبية، وقد وجه رسول الله ﷺ المسلمين والدعاة إلى هذا الواجب بما فعله مع الصحابي الجليل زيد بن ثابت رضي الله عنه حيث قال له: «يا زيد أتحسن السريانية؟ إنها تأتيني كتب بها. قال زيد، قلت: لا، قال: تعلمها، فتعلمتها في سبعة عشر يومًا» وإذا كان واجب التبليغ يفرض الترجمة لكلام الله، فهو في مجال الدعوة والتعريف بالإسلام أدعى وأكثر لزومًا.

وترتكز مهمة التعريف بالإسلام باللغات الأجنبية على وسائل دعوية فعالة وناجعة تستجيب لمتطلبات الواقع المتغير ورهانات المستقبل المتطور، مستفيدة في ذلك من الثورة الاتصالية والتكنولوجية التي يشهدها عالم اليوم وهو يستقبل قرنًا جديدًا، وتنطوي هذه المهمة على جملة من المرتكزات منها:

١) تكنولوجية الوسيلة: بحيث يتم توظيف واستغلال كافة الوسائل التكنولوجية المتطورة في التبليغ والإعلام، وذلك لكي تؤدي عملية التعريف بالإسلام باللغات المختلفة وظيفتها على أوسع نطاق وبسرعة هائلة، خاصة وإن البلدان غير الإسلامية تمتد على مساحات شاسعة ومتباعدة. ولا تخفى أهمية توظيف الوسائل التكنولوجية في جعل المعلومات والمعطيات تتدفق بصورة كبيرة، حيث تتعاظم وتتوالد المعرفة المراد تبليغها والتعريف بها، ثم يتم الإسراع في نشرها وتداولها.

وتتزايد أهمية هذا المرتكز (الإعلامي- التكنولوجي) في ضوء تكاثر الأقليات والجاليات الإسلامية عبر كل بقاع العالم، وصعوبة بلوغ الدعوة إليها والتواصل معها، ومع قادة العمل الإسلامي عن طريق الوسائل التقليدية التي كانت سائدة قبل عقد من الزمن.

٢) توفر مؤسسات إعداد الدعاة وتدريبهم: فإذا كانت مهمة التعريف بالإسلام باللغات الأجنبية تقتضي دعوة الناس إلى الإسلام وبيان مبادئه وحقائقه، فإن الأمر يحتاج إلى تدريب وتخطيط وحسن استيعاب لمقتضيات ومتطلبات الدعوة في صفوف غير العرب، حيث إن الداعية ينبغي أن يكون عالمًا بمختلف الأديان والفلسفات والأنظمة مطلعًا على ظروف وأحوال المجتمعات المدْعُوة، ملمًا بمناهج الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وأساليب الحوار والجدال والإقناع، وخبيرًا بإحدى اللغات الأجنبية في خصائصها وأساليبها المتنوعة. وهذا كله لا يتأتى تحقيقه في معظم الأحيان في عصرنا الراهن إلا من خلال المؤسسات التعليمية التي تهدف إلى إعداد الدعاة علميًا، وتدريبهم عمليًا على القيام بالدعوة، حيث تزودهم بالقدرات، وتضع بين أيديهم الوسائل التي تعينهم على القيام بتبليغ الإسلام ونشر دعوته باللغات المختلفة، وفقًا لأحدث ما تم التوصل إليه من وسائل وأساليب لإعلام الناس ومخاطبتهم وغزو عقولهم وقلوبهم بما يؤثر في نفوسهم ودعوتهم بالطرق المقنعة.

جانب من محاضرات التعريف بالإسلام

ولقد قامت بعض الدول والمنظمات والهيئات الإسلامية بإنشاء جامعات وكليات ومعاهد تعنى بشؤون وعلوم الدعوة، بل إن بعض هذه الجامعات اتجهت إلى إنشاء كليات وأقسام متخصصة في تخريج الدعاة وتأهيلهم وتدريبهم على حمل أعباء الدعوة في الخارج.

٣) وفرة وتنوع الكوادر والطاقات العلمية العاملة في مجال الدعوة، سواء داخل العالم الإسلامي على صعيد كل دولة إسلامية بما تتوفر عليه من صفوة من العلماء والدعاة المؤهلين للقيام بمهمة التعريف بالإسلام باللغات المختلفة، أو خارج العالم الإسلامي من خلال التعاون مع العاملين النشيطين في مجال الدعوة والمنتظمين في دوائر الجمعيات والمنظمات والمراكز الثقافية الإسلامية المستقرة بالبلدان غير الإسلامية.

٤) اتساع نطاق المادة التي يتم نشرها وبثها، وكذا دائرة السبل والأساليب التي يمكن توظيفها بهدف التعريف بالإسلام باللغات المختلفة، وهو ما يسمح به الجانب الإيجابي من معطيات العولمة الثقافية، لذلك فالخطة ترتكز على حسن استغلال ما يمكن تسميته بعولمة الإنتاج الدعوي، حيث تفرض الضرورة الانتقال من مستوى استخدام الصحف والمجلات والأشرطة إلى استغلال تقنيات البث الفضائي والأقراص المضغوطةCD -ROM وشبكة الإنترنت العالمية، وعقد المؤتمرات والمناظرات والمعارض الدولية داخل المعاقل الغربية وغيرها.

٥) التخطيط المحكم والتنظيم الدقيق لكل المراحل والخطوات والإجراءات الكفيلة بتحقيق مهمة التعريف بالإسلام باللغات المختلفة على أحسن الوجوه، وهذا الأمر يمكن تحقيقه بفضل التعاون المشترك والتنسيق المستمر بين مختلف المنظمات والهيئات الإسلامية في العالم الإسلامي، وكذا بينها وبين الجمعيات والمراكز الثقافية، ومما يمكن الإشارة إليه بهذا الصدد ما يلي:

أ) تنويع الأساليب والطرق التعريفية بالإسلام، وجعل مواصفات الخطاب الدعوي بالخارج تتعدد لتسع جميع المخاطَبين أينما وجدوا في كل مرحلة ولكل حالة.

ب) دراسة ورصد واقع وحال المخاطَبين (المدعوين) ومستوياتهم الدينية والثقافية وتبين الفوارق بينهم، ومراعاة الخصائص والفروق الجنسية والعرقية على الأفراد والشعوب، فالأمر أصبح أساسًا مقررًا، وحقيقة مسلمة لدى علماء النفس والاجتماع وخبراء التربية والتعليم، وآن لنا أن نستفيد منها في مجال التعريف بالإسلام باللغات الأجنبية المبنيِّ على أساس الفهم المشترك العميق بين الداعي والمدعو، ليتم الاتصال الذي يحقق الغاية كاملة، وكل ذلك يحتاج إلى فحص وتقويم، ثم إلى إحاطة واستيعاب من أجل توفير أنماط من الخطاب وأصناف من الدعاة المُعرفين بالإسلام، فالدعاة في الداخل غيرهم في الخارج.

ج) تغطية كافة المناطق الجغرافية في العالم وفق تخطيط منظم يرسم صورة كاملة لخريطة الدعوة بالخارج، وإذا كان التوزع الجغرافي للأقليات والجاليات الإسلامية لا يسمح بالتواصل الكامل وتوحيد عملية الدعوة والتعريف بالإسلام باللغات الأجنبية، فإن مما ينبغي الاهتمام به تنسيق الجهود واستثمار الطاقات من أجل رسم وضبط خريطة الدعوة في البلدان غير الإسلامية، كما أن التطور الهائل للشأن الديني والثقافي للجاليات والأقليات الإسلامية في الغرب المبنيِّ أساسًا على تحول الوجود الكميِّ إلى تأثير كيفيٍّ بصورة متنامية ومثيرة تستدعي تصور خريطة الدعوة أولًا، ثم العمل على تطوير العمل في إطارها واستشراف واقع أفضل لعملية التعريف بالإسلام باللغات الأجنبية.

د) ضرورة إعادة النظر في أبرز مكونات العمل الدعوي في الغرب في التجارب السابقة، وفق نظرة جديدة في التخطيط والتدبير، من أجل تجاوز السلبيات ومواطن الخلل واقتراح خطط التغيير والتجديد الرامية إلى تحقيق الأهداف المنشودة والغايات المقصودة من وراء تفعيل مهمة التعريف بالإسلام باللغات الأجنبية.

٦) توظيف مختلف اللغات في عملية التعريف بالإسلام لأنها الأداة الضرورية لتحقيق التواصل بين الداعي والمدعو، وتوجيه خطاب التعريف في اتجاه غير العرب الذين يشكلون أغلبية المدعوين، ولا يتم ذلك إلا باتحاد اللغة بين الداعية والمدعو، أيًا كانت هذه اللغة، ولهذا المعنى أرسل الله رسله السابقين إلى أقوامهم بلسانهم حيث يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (إبراهيم: ٤) ويعتبر هذا المرتكز أساسيًا في سياق انفتاح الدعوة الإسلامية على الأجناس والشعوب والقوميات الأخرى التي لا تستطيع استيعاب ومعرفة أحكام ومعطيات الإسلام بغير لغاتها الأصلية. وهذا أبرز ما يميز الخطة، حيث إنه بفضل استغلال هذا المرتكز يمكن الاستجابة لحاجيات الدعوة الإسلامية، وتلبية طموحها وفتح آفاق رحبة لعملية التعريف بالإسلام وتبليغ أسسه ومبادئه على نحو أوسع وأرحب.

بيد أنه عند التمعن جيدًا في خريطة التعددية اللسانية في العالم، يتبين أن اللغات القومية متعددة ويصعب حصرها، وبالتالي فإنه ليس من السهل إيجاد دعاة قادرين على التحدث باللغات المحدودة الانتشار، أما اللغات التي تتحدث بها أكثر من دولة واحدة.

وزير التربية والتعليم المصري لـ «الوعي الإسلامي»:

أدعو إلى مبادرة لتوحيد الهوية الثقافية العربية

محمد حبيب - القاهرة
دار الإعلام العربية

قال الدكتور إبراهيم غنيم وزير التربية والتعليم المصري، في حوار خَصّ به «الوعي الإسلامي»: إن هناك حلمًا لابد أن تسير مختلف الدول الإسلامية والعربية في سبيل تحقيقه، وهو تبني مبادرة لتوحيد الهوية الثقافية العربية وتأصيلها لُغويًا وجغرافيًا وتاريخيًا ودينيًا، مؤكِّدًا أن هناك عقبات تعترض سبيل تحقيق ذلك الحلم.. وأشار من جانب آخر إلى أن منظومة التعليم في مصر تعترضها جملة من المشكلات، نعترف بها، وبالعديد من القضايا عبر سطور الحوار التالي..

● نعاني كثيرًا في العالم العربي من العمل المنفرد برغم وحدة الدين واللغة.. ألا يدعو هذا إلى التفكير في تبني مبادرة لتوحيد أو تقريب الهوة الثقافية والتعليمية العربية بمناهج موحّدة أو متقاربة؟

– هذه أطروحة تعد بمثابة الحلم الكبير الذي لابد أن تسعى جميع الدول العربية إلى تفعيله على أرض الواقع بالشكل الذي يعضد من وحدتها وتماسكها ويقرب بينها، لكنني أعتقد أنه من الصعوبة بمكان تحقيق هذا الحلم؛ نظرًا إلى التفاوت والاختلاف الموجود بين هذه الدول على صعيد الهويات الثقافية والمرجعيات التاريخية، حتى وإن كانت هذه الدول تتفق في سياقها العام مع الهويتين الأساسيتين العربية والإسلامية، وهو ما يجعلنا في حاجة ماسة لتوحيد مفاهيم هويتنا وتأصيلها لُغويًا وجغرافيًا وتاريخيًا ودينيًا، إضافة إلى تفعيل الأطر الحاكمة للهوية العربية بشكل عام، لكن ما يمكن الاتفاق عليه تفاديًا لعدم تحقيق هذه الأطروحة، أو كبديل لها، هو ما يعرف بوضع آلية مشتركة بين جميع الدول لمعادلة الشهادات على مستوى جميع المراحل التعليمية، بالشكل الذي يسمح للطالب استكمال دراسته في أي دولة أخرى في حالة انتقاله إلى بلد آخر دون عوائق أو قيود.

● ما مدى قوة العلاقات بين وزارة التربية والتعليم المصرية ومثيلاتها في الدول العربية؟

– من الأهمية بمكان تفعيل وإبرام اتفاقيات التبادل التربوي مع الدول الشقيقة، وهذه تحتل المرتبة القصوى والأولى من اهتماماتنا في هذه الآونة، وكذلك فيما هو قادم، ولا يمكن أن نمضي في طريق التقدُّم سوى بالتفاعل والاطلاع على ما توصل إليه أشقاؤنا في الخارج، ووضع تصورات لكيفية الاستفادة من هذه التفاعلات بشكل إيجابيّ، ولدينا في الوزارة إدارة مركزية للعلاقات الخارجية منوط بها تفعيل العلاقات والاتفاقيات، ووضع تصورات ورؤى لكيفية رفع كفاءة عناصر العملية التعليمية من خلال تبادل الخبرات، ومعرفة أحدث النظم التي تمكننا من اقتباس تجاربها لتحقيق طفرة في منظومة التعليم، وكذا تربطني علاقات جيدة مع معظم وزراء التعليم العرب، وكلنا أمل أن تثمر هذه العلاقات الطيبة عن المزيد من التقدم والترابط بين جميع دول الأمة العربية على جميع الأصعدة.

● لو عقدتم مقارنة متأنية بين المنظومة التعليمية في مصر ومثيلاتها في الدول العربية فماذا تقول؟

– أهم الفوارق بين مصر والدولة العربية يندرج فقط في إطار التفاوت الاقتصادي بشأن الإنفاق على المنظومة التعليمية بيننا وبين هذه الدول، وتبعية تصنيفها كدول غنية أو فقيرة، فالإنفاق الكبير على المنظومة التعليمية مصحوبًا بالتخطيط الجيد والرؤية الواضحة يصنع الفارق في التطور السريع، وبناء أجيال أكثر قدرة على مواكبة روح العصر، وأستطيع القول بأن التعليم في مصر إذا ما تم الإنفاق عليه مثلما ينفق عليه في الدول العربية فسوف يختلف الأمر جملةً وتفصيلًا نحو الأفق الأعلى والأجود والأفضل بالمقارنة بدول أخرى أكبر منّا في الإمكانات اقتصاديًا، ويكفينا القول بأن مستوى ذكاء الطفل المصري يفوق بكثير نظيره لدى العديد من الدول الأخرى، وليس أدل على ذلك من أن أصغر طفلة على مستوى العالم تحصل على شهادة I C D L كانت مصرية وعمرها ٤ سنوات.

لا يمكن أن نمضي في طريق التقدم بغير التفاعل والاطلاع على ما توصل إليه الآخرون

الإنفاق الكافي والتخطيط الجيد والرؤية الواضحة تصنع تعليمًا يبني أجيالًا تواكب العصر

● ما أكبر إشكاليات التعليم المشتركة بين دول الوطن العربي تأثيرًا في هويتنا؟

– في عام ٢٠٠٦ انعقد مؤتمر عربي على أرض جامعة أسيوط، وكنت آنذاك أستاذًا بالجامعة، وعندما اطلعت على البحوث المقدّمة من الدول العربية المشاركة وجدتها، وقد اشتملت على أبعاد وواقع وإشكاليات المنظومات التعليمية الخاصة بكل دولة وما تتعرّض له من تحديات، لحظتها تيقنت بأننا «كلنا في الهم عرب» وكأنني دخلت كل فصل دراسيّ عربيّ، ومع كل هذا الاختلاف يجب الاعتراف بأن الشعوب العربية في حاجة ماسة أن تُدفع دفعًا نحو التعلم والتعليم بكل قوة طبقًا لقول الله تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾، وأن نمتلك ناصية المعرفة مرة أخرى حتى نكون منتجين لا مستهلكين لها، لابد وأن نواجه معًا تحديات التخوُّف من اندثار لغتنا العربية، فالنشر الدوليّ للبحوث الدولية ينشر باللغة الإنجليزية، فلو أن الورقة البحثية الخاصة بالبحوث العربية نشرت باللغة العربية لحظتها يصبح المجتمع الغربي في احتياج لهذه البحوث فسوف يسعى جاهدًا لترجمتها من لغتنا العربية إلى الإنجليزية، لحظتها نصبح منتجين للمعرفة بشكل عام في جميع العلوم باللغة العربية لا مستهلكين لها على حساب هويتنا، وهذا ما لابد أن نسعى جاهدين إليه.

● لماذا لا يتم الاستفادة من الخبرات الأوروبية في شأن الكتاب المدرسيّ ومقارنته بالكتاب الخارجي؟

– نحن ذاهبون إلى هذا وأبعد بإذن الله، وسيتم تطبيق نظام تدوير الكتاب

شعوبنا بحاجة ماسة لأن تدفع نحو التعلم والتعليم بكل قوة

المدرسيّ بحيث يتسلمه الطالب في بداية العام، ويقوم بتسليمه لنا مرة أخرى، وسيتم تطبيق هذا الأمر من خلال (الفصل) الدراسيّ الثاني لهذا العام، والأهم من ذلك، نسعى إلى طرح مسؤولية طباعة وتوزيع الكتاب المدرسي إلى إحدى دور النشر من خلال مزاد علنيّ لتصبح هي الجهة المعنية بذلك، لكنَ في إطار مفاهيمي عام، ووثيقة محددة لكل منهج دراسيّ، بحيث يتسلّمها الطالب من دور النشر مباشرة، لكن تحقيق هذا النموذج يتطلّب حوارًا مجتمعيًا مهمًا جدًا.

● ولماذا لا تسعى الوزارة إلى تشكيل لجنة قومية لترشيد النفقات التعليمية المهدرة وتحويلها إلى بنود أخرى ذات فائدة على أرض الواقع؟

– نسعى إلى تحقيق ذلك بالفعل، فقد وفّرنا نحو ٨٠٠ مليون جنيه من خلال قرار وزاري واحد بضرورة التزام الوزارة بإنهاء المدة القانونية لمن بلغ سن التقاعد أو المعاش في أي وقت خلال العام الدراسي دون استكماله للعام الدراسي كما كان يحدث في النظام السابق، وكل هذه النفقات كانت تتحملها الدولة سنويًا قبل مجيئي إلى الوزارة، وكذا ٣٠٠ مليون جنيه في (الفصل) الأول فقط من خلال منع طبع بعض الكتب الدراسية التي لا داعي لأن يتسلّمها الطالب، والتي لا يستفيد منها مثل كتاب الكمبيوتر.. كذلك التعليم الفني، فقد كانت هناك كتب مقررة بشكل غير منطقي ومنعناها لتوفير تكلفة طباعتها، واستعضنا بها من خلال «دليل للمعلم»، وكُلي ثقة أن هناك طفرةً غير مسبوقة سوف تحدث في الكتاب المدرسي سوف تُؤتي ثمارها خلال العام القادم بإذن الله.

● وكم من المال والوقت الذي يحتاجه التعليم في مصر ليخرج من كبوته؟

– نحتاج نحو ضعف الموازنة الحالية حتى نصل لمستوى التعليم العالي الجودة، وهذا على الصعيد المادي، أما على مستوى عدد السنين، فنحن نحتاج لفترة من ٣ إلى ٥ سنوات حتى يبدأ المواطن العادي في الشعور بأن ثمة تغيراً قد طرأ على المنظومة التعليمية.. أما استقرار السياسة التعليمية في مصر فلن يتحقق قبل ١٠ سنوات، وسنبدأ من الآن في إنشاء مجلس وطنيّ لوضع إستراتيجيّات التعليم طبقًا لما هوَ منصوص عليه في الدستور فيما يتعلّق بالتعليم العالي، وقبل الجامعي بالتعاون مع وزارات التربية والتعليم، والتعليم العالي والبحث العلمي.

● وهل أنت راضٍ عن وضعية التعليم في الدستور الجديدَ؟

– كبرى منجزات الدستور المصري الجديد، أنه قطع على الدولة ضرورة أن يخصص جزءًا كبيرًا من الناتج القومي لكل من التعليم والصحة والبحث العلمي، ولو أن الدستور تمخض فقط عن هذه المنجزات فبها وكفى، ناهيك عن امتيازات أخرى كفلها الدستور، ولأول مرة في دساتير مصر، يتم إلزام الدولة بتخصيص حصة من الناتج القومي للإنفاق على التعليم، كذلك تحقيق التعليم الإلزامي للجميع بما يكون ضمانة رئيسة لمنع ظاهرة التسرّب والتي بلغت نسبتها في مصر إلى ٦,٥٪ وهو معدل ينذر بكارثة على مستقبل التعليم المصري، كذلك ارتفاع معدل انتشار الأمية إلى٣٠٪، ومن ثم التعليم الإلزاميّ سيحقق التقليل من ظهور فئات مجتمعية تكون أكثر خطورة على المجتمع، وكلنا تحد أن يكون القادم هو الأفضل في إطار الإصلاح والتطوير.

● ومن المسؤول عن أزمة النصّ الموجود في مادة التربية الوطنية المخالف لصحيح السنة «من بدّل دينه فاقتلوه»؟

– تم التنبه جيدًا بهذا الأمر، وقمنا

بإرسال نسخة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، وأبعث له من خلال مجلّتكم الموقرة كل الشكر والتقدير على تعاونه ورحابة صدره تجاهنا، وما تم الاتفاق عليه من توصيات بشأن المناهج الدراسية من خلال هيئة كبار العلماء والأزهر الشريف تم الالتزام بتطبيقه على الفور، وقد تم تحويل المتسبب في هذه الأزمة إلى التحقيق، للوقوف على حقيقة هذا الأمر في كونه متعمدًا، أم أن ثمة خطأ.

● وهل تقبل حذف الآيات القرآنية من المناهج أو إضافة مواد من ديانات أخرى؟

– هذه الفكرة لم تطرح على مائدة اهتمامات الوزارة بشأن تعديل بعض المناهج، ولا يمكن أن نحذف حرفًا من آيات القرآن الكريم لاستبدالها بإضافات من أديان أخرى، لكن لا غضاضة في أن يكون هناك نصوص تخص الطلاب غير المسلمين، ليست هناك مشكلة في هذا الصدد.

العدد (٥٢٦) شعبان ١٤٣٤هـ/ يونيو - يوليو ٢٠١٣م

أيهما أحق بالقول
أو-كي وهاي أم «إن شاء الله» و«السلام عليكم»

خالد بن صالح الغيص
كاتب كويتي

منذ سنوات قليلة كنّا إذا واعد أحدنا الآخر وقال له: أطلب منك أن تأتيني غدًا، قال له: نعم، أو: خير إن شاء الله، أما اليوم فبدأ بعضنا يقول: أو-كي(OK)!! نحن كمسلمين من خير أمم الأرض، ميّزنا الله تعالى بديننا ولغتنا، وجعل لنا خصائص ومقومات فضّلنا بها على سائر الأمم، فلماذا إذن هذه الهزيمة النفسية، والتي بها أصبح بعضنا تبعًا لغيره؟! وقد نهانا نبينا عن التشبه بغيرنا، كما روى البخاري رحمه الله عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ فَمَنْ!».

وكلمة «إن شاء الله» ليست فقط كلمة تقال، بل هي كلمة عظيمة في معناها ومبناها، فهي كلمة توكل واعتماد على الله تعالى واستعانة به، وهي كذلك بركة، ومن بركتها أنها سبب لتحقيق المراد، ويدل لهذا حديث نبي الله سليمان بن داود - عليهما الصلاة والسلام - حين قال: «والله لأطوفن الليلة على تسعين امرأة، تلد كل واحدة منهن غلامًا يقاتل في سبيل الله، فقيل له: قل: إن شاء الله، فلم يقل، فطاف على تسعين امرأة يجامعهن، ولم تلد منهن إلا واحدة شق إنسان» فقال النبي ﷺ: «لو قال إن شاء الله لكان دركًا لحاجته» (رواه البخاري) (نقلًا بتصرف من الشرح الممتع للشيخ ابن عثيمين)، وقال في مرقاة المفاتيح: والحديث يدل على أن من أراد أن يعمل عملًا يستحب أن يقول عقيب قوله «إني أعمل كذا» إن شاء الله تعالى، تبركًا وتيمنًا وتسهيلًا لذلك العمل، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (الكهف: ٢٣-٢٤)..

والعجيب في الأمر أنّ كلمة أو- كي (OK) كنت أظنها كلمة شبابية يتكلم بها فئة الشباب، وإذا بها أصبحت دارجة حتى عند بعض كبار السن الذين نظن أنهم أهل مبادئ ومحافظة على مقومات الأمة وخصائصها.

هاي (Hi) تحارب تحية الإسلام.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، جُلُوسٌ فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الْآنَ» (رواه البخاري)، وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ» (رواه ابن ماجه)، وعن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَشْرٌ». ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ فَقَالَ: «عِشْرُونَ». ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ فَقَالَ: «ثَلَاثُونَ» (رواه أبو داود وصححه الألباني).

سبحان الله! كل هذه الفضيلة العظيمة لتحية الإسلام، نعم لأنها تحية خير الخلق، وهم الملائكة لآدم عليه السلام، وهو أبو البشر، ولها هذا الثواب الجزيل من الله تعالى، أبعد كل هذا يعمد أحدنا إلى أن يحيي إخوانه المسلمين بـ(هاي) (Hi)، ويحرم نفسه هذا الأجر العظيم، فالمسلم لا يكون إمّعة إن أحسن الناس أحسن، وإن أساءوا أساء، بل ليوطّن نفسه على أنّه يحسن سواء أحسن الناس أم أساءوا.

ولننتبه أن أو كي(OK) وهاي (Hi) ليستا كلمتين تُقالان بدل كلمتين، بل هما بالإضافة إلى أنهما تشبّه بغيرنا، فهما حاربتا وقاومتا كلمتين لهما معان عظيمة، وبركات جليلة عند الله، وأجر عظيم، فهل نحن لكلمة «إن شاء الله» ولتحية الإسلام ناصرون!!

الحاجة النفسية إلى الأدب عند ميخائيل نعيمة (١)

د.عبدالعزيز خلوفة - أكاديمي مغربي

يفرض الحديث عن الأدب العربي الحديث الإشارة إلى جهود ميخائيل نعيمة، كناقد متمرس، استطاع بثقافته الواسعة وتجربته العميقة في الحياة أن يجعل للأدب مفهومًا ووظيفة مغايرين.. وما يجعلنا نلتفت إلى زاده النقدي، كونه أحد المؤثرين في مسيرة النقاد المعاصرين الذين جاءوا بعده، كما الحال في شهادة الناقد محمد مندور: «وتأثرت بميخائيل نعيمة في كتابه (الغربال) من حيث الفطنة إلى الحاجات النفسية التي يشبعها الأدب، كحاجتنا إلى الموسيقى وإلى التعبير عن الذات وإلى القيم الجمالية النابعة من اللغة»(٢).

وسيقتصر أمرنا في هذه المقالة على بعض آراء ميخائيل النقدية المبثوثة في كتابه الغربال، التي ترى ضرورة الأخذ بعين الاعتبار صلة الأدب بحاجيات المتلقي النفسية.

يشكل مؤلف «الغربال» دعوة حقيقية إلى تجديد صورة الأدب، إذ يرمي إلى جعله مستجيبًا لطموحات المرء وهمومه الذاتية، مما يعني أن المؤلف يأتي برؤية جديدة تعيد النظر في «وظيفة الأدب وطرق نقده بعقلية متفتحة»(٣).

وبناء عليه، راح ميخائيل نعيمة يحدد المفهوم الأصح الذي ينبغي أن يكون للأدب، وهو ما نجده في مقالة بعنوان «محور الأدب»، وفيها يقول: «أجل، إننا في كل ما نفعل وكل ما

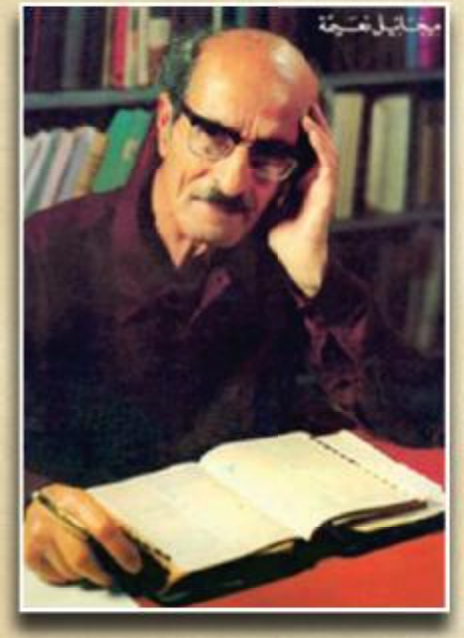

نقول، وكل ما نكتب إنما نفتش عن أنفسنا، فإن فتشنا عن الله فلنجد أنفسنا في الله، وإن سعينا وراء الجمال فإنما نسعى وراء أنفسنا في الجمال، وإن طلبنا الفضيلة فلا نطلب إلا أنفسنا في الفضيلة، وإن بحثنا عن مكروب فلا نبحث إلا عن أنفسنا في المكروب، وإن اكتشفنا سرًّا من أسرار الطبيعة فما نحن إلا مكتشفون سرًّا من أسرارنا. فكل ما يأتيه الإنسان إنما يدور حول محور واحد هو الإنسان.. حول هذا المحور تدور علومه وفلسفته وصناعته وتجارته وفنونه، وحول هذا المحور تدور آدابه»(٤).

وتأسيسًا على هذا التصور، فميخائيل نعيمة يفرض أن يتحرر الأدب من التقليد والتحجر، ويصبح الأديب قادرًا على تناول حاجياته الفردية، باعتباره كائنًا تكتنفه أسرار كثيرة، لا يكشف عنها إلا الأدب.. وهو ما يدفعه إلى قيمة عالية، تتأتى بهذه المضامين التي تفتش في كنه الإنسان وكينونته، لذلك «لا يخلد من الآثار إلا ما كان فيه بعض الروح الخالدة»(٥).

ومن ثم، فهو يحث الأدباء أن يجعلوا من ذواتهم مصدرًا للإلهام، لأن في ذلك إغناء لباقي الذوات التي تتلقى إبداعاتهم، وهو ما يفهم من قوله: «إذن فالأدب الذي هو أدب، ليس إلا رسولًا بين نفس الكاتب ونفس سواه، والأديب الذي يستحق أن يدعى أديبًا هو من يزود رسوله من قلبه ولبه»(٦).. وبهذا يصبح الأدب حاجة نفسية لا غنى عنه.

إن الخلق الأدبي يحقق لذة لا تعادلها لذة، وأثره باد على صاحبه ومتذوقه، كما يشير إلى ذلك الباقلاني: «إذا علا الكلام في نفسه، كان له من الوقع في القلوب والتّمكن في النفوس، ما يُذهل ويبهج، ويُقلق ويؤنس، ويُطمع ويؤيس، ويُضحك ويبكي، ويُحزن ويُفرح، ويسكن ويزعج، ويُشجي ويطرب، ويَهُزُّ الأعطاف، ويَستميل نحوه الأسماع، ويورث الأريحية والهزة»(٧).

وفي موضع آخر من غرباله، أفرد ميخائيل نعيمة مقالة بعنوان «مقاييس

الأدب» تتضمن إشارات عامة إلى ما ينبغي من الأدب من حاجيات ضرورية، تأخذ بعين الاعتبار الإشباع الروحي للذات المبدعة والمتلقية، وهي مختزلة عنده في أربع نقاط(٨):

أولًا: حاجتنا إلى الإفصاح عن كل ما ينتابنا من العوامل النفسية.. من رجاء ويأس، وفوز، وفشل، وإيمان وشك، وحب وكره، ولذة وألم، وحزن وفرح، وخوف وطمأنينة، وكل ما يتراوح بين أقصى هذه العوامل وأدناها من الانفعالات والتأثرات.

ثانيًا: حاجتنا إلى نور نهتدي به في الحياة، وليس من نهتدي به غير نور الحقيقة، حقيقة ما في أنفسنا، وحقيقة ما في العالم من حولنا، فنحن وإن اختلف فهمنا عن الحقيقة لسنا ننكر أن في الحياة ما كان في عهد آدم ولا يزال حقيقة حتى اليوم، وسيبقى حقيقة حتى آخر الدهر.

ثالثًا: حاجتنا إلى الجميل في كل شيء، ففي الروح عطش لا ينطفئ إلى الجمال وكل ما فيه مظهر من مظاهر الجمال، فإنا، وإن تضاربت أذواقنا في ما نحسبه جميلًا وما نحسبه قبيحًا، لا يمكننا التعامي عن أن في الحياة جمالًا مطلقًا لا يختلف فيه ذوقان.

رابعًا: حاجتنا إلى الموسيقى، ففي الروح ميل عجيب إلى الأصوات والألحان لا ندرك كنهه، فهي تهتز لقصف الرعد ولخرير الماء ولحفيف الأوراق، لكنها تكمش من الأصوات المتنافرة وتأنس مما تألف منها.

بالإضافة إلى ما قلناه، فالمقاييس المذكورة تتفاوت، عند ميخائيل نعيمة، بتفاوت الأفراد والشعوب والأزمنة والأقطار، لكنه يبقى تفاوت في الدرجة لا في الجوهر، يستطرد: «وهذه بعض حاجاتنا الروحية، إن لم تكن أهمها، وهي معنا في كل حين، فهي وإن تنوعت في الناس بتنوع الأفراد والشعوب والأزمنة والأقطار، لا تتنوع بجوهرها، بل بدرجات شدتها وقوة شعورنا بها، وهي المقاييس الثابتة التي يجب أن نقيس بها الأدب، فتكون قيمته بمقدار ما يسد من بعض هذه الحاجات أو كلها، ويكون أثمنه أجلاه بيانًا وأغناه حقيقة وأطلاه رونقًا وأشجاه وقعًا»(٩).

ولا يختلف عنا الغرب عند تحديدهم لمفهوم الأدب، فهم يميزونه عن باقي ألوان الكلام، بما يرد فيه من انشغال بالقيم الجمالية التي تستفز المتلقي، حيث «نرى الغربيين يُعرّفون الأدب في نفس المجالات الدراسية بتعريف أوسع وأعمق، فيقولون: إن الأدب يشمل كافة الآثار اللغوية التي تثير فينا- بفضل خصائص صياغتها- انفعالات عاطفية أو إحساسات جمالية، وبذلك لا يميزون الأدب بالصنعة فحسب، بل يميزونه بأثره النفسي الذي ينبعث عن خصائص صياغته، وهذا الأثر هو الانفعالات العاطفية والإحساسات الجمالية، وبهذا التمييز قد يخرج من الأدب التفكير العلمي الجاف والتفكير الفلسفي المجرد.. ولكنه لا يخرج الكثير من الكتابات الفلسفية أو الاجتماعية أو التاريخية المصوغة بصياغة أدبية، كمحاورات أفلاطون أو تاريخ مشليه أو توسيديد، التي تحمل من عوامل الإثارة، ومن الخصائص الجمالية، ما يفرضها على كتب تاريخ الأدب ومناهجه»(١٠).

وعلى ضوء ما سبق، إن ميخائيل نعيمة من خلال مؤلفه النقدي «الغربال» قد أتى بمقاييس جديدة للحكم على قيمة وأهمية الأدب في حياة الأفراد والشعوب، فلا أدب إذا لم يكن ذاتيًا ينبض بالحياة، وهو ليس كذلك إذا لم يحقق حاجات المتلقي النفسية.. بل الأدب يجعل المرء أكثر إقبالًا على الحياة: من خلال تطهير الذات المتلقية من الآفات، التي تكون وراء التشاؤم والخمول والإحباط، إنما يجعلها في استعداد دائم لمواجهة أمواج الحياة، وخوض غمار الإبداع والابتكار.

الهوامش

١ - ميخائيل نعيمة (١٨٨٩-١٩٥٥) أحد النماذج المشهود لها بالتنوير في تاريخ الثقافة العربية، ومن أعمدة مدرسة المهجر ولسان حال «الرابطة القلمية» التي تكونت عام ١٩٢٠ إلى جانب أدباء آخرين كنسيب عريضة وجبران خليل جبران وإليا أبي ماضي، من أشهر أعماله الغربال و«في الغربال الجديد» وديوان «همس الجفون» وغيرها.

٢- عشرة أدباء يتحدثون، فؤاد دوارة. ص: ٢٦٤.

٣- عن النقد العربي الحديث ومقالات أخرى، حسن لمنيعي، ص:٣٧.

٤- الغربال، ميخائيل نعيمة، ص: ٢٥.

٥- المرجع السابق، ص: ٢٦.

٦- المرجع السابق، ص: ٢٧.

٧- إعجاز القرآن، الباقلاني، ص: ٤١٩.

٨- الغربال، ميخائيل نعيمة، ص: ٧٠.

٩- المرجع السابق، ص: ٧١.

١٠- الأدب ومذاهبه، محمد مندور، ص: ٨.

القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (١٠)

عبدالله أيت الأعشير
مفتش منسق جهوي لمادة اللغة العربية - المغرب

أؤكد بَدِيًا في هذه الحلقة اللغوية أن طائفة من الذين أفردوا الوجهة للعربية الفصحى درسًا وبحثًا وتنقيرًا، يثبتون أن محاسبة العربية الفصحى بلغة القرآن الكريم ينطوي على ظلم كثير لهذه اللغة، لأن المادة اللغوية في القرآن العظيم لا تنوف عن عشر وستمائة وألف (١٦١٠) مادة، بينما يربو معجم (لسان العرب) على ثمانين ألف (٨٠٠٠٠) مادة. وإذ أقرر أنه لم يغب عني أن العربية سابقة زمنيًا على القرآن الكريم، وأن القرآن العظيم لم يتوفر على كل ما تفوه به الأعراب من عُقميِّ الكلام، وما سالت به أقلام المفنِّين من فصيح الألفاظ وبديع العبارات، فإنه لا ينبغي أن نتناسى أن كلمات الله المستفرهة لا يُحاط بها، بدليل قوله تعالى من (سورة الكهف آية ١٠٩): ﴿قُل لَّوْ كَانَ البَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ كما أن اللفظة القرآنية ذات طَاقَة دلالية نابضة بالتكاثر والتناسل المفضيَّيْن إلى روائع الألفاظ المزمومة المخطومة، ولذلك يجب الاستمساك بلغته صافية نقية، لأنه النَّوْفل الزاخر بعَرائس الكلمات الأبكار المُجْتثَّة من رياضِ الفصاحة، ومن غُرر الأساليب العربية المُبينة. لأجل هذه الحقيقة، فإن مطارف اللغة العربية الفصحى التي ينعتها الشاعر شوقي عبدالأمير بأنها فضفاضة يجب أن نمسكها ونقشرها ونخرج اللب، مؤكدًا في بذاءة وجحود أن اللغة الفرنسية جعلته ينظر إلى العربية بشكل آخر: «حاولت أن أكتب خارج النمط، كتابة ضد اللغة العربية وبلاغتها وإيقاعها، بلغة عارية ومجردة وبسيطة.»(١)، لا ريب أن الجهر بهذه السَّوْءَة الصَّلعاء التي لم يجد عنها مصرفًا، يثبت أنه قد عَميتْ

عليه أنباء العربية الفصحى وآلاؤها، ولهذا يَحق لنا أن نطرد مثل هذا الافتراء إلى أودية النسيان السحيقة، فلا يحتاج المرء أن يكون خبيرًا حتى يظهر أن هذا الرأي دَبَريٌّ مُتبَّر ناكب عن الحقيقة، عار عن الصحة، لذلك لابد من دفع فنده لأنَّ حجته داحضة، وفكرته الشيطانية ميتة فارغة مثل مُومات النحل. ومن ثمة يجب أن يكون صيُّور أمرها إلى الثبور والهلاك، لأن الشاهد القاطع يقوم على أن تطريز تلك المطارف الشائقة للعربية الفصحى، قد تعاونت عليها إرادة الله في قرآنه، ودُرَرُ النبي محمد ﷺ في سُنته، وقرائح أبَيّناء الكلام العربي من شعراء مُفلقين، وخطباء مَصاقعة، وعلماء ذابرين، ومفنِّين بلغاء، وهلم على هؤلاء جرا وسحبا...

الحجة البالغة لإطفاء نيران هذه الفرية التي تهدم ولا تخدم القضية، تتمثل في إلقاء السمع إلى حادثتَيْن: الأولى يرويها الأصمعي قائلًا: «كنت أقرأ» والسارق والسارقة فاقطعوا أيْديَهُما جَزاءًا بمَا كسَبَا نَكالًا منَ الله والله غفورٌ رحيمٌ، وبجَنْبي أعرابي، فقال: كلام مَنْ هذا؟ فقلت كلام الله. قال: أعدْ، فأعدت، فقال: ليس هذا كلام الله، فانتَبَهْتُ فقرأتُ «والله عزيز حكيم»، فقال: «أصبْتَ هذا كلام الله، فقلت: أتقرأ القرآن؟ قال: لا، فقلت: فمِنْ أيْنَ عَلِمْتَ؟ فقال: يا هذا، عَزَّ فحَكَمَ فقَطَعَ، فلوْ غفرَ وَرَحِمَ لَمَا قطعَ».(٢)، وأما الحادثة الأخرى فتتمثل في ما صرح به وزير الخارجية الأمريكي (جون كيري) في أثناء الندوة الصحافية التي عقدها مع وزير الخارجية الفرنسي أواخر شهر شباط/ فبراير ٢٠١٣م بباريس، حيث بدأ (كيري) جوابه للصحافيين باللغة الفرنسية، لكنه انتقل بسرعة إلى التحدث باللغة الإنجليزية، مؤكدًا أنه إذا لم يتحدث بالإنجليزية، فعلى الولايات المتحدة الأمريكية أن تغلق دونه الأبواب، وترجعه إلى بلد آخر غير أمريكا. هذا هو الرأي القارح، الذي يثبت أن الذين يُعَظمون أمر لغتهم، هم الذين يقودون المواكب الإنسانية إلى اصطناع المعارف بلغتهم، مثلما قاد العرب الدنيا أيام جدتهم، عندما كان العقل العربي ماردًا يطاول أعنان السماء، فجَدَّدَ وأبْدَع وأضاف، وكان العرب حُرُصًا على لغتهم، يمدونها بالمدد الكافي للتعبير عن كل ما يحيط بهم من الفنون والمعارف والصنائع، وكما هو الشأن الآن بالنسبة إلى الإنجليزية، ومعها العولمة التي طارت في كل ناحية من نواحي البحث لم تتدَّ عنها صغيرة ولا كبيرة إلا مَـدَّتْ إليها أسباب المعرفة. فماذا نحن فاعلون إزاء الفصحى، وهل أعددنا الخطط اللازمة لاحتواء أعراض أزماتنا اللغوية التي تصرخ في وجوهنا صباحًا ومساءًا، أنْ هَلمُّوا إلي لغتكم، فهي كل ما تبقى لكم بعد أن دَكّت العولمة بأظلافها قُرى نَمْلكم فحَطمَتْ كيَانكم، وبَدَّدَتْه طرائق قددًا؟

لا ريب أن توطئة الحرث الإصلاحي يبدأ بتقوية الاعتزاز بالعروبة، التي تعد الفصحى والفصيحة مُخَّها ولبابها الذي ليس لنا عنه محيص، لأجل إيجاد بيئة ثقافية عربية خالية من الرطانات الأجنبية، ومن شوب الكلمات العامية دون أن يصادف ذلك مصلحة حتمية، ناهيك عن تزييف الألفاظ وما تقوله الكلمات، الذي أصبح عادة مستحكمة، إلا من قلة من مصابيح الهداية الذين يصرون على وضع صوى ومنارات على طريق الإرشاد إلى الصواب على شاكلة تصحيح العبارتين الآتيتين: «جاء حَمْل الوادي صاخبًا»، أو قولهم: «تظهر حَمولة الوادي أنه جَرفَ مُمتلكات الناس» لاشك أن العبارتين قد ضلتا هَدَفهُمَا، وأخفقتا في توصيل المراد الذي إليه قصد القائل، والغرض الذي إليه نزع، من حيث تصوير الخسائر التي أحدثها السيل الرَّاعبُ الزَّاعبُ الذي دمَّر كل شيء أتى عليه. إذ لو كان الذي تفوَّهَ بالعبارتين الآنفتيْن على صلة بالقرآن تلاوة وتشويرًا لما وقع في مثل هذيْن الخطأين، لأن الحَمْل بفتح الحاء لا يكون إلا للمرأة والشجرة. قال تعالى من (سورة الحج آية رقم: ٢): ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا...﴾ أما (الحمل) بكسر الحاء فهوَ الذي يكون فوق الظهر كما قال تعالى من (سورة يوسف آية ٧٢): ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ...﴾ ويسمى حِمْلَ البعير: وَسْقًا، أما حِمْلُ البغل فيسمى وِقْرًا. أما الحمولة بالفتح فهي: «الإبل التي تحمل، وكذلك كل ما احتمل عليه الحي من حمار أو غيرهن سواء كانت عليه الأحمال، أو لم تكن... والحُمولة بالضم: الأحمال. وأما الحُمول بالضم بلا هاء، فهي الإبل التي عليها الهوادج كان فيها نساء أو لم يكنّ.»(٣). قال تعالى من (سورة الأنعام آية ١٤٢): ﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ...﴾ أما الحميل فهو: «الذي يحمل من بلده صغيرًا ولم يولد في الإسلام. والحَميل: ما حمله السيل من الغثاء. والحميل: الكفيل. والحميل: الدَّعيُّ(٤)، إذا ثبت هذا الشرح والتفسير فإن الصحيح الفصيح في شأن العبارتين الآنفتين هو: «جاء حميل الوادي صاخبًا»، و«يظهر حميل الوادي أنه جرف ممتلكات الناس».

هذا أوان الانتهاء. أرجو أن أكون قد نبَّهتُ إلى أن تحريف الكلمات عما تعبر عنه يعيق التواصل، ويفضي إلى سوء الفهم والإفهام، الذي ينتج عنه فساد المعرفة، التي تبقي المجتمعات التي لا تتعهد شجرة لغتها بالتشذيب والتهذيب متسولة بما في أيدي الآخرين من معارف مخسولة فارغة فاقدة لعناصر الحياة والاستمرار.

الهوامش

١ـ مجلة الدوحة القطرية عدد٥٥، حوار عبدالله الحامدي مع شوقي عبدالأمير. ص ٣٧.

٢ ـ في ثياب الأعرابي– الأصمعي إمام الأنتروبولوجيا، كتاب المجلة العربية. فاضل الربيعي – عدد ١٨٥. ص ٨٤.
الرياض ١٤٣٣هـ.

٣ ـ الصحاح– تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري–تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، الجزء الرابع، باب اللام فصل الحاء، ص ١٦٧٨. ط ٤ – دار العلم للملايين، يناير ١٩٩٠م بيروت– لبنان.

٤ ـ المصدر نفسه.

عباقرة الضاد

جاك صبري شماس
أديب سوري

يزخر التراث العربي بكنوز مختلفة من الفكر والعلم والإبداع والمنجزات الحضارية، وهل يجهل أحد ما فعله العباقرة العرب في العصور الوسطى، حيث كانت أوروبا غارقة بظلام الجهل والتخلف والانحطاط، وقد تمكنت الحضارة العربية بما تملكه من علوم أن تنقلها إلى رحاب النور والمعرفة، يقول الأديب السوري عماد جنيد: إن الأجداد العرب الفينيقيين هم أول حضارة أخذت الأبجدية، كما يقول إن الأجداد العرب البابليين بنوا برج بابل، وأول من اخترعوا المحراث اليدوي والشادوف لري الأراضي.

فالعرب في ماضيهم التليد استطاعوا أن ينشروا معارفهم على وجه المعمورة بمخترعاتهم، وهم أول من اكتشفوا الأمريكتين قبل كريستوفر كولومبس، وكانوا سادة التجارة بلا منازع، ولا ينكر أحد عبقرية العصر الجاهلي، ولم يكن جاهليًا في معلوماته، ولكنه نوع من التمايز بين الجاهلية والإسلام، حيث ضم العصر الجاهلي أفذاذًا من الشعراء، تناولوا كافة المعطيات الإبداعية، وحلق كثير منهم في مسارات مختلفة، وإن أطلق عليهم الجاهلي لأسباب عدة، ومنها وأد البنات والثأر والعصبية القبلية، وحين حل الإسلام ألغى هذه العادات البالية، وبذلك تميزت تعاليم الدين الإسلامي بالورع والعفة والنخوة، ونذكر من شعراء الجاهلية الشاعر زهير بن أبي سلمى، الذي حمل مشعل التسامح والسلام وبين آثام الحرب وما تخلفه من دمار وقتل وتخريب في قوله:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم
وما هو عنها بالحديث المرجم

ويتضح نكران الذات والتعامل الإنساني مع الآخرين، والتكافل الاجتماعي بما طرحه الشاعر الصعلوك عروة بن الورد:

أقسمُ جسمي في جسوم كثيرة
وأحسو قراحَ الماء والماءُ باردُ

ومن ذاك الذي ينسى عفة الشاعر الأسطورة عنترة بن شداد الذي ميزته أخلاقه عن كثير من الفرسان، وأصبغت عليه سمة العزة والنخوة والحمية وهو القائل:

وأغضُّ طرفي ما بدت لي جارتي
حتى يواري جارتي مأواها

إن الأمة التي تفخر بتاريخها الحافل بالأمجاد يحق لها أن تعتلي عروش العزة والكبرياء والشمم، ومثال ذلك الشاعر العظيم الرائع بنبله وعزته وشمائله ومحبته لأهله، متفانيًا من أجلهم وتقديم التضحية، يقول المقنع الكندي:

فإن أكلوا لحمي وفرتُ لحومهم
وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدًا

كما قدمت الحضارة العربية التي ميزها سبحانه وتعالى بحرف الضاد شاعر الفلاسفة أبا العلاء المعري الذي أبى أن ينل الخير دون الناس، فهو يأمل ويتمنى وصول الخير للبشرية كلها وذلك بقوله:

ولو أني حُبيت الخلدَ فردًا
لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا هطلت علي ولا بأرضي
سحائب ليس تنتظم البلادا

إن ما أتينا على ذكره يعد غيضًا من فيض، ولو أردنا الإسهاب في ذلك لقدمنا للقارئ مجلدًا كبيرًا يحتوي على الإسهامات الحضارية العربية، ولا يخفى على أحد أن الاعتماد على النفس جانب مهم في حياة الشعوب دون الانقطاع عن العالم، يقول جبران خليل جبران: «ويل لأمة تلبس مما لا تنسج، وتأكل مما لا تزرع، وتشرب مما لا تعصر».

فالأمة العربية بمواردها الاقتصادية المختلفة وطاقتها البشرية وإمكاناتها تستطيع أن تجد مكانة استراتيجية عظمى بين الشعوب، وكم هو عظيم أن تولي شعبها بالبحوث والمختبرات بدلاً من أن تهاجر العقول العربية إلى الغرب، وتنال الأوسمة الرفيعة في مخترعاتها، بينما أوطانهم هم بحاجة ماسة إليها، وبذلك تتجسد الأمنية العلمية الرائدة للوطن العربي.

يا الله.. يا الله

محمد عباس
شاعر مصري

يا ذلك النورُ الذي
فاضت يداه على الورى
ما عدت أطمع أن أرى
غير الملائك في الذرى
وصفاء قلبٍ قد درى
أن الحياة هَي السلامْ

نورٌ يجل عن الضياءْ
يسمو بقدس مساره
بين الدروب
وبين أفئدة العيونِ
السابحات مع الرجاءْ
يا ذلك النَور النقيّ
كفاك سيرًا في الدجى
وارفق بقلبي
فالقلوب تتوق للنورِ
الجليلِ وللنقاءْ

بشرى لقلبي قد رأى
نورًا يفيضُ على المدى
ذاك الضياء هو الهدى
نورٌ أهلّ وقد بدا
حلو الشمائل والعطاءْ

مد الأكف لترتوي
نور الفؤاد هو الحياة
ظمآن
فاشرب لا تمل
فذاك فيضٌ من ضياه
واغسل شجونك كلها
مما تدفق من بهاه
وحين تشعر أن روحك ترتقي
تسعى وتسعد بالنجاه
فاهمس بملء الروح
والوجدان
يا اللهُ يا الله

العدد (٥٧٦) شعبان ١٤٣٤هـ/ يونيو - يوليو ٢٠١٣م

هَدِيْلُ الْحَمَامِ ... بُكَاءٌ أَمْ غِنَاء ؟!

مصطفى قاسم عباس
أديب سوري

لا ريبَ أن المتأمل في الشعر يرى أن الشعراء كانوا يسامرون البدر، ويرعونَ النجوم، ويناجون الأطيافَ، ويندبون الأطلال.. وهم ذوو أفئدة رقيقة يُشجيهم نوح الحمائم، ويُبهجهم صُداحُ العنادل، ويُطربهم غناء البلابل.

وهم ذوو آذانٍ مُصغية، حيث تنصتُ آذانُ قلوبهم إلى هدير المياه، وهديلِ الحمام، وترانيم الطبيعة، وألحان الرياض، ونشيج المنتحب.. وكثيرًا ما نراهم يشاركون القمريّ جواه، فيهيّجُ لهم أحزاناً دفينةً، ويبعثُ فيهم الشوقَ بعد طول رُقاد، كما قال أبو تمّام:

غنى فشاقكَ طائرٌ غرّيد
لمّا ترنّم والغصون تَميدُ

وشعرُ أبي فراس الحمدانيّ مشهورٌ عندما سمع حمامةً تنوح بقربه على شجرة عاليّة، فسألها إن كانت تشعر بما يعانيه، وتذوق بعضًا مما يقاسيه:

أقولُ وقد ناحت بقربي حمامةٌ
أيا جارتا: هل بات حالُك حالي؟
معاذَ الهوى ما ذقت طارقةَ النّوى
ولا خطرت منك الهمومُ ببالِ
لقد كنتُ أولى منك بالدمع مُقلةً
ولكن دمعي في الحوادث غالِ

وكذلك حال الشاعر أبي القاسم عندما سمع في رونقِ الضحى بكاءَ حمامات لهن هدير، فهيجنَه ببكائهن، وزدنَ لوعته، وفجّرنَ اشتياقَه، وعُدنَ به إلى عهدٍ سلفَ، ودهرٍ مضى، فنراه مخاطبًا عبدةَ:

ألَمْ تَسْمَعي: أي عَبْدَ في رَوْنَقِ الضُحَى
بكاءَ حَمَامَاتٍ لُهَنّ هَدِيرُ؟
بَكَيْنَ فهيّجْن اشتيَاقي وَلوْعتي
وقَدْ مَرّ مِنْ عَهْد اللّقَاء دُهُور

ويبقى السؤال: هل الحمامِ عندما يسجع ويُهدهد ينوح أم يترنّم؟! أم أنه ينوح حيناً ويترنّم أحياناً أخرى ؟ أم أنه لا يترنّم على الإطلاق لأنه سَميُّ الحزن، ولكن الأمرَ في الحقيقة يعود إلى نفسية الشاعر، ومشاعره العاطفية، فإذا كان سعيدًا رآه يترنم، وإذا كان محزوناً رآه ينوح؟! والأسئلة في هذا الصدد كثيرةٌ.. ولكن المتأمل في أشعار العرب يرى أن (العربَ تجعل صوتَ الحمامِ مرةً سجعًا، ومرة غناء، وأخرى نوحًا، وتضرب به المثلَ في الإطراب والشجْو، وبجميعه جاء الشعر، قال البحتري:

إذا سجَعَ الحمامُ هناك قالوا
لفرط الشوق: أين ثوى الوليدُ؟

وقال ابن الرومي:

رأيتُ الشعر حين يُقال فيكم
يعود أرقّ من سجْع الحمام

ومن العرب كذلك (من يجعل صوت الحمام بُكَاء، ويزعم أنها تبكي على فَرْخٍ لها هلكت في عهد نوح ، ويسمونه الهديل)، ولذلك قالَ الكُميت:

وَمَا مَنْ تهْتُفينَ به لنَصْر
بأقْرَبَ جابَةً لَك مِنْ هَديلِ

ومنهم من يجعله غناءَ، كما ذكرنا . وكما قال الآخر:

ألا قاتلَ الله الحمامَاتِ غدْوَةً
عَلَى الغُصْنِ ماذا هَيّجَتْ حينَ غَنّت ؟

وأظهر أبو العلاء الشكّ في ذلك حين قال:

أبَكتْ تلْكُمُ الحَمْامةُ،
أَمْ غَنّتْ عَلَى فَرْعِ غُصْنها المَيّادِ؟!

وبعض الشعراء جعل من نوْح الحمام مطيةً للموت والهلاك والحمام، كما فعل القاضي عبدُالمنعم الواسطيّ حيث جعلَ من نوْح الحمام حمامًا وموتًا، فلله درّه عندما قال:

ولمّا جزَعنا الرّمل، رملَ عُنَيْزَة
وناحت بأعلى الدّوْحتين حَمامُ
صبوت اشتياقًا، ثمّ قلت لصاحبي:
ألا إنّما نَوحُ الحَمام حمامُ

وإذا كانت الحمامة تغني أو كانت تنوح، فإنها عند الشاعر أحمد بن محمد بن عبد ربّه تُبدي ما أخفاهُ القلبُ من لواعج الشوق، وحُرَقِ الصبابة، لذلك يقول:

أناحتْ حماماتُ اللّوى أم تغنّت؟
فأبدت دواعي قلبه ما أجنّت
فديتُ التي كانت ولا شيءَ غيرُها
منى النفس أو يقضي لها ما تمنّت

في حين نرى أن الشاعر أبا بكر يحيى بن بقيّ الطُلَيطُلِيَّ يؤكد آن القمريّ دائمُ البكاء، حتّى وإن قال بعض الناس إنه يترنم ويغني، ويُشبه شاعرنا نفسَه وتنهُّدَه بالقمريّ وبكائه عندما يقول:

فهلّا أقاموا كالبكاءِ تنهُّدي
إذا ما بَكَى القُمْرِيُّ قالوا: تَرنّما

وبكل الأحوال، وسواءٌ أكانت الحمامة تغنّي أم كانت تبكي، فإن صوتها صوتٌ أعجمي، ويفسره كلٌ شاعر كما يريد، فهناك (أبياتٌ تُروى لابن الدُّمَينَة نقتطف منها قوله:

ألا قاتَلَ الله الحَمامَةَ غُدْوةً
على الغُصْنِ ماذا هَيَّجَتْ حينَ غَنّتِ؟
تَغَنّتْ بصَوْتٍ أَعْجَمِيّ، وهَيّجَتْ
جَوَايَ الذي كانتْ ضُلُوعي أَجَنّت

وجميعنا نتفق على أن هديل الحمام وسجعَه ـ بالنسبة للمُحب والمشوق والغريب ونائي الديار يُرقّق المشاعر، ويُنبّه الشوق بعد أن كان سادرًا في غيابات الكرى، ويُسيل العبرات.

وإنّني أَرى ـ ولا أدري أيها القارئُ الكريم أتوافقني الرأي أم لا ؟ ـ أن الحزن والنواح هو الأساس عند الحمام، فالحمام بهديله وسجعه سميرُ الحزانى، ونَجِيُّ الثّكالى والأيامى، وهديلُهُ بلسمٌ لجراحات المتألّمين، وسجعُهُ مؤنسٌ للغرباء المبعَدين.. وعندما يختلف اللفظ أحيانًا عند الشعراء بين الغناء والنواح فإن الشعراءَ ـ طبعًا ـ لا يقصدون الفرحَ والسرور إذا ذكروا كلمة الغناء مقرونةً مع الحمام، بل يقصدون بها الحزن والبكاء، والعَويل وطول النحيب.

العدد (٥٧٦) شعبان ١٤٣٤هـ / يونيو - يوليو ٢٠١٣م

نظم رموز الجامع الصغير ـ للفخر يوسف ـ

تحقيق : صالح بن عبدالفتاح بن عبدالخالق
باحث بقسم المخطوطات بدار الكتب المصرية

إن كتاب الجامع الصغير للإمام الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) من أشهر الكتب الجامعة لأحاديث النبيِّ ﷺ التي كثر اعتماد المتأخرين عليها، وقد استعمل رحمه الله تعالى بعض الرموز للدلالة على من أخرج الحديث من العلماء في كتبهم، وقد وقفت على نظم محكم المبنى والمعنى، حاوٍ لتلك الرموز في أبيات شعرية سهلة الحفظ، أما ناظمها فلم أقف على اسمه فيما بين يديَّ من المراجع، سوى ما ذكره عن نفسه في آخرها بأن اسمه يوسف ولقبه الفخر، وقد اعتمدت في تحقيقها على نسخة خطية وحيدة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم: (٣٧٨١٢/ب). فنسأله تعالى النفع بها.

حمدًا لربنا مصلِّيًا على ... محمد وآله ومن تلا
وبعدُ ذا نظمٌ لرمزٍ قد أتى ... في الجامع الصغير فادرِهْ يا فتى
خا بخاريٌّ وميمٌ مسلمٌ ... قافٌ للاثنين وكاف حاكمُ
إن كان في مستدركٍ أطلقهُ ... جلالُنا أو غيرِه بيَّنَهُ
دالٌ أبو داود نون نسائي ... ها ابن ماجه ثم تا ترمذي
ورمزُه بأربع قبطية ... لأربعٍ أوصافُهم مَرْضِيَّه
أعني ابنَ ماجه ترمذيْ داوودا ... والنسائيُّ فافهم المقصودا
ورمزه يا صاح بالثلاثه ... أيضًا لهم كذا خلا ابن ماجه
حمٌ أتى لأحمدٍ في مسنده ... عمٌ أتى لابنه في زوائده
خدٌ أتى إلى البخاري في الأدب ... تخٌ له لكن لتاريخٍ انتسَب

ولابـــن حِـبَّـان حـــبٌ فـي رمـزه ... لـه عـلـى الـــدوام فـي صحيحه

طـبٌ أتـى لـلـطـبـرانـي فـي الكبير ... طـسٌ لـه فـي أوسـط طـصٌ صغير

ولابـــن مـنـصـورٍ سـعـيـدٍ صـادُ ... فـــي ســـنـنٍ لـــه بـــهـــا يُـــرادُ

وابـــن أبـــي شـيـبـةَ شـيـنٌ فـاسـمـعِ ... لـعـبـد رزَّاقٍ عـــبٌ فـي الجـامـع

عـيـنٌ أبـو يـعـلـى لـه فـي مسـنـدهْ ... قـطٌ أتـى لـلـدَّارَقُـطْـنِـيْ فانتبهْ

فـمُـطـلـقًـا إن ذا فـي الـسُـنَنِ ... أو غـيـرِهـا لـه الجـــلالُ يُـبِـن

فـرٌ أتـى فـي رمـــزه لـلـدَّيْـلَـمِـيْ ... في مسند الـفـردوسِ يا هـذا اعلمِ

حـــلٌ أتـــى إلـــى إمـــام الـسـنَّـةِ ... أبـي نُـعـيـم فـي كـتـاب الحلـيـةِ

هـــبٌ أتـــى لـلـبَـيـهَـقـيِّ فـاعـلـمـنْ ... في شعب الإيمـان هـقٌ في السننْ

عـدٌ أتـى لابـن عـديْ فـي الـكـامـلِ ... كـتـابِـه المشـهـور فـاعـلـم يـا فُـلِ

عـقٌ عـقـيـلـيٌّ جـا فـي الـضـعـفـاءِ ... خـطٌ إلـى الخطيب يـا ذا الـرَّائي

فـمـطـلـقًـا إن كـان فـي تـاريـخـهِ ... أو غـيـــرِه أبـــانـــه بـــذكـــرهِ

قـد تمَّ مـا بـه الـــرواة تُـعْـرَفُ ... نـاظـمُـه فـخـرُ الـفـقـيـرُ يـوسـفُ

ذو العجز والتقصير يرجو المغفرهْ ... مـــن ربِّـــه بمـنِّـــهِ فـي الآخـــرهْ

وأفـضـلُ الـصـلاةِ والـتـسـلـيـمِ ... عـلـى الـنـبـيِّ المصـطـفـى الـكـريـمِ

وآلِـــه وصـحـبـهِ الأخـيـارِ ... مـا غـرَّد الـقـمْـرِيُّ فـي الأسـحـارِ

ما العلمانية؟

د. سامي عطا
باحث أردني

مصطلح «العلمانية»: مصطلح غربي الأصل والنشأة والمولد، ظهر في منتصف القرن الماضي، ويعني دنيويًا غير ديني، ويقابله بالإنجليزية: secular وبالفرنسية: secularise أو Laique، وهو كما ورد في معجم العلوم الاجتماعية: نسبة إلى «العلم.. بمعنى: العالم»، وهو خلاف الديني أو الكهنوتي، وهذه تفرقة مسيحية لا وجود لها في الإسلام.

وأساسها: وجود سلطة روحية هي سلطة الكنيسة.. وسلطة مدنية هي: سلطة الولاة والأمراء...

تقول دائرة المعارف البريطانية: «العَلمانية - سيكوليرزم - secularism): «هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها..»(١).

ويقول معجم أكسفورد: «العلمانية تعني»:

أ- دنيوي أو مادي ليس دينيًا ولا روحيًا: مثل التربية اللادينية، الفن أو الموسيقى اللادينية، السلطة اللادينية، الحكومة المناقضة للكنيسة.

ب- الرأي الذي يقول أنه لا ينبغي أن يكون الدين أساسًا للأخلاق والتربية(٢).

العلَمانية من العلم أم من العالم؟

العَلمانية - بفتح العين - هي الترجمة الصحيحة على غير قياس لكلمة secularism الإنجليزية أو secularit الفرنسية، وهاتان الكلمتان لا صلة لهما بلفظ العلم ومشتقاته، فالعلم في الإنجليزية والفرنسية يعبر عنه بكلمة science والمذهب العلمي نطلق عليه كلمة scientism والنسبة إلى العلم هي scientific أو scientifique في الفرنسية، والترجمة الدقيقة للكلمة هي العالمانية أو الدنيوية أو اللادينية، ولكن تحولت كلمة عالمانية إلى عَلمانية لأن العربية تكره تتابع الحركات وتلجأ إلى التخفف منه(٣).

ومع أن هذا التأصيل المعجمي لمصطلح العلمانية يكاد يكون حاسمًا في أن العلمانية من العالم وليس من العلم، ذلك لأنها بفتح العين وليس بكسرها، فإن كثيرًا من العلماء والباحثين العرب والمسلمين مختلفون حول النسبة الصحيحة للعلمانية، فالبعض ينسبها إلى العلم وينطقها بكسر العين، ومن هؤلاء: د.محمد سعيد رمضان البوطي(٤)، ود.يوسف القرضاوي(٥)، ود.عبدالعظيم المطعني(٦)، ومحمد مهدي شمس الدين(٧)، ود.عماد الدين خليل(٨) ود.زكي نجيب محمود(٩)، ود.سفر الحوالي(١٠).

وممن أجاز الوجهين -الكسر والفتح- د.عزيز العظمة، وإن كان يفضل الكسر(١١)، ود.رفعت السعيد(١٢).. إلا أن الأغلبية الساحقة من الباحثين والمفكرين ينطقون الكلمة بالفتح وينسبونها إلى العالم وليس إلى العلم، وهو ما يتفق مع المصادر الغربية التي توضح مصدر الكلمة ومعناها، والغاية منها، ومن هؤلاء: د.محمد البهي(١٣) ود.محمد عمارة(١٤)، ود.عبدالوهاب المسيري(١٥)، ود.السيد رزق الحجر(١٦)، ود.أحمد فرج، ود.عبدالصبور شاهين، ود.عدنان الخطيب(١٧)، ود.حسن حنفي(١٨)، ود.محمد عابد الجابري(١٩)، ود.مراد وهبة(٢٠)، ود.عادل ضاهر(٢١)، ود.حسين أحمد أمين(٢٢)، ود.عبدالمجيد الشرفي(٢٣)، وغير هؤلاء من الباحثين، إسلاميين وعلمانيين، وليس مرادي هنا الاستقصاء.

أما العلمانية -بالكسر- فهي احتكام لمنطق العَلم- في تأويل الأشياء المتصلة بمختلف أوجه النشاط البشري(٢٤)، وهي ظاهرة حديثة وظفتها العَلمانية -بالفتح- توظيفًا خاطئًا وخطيرًا على البشرية والإنسانية جمعاء. لأن العلم عند الغربيين الطبيعيين لا يتناول إلا المحسوسات والمشاهدات، فهو العلم الطبيعي والرياضي فقط(٢٥)، أما عندنا فالعلم يشمل كل ما يتصل بالكون والإنسان والحياة.

ولعل المعنى الصحيح لترجمة كلمة «العلمانية» هي «اللادينية» أو «الدنيوية»(٢٦)، لأنها مشتقة من العالم أي «الدنيا»(٢٧). ومن هنا فإن العلماني هو الدنيوي لأنه يهتم بالدنيا، بخلاف الديني أو الكهنوتي، فهذا الأخير يهتم بالآخرة...

ويتضح ذلك مما تورده دوائر المعارف الأجنبية للكلمة:

تقول دائرة المعارف الأميركية: الدنيوية هي: نظام أخلاقي أسس على مبادئ الأخلاق الطبيعية، ومستقل عن الديانات السماوية، أو القوى الخارقة للطبيعة...(٢٨).

والتعبير الشائع في الكتب الإسلامية المعاصرة هو: فصل الدين عن الدولة. وهو في الحقيقة لا يعطي المدلول الكامل للعلمانية الذي ينطبق على الأفراد وعلى السلوك الذي قد لا يكون له صلة بالدولة(٢٩).

ولم ترد لفظة العلمانية في معاجم اللغة العربية القديمة، بل وردت في بعض المعاجم الحديثة، ومن ذلك: المعجم الوسيط(٣٠) حيث قال: العلماني نسبة إلى العلم بمعنى العالم، وهو خلاف الديني أو الكهنوتي(٣١).

وأول معجم ثنائي اللغة قدم ترجمة صحيحة للكلمة هو قاموس «عربي فرنسي» أنجزه لويس بُقطر المصري، عام ١٨٢٨م، وهو من الجيل الذي ينتمي للحملة الفرنسية، وقد كان متعاونًا مع الفرنسيين، ورحل معهم إلى باريس، وعاش هناك، وكانت ترجمته لكلمة: cecularite: عالماني، ولكلمة: ceculier، علماني، عالماني، وميزة هذه الترجمة أنها أول وأقدم ترجمة صحيحة للكلمة، تدحض آراء الذين يعتبرون العلمانية من العلم، لأنه نسبها إلى العالم(٣٢).

وهذا التأصيل المعجمي لمصطلح العلمانية في اللغة، يكاد يكون حاسمًا في أن العلمانية من العالم، وليس من العلم، ولذلك فهي بفتح العين وليس بكسرها.

أما العلمانية في الاصطلاح:

فهي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين، وتعني في جانبها السياسي بالذات.. اللادينية في الحكم، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم،

والمذهب العلمي(٣٣).

ولاشك أن كلمة العلمانية اصطلاح غربي، يشير إلى انتصار العلم على الكنيسة النصرانية، التي حاربت التطور باسم الدين(٣٤). ومن هذا يتضح لنا أنه لا علاقة لكلمة العلمانية بالعلم، وإنما علاقتها قائمة بالدين على أساس سلبي، وهو نفي الدين عن مجالات الحياة: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والفكرية.

وخلاصة القول: إن العلمانية اسم لمذهب فكري، عقدي، اجتماعي، يهدف إلى حمل الناس على إبعاد الدين عن حياتهم، ويعمل في مجالات ومحاور عديدة منها:

المحور السياسي والاقتصادي: بجعل القوانين الوضعية هي أساس السياسة، والاقتصاد، ولا اعتبار للدين.

المحور الاجتماعي: ويعمل على خلق نظام اجتماعي يستمد قيمه من الفلسفات البشرية، دون النظر للدين، وعدم اعتبار الدنيا قنطرة للآخرة -كما يقول الدين الصحيح-، وقصر اهتمامهم على ملذات الدنيا.

المحور التربوي والأخلاقي: بإبعاد التوجيهات الدينية عن مجالات التربية والأخلاق، واستمدادها من نظم الحياة المعاصرة.

المحور العقدي: ويقوم على الإيمان بالمادة المحسوسة، ورفض الإيمان بالميتافيزيقا، أو ما وراء الطبيعة، أي: بالغيبيات، وما لا يدرك بواسطة الحواس الخمس(٣٦).

أي أن الدولة لا تلتزم بأي معتقد، أو دين.. كما أنها لا تخص أي دين باعتراف خاص به.. أو بعطف خاص.. أو بمساعدة امتيازية.. ولا تقوم في نفس الوقت بالدعوة للإيمان بأي دين، فالعلمانية بإيجاز: هي عزل الدين عن الحياة الاجتماعية للأفراد، وعن شؤون الإدارة، والتعليم، والحكم.

الهوامش

١ - ١٩. Ency. Bribunnica vol. ixp

٢ - ٧٨٥: Oxford advanced learners dic. of current English

٣- انظر د.عبدالصبور شاهين «العلمانية - تاريخ الكلمة» ص١٢٤، مقال ملحق ضمن كتاب أحمد فرج «جذور العلمانية».

٤- انظر: د.محمد سعيد رمضان البوطي «العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر» ص٢٤٧.

٥- انظر: د.القرضاوي: التطرف العلماني في مواجهة الإسلام ص١٣ - أندلسية للنشر والتوزيع - المنصورة - الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠م وانظر له أيضًا كتابا أسبق بكثير، الإسلام والعلمانية وجهًا لوجه ص٤٨ - دار الصحوة - القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٩٤م.

٦- انظر: د.المطعني العلمانية وموقفها من العقيدة والشريعة ص٧.

٧- الشيخ محمد مهدي شمس الدين «العلمانية» ص١٢٥ مع أن الشيخ شمس الدين يعيدها إلى العالم على غير قياس.

٨- انظر: عماد الدين خليل «تهافت العلمانية» ص٤٦ مؤسسة الرسلة- ط٦ /١٤٠٧ هـ ١٩٨٦م. وهو يستخدم الكلمة مضبوطة بالكسر في أكثر صفحات كتابه.

٩- انظر: د.زكي نجيب محمود «تجديد الفكر العربي» ص٣٤، ٣٥.

١٠- انظر: د.سفر الحوالي «العلمانية» ص٢١- دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م مكة المكرمة - وهي في أصلها - رسالة ماجستير مقدمة في كلية أصول الدين - جامعة الأزهر - إشراف د.محمد قطب.

١١- انظر: د.عزيز العظمة «العلمانية تحت المجهر» ص١٥٧. وله أيضًا «العلمانية من منظور مختلف» ص١٧، ١٨. مركز دراسات الوحدة العربية- ط١ / ١٩٩٢.

١٢- انظر: د.رفعت السعيد «العلمانية بين الإسلام والعقل والتأسلم» ص٧ - دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق- الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

١٣- انظر: د.محمد البهي «العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق» ص٧، ٨ - طبعة القاهرة ١٩٧٦ وله: «الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر- مشكلات الأسرة والتكافل» ص١١ طبعة بيروت ١٩٦٧م.

١٤- انظر: د.محمد عمارة «العلمانية بين الغرب والإسلام» ص٥- دار الوفاء للنشر- الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٦م سلسلة نحو عقلية إسلامية واعية رقم ٢٣ وله أيضًا: «الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين» ص٩ - نهضة مصر- القاهرة يونيه ٢٠٠٠ د.ط سلسلة في التنوير الإسلامي رقم ٤٩.

١٥- انظر: د.عبدالوهاب المسيري «العلمانية تحت المجهر» ص٥٨-٦٠.

١٦- انظر: د.السيد رزق الحجر «مدخل لدراسة الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر» ص٣١٦-٣١٧.

١٧- انظر: «جذور العلمانية» ص١٢٩، ١١٧، ١٤٦ للدكتور السيد أحمد فرج - دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة - سلسلة نحو عقلية إسلامية واعية رقم ٢- الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، وقد أضاف الدكتور أحمد فرج إلى الكتاب ثلاثة ملاحق أحدها له والثاني للدكتور «عبدالصبور شاهين» والثالث للدكتور «عدنان الخطيب».

١٨- انظر: د.حسن حنفي ود.عابد الجابري «حوار المشرق والغرب» ص٤٢- مكتبة مدبولي- الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

١٩- انظر: د.محمد عابد الجابري «وجهة نظر» ص١٠٢.

٢٠- انظر له: «ملاك الحقيقة المطلقة» ص٢٣- مكتبة الأسرة ١٩٩٩م.

٢١- انظر له: «الأسس الفلسفية للعلمانية» ص٣٧- دار الساقي- الطبعة الثانية ١٩٩٨ - بيروت.

٢٢- انظر له: «حول الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية» ص٩٠، ٩٥.

٢٣- انظر له: لبنات ص٥٣-٦٨- دار الجنوب للنشر- تونس ١٩٩٤م والشرفي هنا لم يتعرض لاشتقاق المصطلح إلا أن أسباب حديثه عن سير العلمنة يفهم منه أنه يعتبرها من الدنيوية والعالمانية والتوجه إلى هذا العالم ونبذ المغيبات والماورائيات.

٢٤- انظر: د.فتحي القاسمي ص٥٥، ٦٥.

٢٥- انظر: د.ولتر ستين «الدين والعقل الحديث» ص٢٥١ ترجمة وتعليق د.إمام عبدالفتاح إمام- مدبولي - القاهرة ط١/١٩٩٨. وانظر: د.زكي نجيب محمود «خرافة الميتافيزيقا» ص٣ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣.

٢٦- انظر قاموس المورد لمنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٧م.

٢٧- منير البعلبكي: قاموس المورد، ص: ٥١٠، ٥١٧، ٥١٨، ٥٢٧. دار العلم للملايين، بيروت.

٢٨- انظر الاتجاهات الكفرية المعاصرة د.علي جريشة ص٨٥ نقلًا عن المجلد ٢٤.

٢٩-انظر: العلمانية لسفر الحوالي ص٢٣.

٣٠- المعجم الوسيط: ٦٢٤/٢.

٣١- الكهنوت: خدمة أسرار الكنيسة- سريانية معربة- والتاء فيه للمبالغة لا للتأنيث كتاء ملكوت وجبروت، ودرجاته ثلاث: الشماس، والقسيس، والأسقف، ومراتبه كثيرة منها: القاري، والخوري، والمطران، والبطريرك، والبابا، وفعله: كهن، وتكهن تكهنًا فهو كاهن، ج: كهنة. انظر: جذور العلمانية المرجع السابق، ص١٥١، نقلًا عن قاموس الأسقف جرمانوس فرحات ط سنة ١٨٤٩م في مدينة مرسيليا الفرنسية.

٣٢- انظر د.أحمد فرج: ص١٣٨.

٣٣- انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص٣٦٧.

٣٤- انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ص١٠٣.

٣٥- انظر: العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق، د.محمد البهي. وتهافت العلمانية، د.عماد الدين إسماعيل. والعلمانية نشأتها وتطورها د.سفر الحوالي. والتيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن، د.منى محمد بهي الدين الشافعي.

٣٦- انظر: جوزيف مغيزل، العروبة والعلمانية، ص٢١. دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٠م.

العدد (٥٢٦) شعبان ١٤٣٤هـ/ يونيو - يوليو ٢٠١٣م

الفصول الأربعة... في حياتنا!

هنادي الشيخ نجيب - كاتبة لبنانية

إنّنا عندما نُسأل: كيف حالُكم؟ نردّ بكل عفوية وتلقائية: الحمد لله، إلا أنّ تلك الإجابة تتضمن معرفتنا باستحالة دوام الحال، وتوقّعنا بتغّيره إذا ما سُئلنا عنه مرة ثانية!!

وطالما أنّ دوام الحال من المحال، فهل مقبول أن يحكم علينا أحدٌ من خلال موقف واحد اختبرنا فيه، أو أن يأخذ عن شخصيتنا فكرة جرّاء مشهد وحيد، قد اعترانا فيه حالة معينة؛ كالغضب مثلاً، أو الحزن أو الحماسة أو المزاح؟!...

وهل يجوز، لقريب أو بعيد، أن ينشر صورة عنّا، بعد جلسة عابرة، أو نقاش سريع حول موضوع محدّد؟!

بل هل يليق، بمن يُفترض أن نعرفه ويعرفنا، أن يمحو تاريخًا طويلًا من الإحسان، بسبب موقف لم يرضه، أو لم يعجبه، أو حتى لأنّ رأينا لم يكن متطابقًا مع رأيه؟!!

وما أصعب أن ينقل ذلك الشخص عنّا أمورًا أو معلومات، ويقوم بنشرها على من حوله، ثم يعطيهم انطباعاته بعد تجربته معنا وكأنها مُسَلَّمات، وينسى القاعدة التي تقول: (إن كرهت مني خلقًا، رضيت مني خلقًا آخر، وإن لم أعجبك فيَّ أمر، فلا تقس على ذلك كلّ أموري)...

إنّ كل واحد منّا يتردّد في حياته بين الفرح والحزن، واليسر والعسر، والمرض والعافية، والاجتماع والفرقة، وتنعكس هذه التقلبات عليه من خلال مجموعة من المشاعر قد تصل إلى حدّ التناقض الذي لا يُفسّر!! فكيف إذًا يستقيم- والحال هكذا- أن يدوم الانطباع عن شخص ما لسنوات، خاصة إذا كنّا لم نعاشره لمدّة تتيح لنا مشاهدته في كل الفصول؟!

ولمزيد من التوضيح، أرجو منكم- قرّاءنا الكرام- أن تشاركوني قصة رمزية بعنوان: (الفصول الأربعة)...

كان لرجل أربعة أبناء، أراد يومًا أن يعلمهم درسًا في الحياة، حتى لا يتسرّعوا في الحكم على الأشخاص، ويتخلّصوا من النظرة السطحية للأمور.

أرسلهم ذات يوم إلى مكان بعيد، حيث كانت توجد شجرة كبيرة، على أن يذهب كل واحد منهم في فصل مختلف، ويعود ليصف للآخرين ما رآه من حال تلك الشجرة.

ذهب الابن الأكبر في فصل الشتاء، والثاني في فصل الربيع، والثالث في فصل الصيف، والرابع في فصل الخريف. وعندما عادوا جميعًا من رحلتهم الطويلة، جمعهم الوالد، وطلب منهم أن يصفوا ما شاهدوه...

قال الابن الأكبر: لقد كانت الشجرة يابسة وقبيحة المنظر، لا أثر للحياة فيها...

فقال الثاني: بل كانت مورقة وخضراء، لا ثمرة عليها تؤكل، لكنّ منظرها يُعجب ويُسر...

بادر الثالث قائلاً: رأيتُها مغطّاة بالزهور ذات الرائحة الجميلة، لقد بدت في غاية الروعة والجمال...

وأنهى الابن الأصغر وصف الشجرة معلّقًا: لم أر الشجرة إلا زاخرة بالحياة، مليئة بالثمر، سخية بالنفع والفائدة...

سُرّ الوالد من وصف أبنائه للشجرة، برغم تفاوت الأوصاف والنعوت التي وصلت إلى درجة التناقض، ثم استلم دفة الحديث مستفيدًا من مشاهدات أولاده الأربعة: (أبنائي الأعزّاء، لقد ذهب كل واحد منكم في موسم مختلف، فعاين الشجرة في مشهد مختلف، مع أنّ كل الأحوال تعبّر عنها، وفي مجموعها حقيقة الشجرة...لذلك، فاحذروا أن تحكموا على شخص بعد أن تلتقوا به في موسم معين، لأنكم وقتها ستخسرون الفرص المتوفرة في بقية المواسم، وستفقدون الفائدة والفرح الموجودان وراء المشاهد الصعبة والقاسية!!)

نحن نريد من وراء هذه القصة أن نشجّع على الخروج من نفق الرأي الواحد، وتجاوز إشكالية النظر من زاوية واحدة، والانتقال للتعامل مع بعضنا وفق نظرية الفصول الأربعة، التي تعزز مفهوم الرؤية المتكاملة والانطباعات التراكمية...

فالعاقل هو الذي يحرّك عدسة عينه ليطلّ على المشهد من كل الزوايا، والحكيم هو الذي يتأنّى في الحكم على الناس، ويتجنّب تعميم مشهد واحد على بقية جوانب الشخصية...ومن أراد أن يتحرّى الموضوعية ويقترب من خلق التقوى، فما عليه إلا أن يطبّق قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (المائدة-٨). ومن أراد أن يكون دقيقًا في معاملاته، فعليه أن يتحقق من هذه العبارة، وينزلها منازلها، لتكون معينًا له في اكتشاف الانعكاسات الحقيقية للصور التي تراها عيناه...يقول أحدهم: (أنت لا تكرهني، بل أنت تكره الصورة التي كوّنتها عني، وتلك الصورة هي أنت وليست أنا)...

خلاصة القول بأنّ رأي الآخرين بنا، إن لم يكن نتيجة معرفة طويلة، ومشاركة حقيقية، فهو لا يُلزمنا، إنما يلزم من أصدر الحكم، وعمّم الرؤية، ونشر الصورة والانطباع، واختلس من نفسه، فنسخ ولصق...

على أن نتذكّر وقفتنا للحساب، بين يديّ رب الأرباب، فمن أحسن واستدرك فله الحسنى وزيادة، ومن أساء وأصرّ، فلا فرصة له في الإعادة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

في الكثير من المناسبات ومستجدات الأحداث التي يتقلب فيها الفرد المسلم أو الأمّة، يتذكر أثراً شريفاً منسوباً لرسول الله ﷺ «ولكن حمزة لا بواكيَ له». ويروي الإمام موسى بن عقبة (ت ١٤١هـ) في كتابه «المغازي»(١) أن الرسول الكريمﷺ لما عاد من غزوة أحد وجد حالة من الهستيريا تملأ شعب المدينة صراخاً وعويلا من نساء المدينة وجواريها على مَن فقدن من الأزواج والأقارب؛ فصعُب عليه ﷺ الأمرُ، وتذكر مجاهداً مقدَما في الإسلام والجهاد، من المهاجرين وينتمي لآل بيته الطاهر، لكن غربته في المدينة المنورة بطلعة الإسلام، جعلت النبيَ المرسل عليه الصلاة والسلام، المثقل بمخلفات حرب غير متكافئة يقول بملء فيه، ليضع حداً للحالة التي يستغلها مرجفو المدينة ومنافقوها: «ولكن حمزة لا بواكي له». تقول رواية موسى بن عقبة: «فلمّا دخل النّبيّ ﷺ أزقة المدينة إذا النوح والبكاء في الدور، فقال ما هذا؟ قالوا: هذه نساء الأنصار يبكين قتلاهم، قال: وأقبلت امرأة تحمل ابنها وزوجها على بعير قد ربطتهما بحبل، ثمّ ركبت بينهما، وحمل منهم قتلى فدفنوا في مقابر المدينة، فنهاهم رسول الله ﷺ عن حملهم، وقال: واروهم حيث أصيبوا، وقال رسول الله ﷺ حين سمع البكاء: لكن حمزة لا بواكي له، واستغفر له. فسمع ذلك سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وعبد الله بن رواحة، فمشوا إلى دورهم فجمعوا كل نائحة باكية كانت بالمدينة فقالوا: والله لا تبكين قتلى الأنصار حتّى تبكين عم رسول الله ﷺ فإنه قد ذكر أن لا بواكي له بالمدينة...»(٢)

«ولكن مسلمي بورما لا بواكي لهم»

د. محمد سعيد
صمدي- المغرب

إن الدرس الذي يقدمه هذا الحدث الذي تورده كتب السيرة، والذي يؤرخ لحالات إنسانية عاشها المجتمع المدني بعد موقعة أُحُد القاسية، هو محاولة التغلب على النرجسية ومقاومة معاناة الذات، والانتقال إلى تقاسم معاناة الجماعة النفسية والمجتمعية وحتّى الإيمانية، فلا يعقل في منطق الدين الجديد الذي وحّد أهل المدينة بإخوانهم المهاجرين، أن تتحول لحظة مأساوية أكد الزمن الذهبي للإسلام أنها عابرة إلى شبه انقلاب على قيم التوحيد والإيمان، فعمّ بسبب التدخل النبوي بتلك المقولة الشريفة عن عمه أسد الإسلام، التضامنُ والمواساةُ والتعزيةُ لأهالي شهداء أحد، لا فرق بين أنصاريّ ومهاجر.

وسياق تذكّر هذا الأثر النبوي الذي يرقى إلى درجة عالية من الصحة كما يقول المحدثون، هو مأساة حمزة رضي الله عنه في دولة ميانمار البوذية، وحمزة هنا هو رمز للموحدين من مسلمي الروهينغيا، المواطنين الأصليين لمملكة أرَكان القديمة التي دخلها الإسلام منذ وقت بعيد جداً، وكأن القتلَ والفتك والتمثيل الذي وصل حدّ إخراج الكبد من قبل «وحشي» تنفيذاً لأوامر«هند»، يعيد التاريخَ ويكرر الصورةَ مع عصابة مؤمنة في أدنى الأرض، وتذكرت قوله الشريف ﷺ وقلت مع نفسي: ولكن مسلمي بورما لا بواكي لهم، أمام صراخ وعويل إعلاميّين كبيرين من القوى العظمى ومنظمات حقوق الإنسان الدولية، ندباً وتحسيساً بقضايا أقليات مضطهدة من غير المسلمين في شتّى مناطق العالم.

واليوم يتذكر المرء أقلية مسلمة مضطهدة اضطهاداً لا يمكن وصفه تقتيلاً وحرقاً وتشريداً ومحاصرةً وتجويعاً وإرهاباً، وتكتمل المأساة حينما تقوم دول الجوار بمحاصرة اللاجئين المضطهدين الهاربين، ويتمّ تركهم في وضعيات ومناطق معلقة لا تتوفر على أبسط مقومات الحياة الكريمة، ويصعب على المتتبع أن يحصي ألوان التضييق والحرب التي تستهدف السكان الأصليين للأرَكَان في شتّى مناحي الحياة، وكلها بالمناسبة تقارير معروفة ومثبتة في أرشيف منظمات حقوق الإنسان ومنظمة الأمم المتحدة والمؤتمر الإسلامي والاتحاد الأوربي، لكن القوى الضاغطة والمتحكّمة في بوصلة التدخلات والضغط تتجاهل كلياً مأساة هذه الفئة من البشرية، التي تتوفر على كل معاني القيم البشرية، رغم التشويه الذي قد يُلصق بها، فما رأت عيني ألطفَ وأندى وأرقّ من مسلمي آسيا، خاصة مسلمي الصين الذين زرتهم سنة ٢٠٠١ فتذكرت قوله ﷺ: «يأتي على أمّتي زمان الصابرُ فيهم على دينه كالقابض على الجمر»، وفعلاً حينما تولد وتحيا في ظل نظام «دكتاتورية مقرفة» كالدكتاتورية الصينية أو الديكتاتورية البوذية، المطوقتين بعولمة حداثية مزيفة لا تستطيع تحقيق العدالة الإنسانية، تعرف بحق قيمةَ وطنيةَ ومعدنَ الأقلية المسلمة في بلاد الصين والميانمار المجاورة لغرب الصين، وتتأكد من أن الإنسان هناك يحيى بحق وهو ممسك أوثق الإمساك بجمرة التوحيد العصية عن الاجتثاث، وقد آن الأوان إن لم يكن تأخر أن تفتح عينَها المنظماتُ الحقوقية الدولية على هذا النوع من البشر الذي تتحدث عنه وعن حقوقه ديباجاتُها وأدبياتُها الحقوقية، فهل يكفي أن تُصرفَ كُلفةٌ مالية سخية وتُمارسَ ضغوطاتٌ على أنظمة معينة لتحسين التقدم في الحريات وحقوق الإنسان ضداً على كل أصناف التمييز العرقية والعَقَدية واللونية، وتضغط في اتجاه إلغاء عقوبة الإعدام لأخطر وأبشع أنواع الجرائم المرتكبة بدعوى الحق في الحياة، في الوقت الذي يُعدم فيه أبرياء أرَكَان – مسلمو بورما-. يقول الدكتور أحمد الريسوني، في حوار له، وهو يستهجن الدفاع غير المفهوم عن إلغاء عقوبة الإعدام في بعض الدول: «في اعتقادي معركة عقوبة الإعدام من المعارك المفتعلة، فالواقع يقول إن هذه العقوبة ليس لها وجود يستحق هذه الضجة، وكان جديراً بنا جميعاً أن نصرف أوقاتنا في البحث عن حلول لمشاكل الملايين من المعذبين والمعرّضين فعلياً للموت في هذا المجتمع...»(٣)

إن أهلنا الموحدين ببلاد الأرَكان (ميانمار) كجماعة بشرية كاملة الحقوق والمواطنة، كأي بشر أو أقلية تعيش عصر العولمة والحداثة والديمقراطية والثقافة الحقوقية، يتضرعون إلى الله استنجاداً بكل من يملك أي وسيلة ضغط، لإجبار الحكومة المعترف بها بميانمار، أن تتحمل مسؤوليتها في حماية شعبها بمختلف مكوناته وأعراقه، حتّى لا يستغل البوذيون المتوحشون هامش العزلة والبعد الجغرافي، وتهاون الحكومة في مقاومة الحقد الطائفي، لقد بدأت بوادر التحسيس بمأساة مسلمي الروهينغا، وفي طليعة المبادرات الرائدة الزيارة الإنسانية للوفد التركي، ولكن الأمرَ جَلَلٌ يستدعي تدخلاً إسلامياً عاجلاً لحماية كرامة الإنسان المسلم في بورما- أطفالا ورجالا ونساءً وشيبا-. فهل إلى هذا الحد من التراخي والنسيان استُرْخِصَت القيمُ، واستبيحت عقيدة التوحيد والتسامح؟؟

الهوامش

١- المغازي (٤٢٣ صفحة)، جمع ودراسة وتخريج محمد باقشيش أبو مالك، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٩٤م.

٢- تنظر تتمة القصة في كتاب المغازي: ١٩٣.

٣- جريدة «المساء» المغربية، ع ١٨٩١(٢٢. ١٠. ٢٠١٢).

علموا أولادكم ... محبة الأخ

نعيم نعيم السلاموني

تصيبنا الدهشة والحيرة عند قراءة الحوادث المؤسفة عن العلاقة الأخوية، تلك العلاقة التي تعد من أجل وأسمى العلاقات الإنسانية، والذي أثار الدهشة أن هذه السلوكيات غريبة عن المجتمع الإسلامي، فكيف يتحول الأخ إلى خصم، أو إلى عدو؟ لماذا اختفى مشهد الأخوة الذين يتبادلون المشاعر الجميلة والأسرار، ويلجأون إلى بعضهم البعض في الأزمات، ويلتقون في المسرات، هل اختفى كل ذلك عند البعض؟ فكيف يمكن أن نتصور أو نصدق هذه الجرائم البشعة التي تتثمل في أن الأخ يقتل أخاه!

لن تندهش حين نسمع أساتذة الصحة النفسية يقولون: إن العيادات النفسية الآن زاخرة بمرضى لا يشكون من الآخر الغريب، بل من الأخ القريب.

وأصبح مفهوم ظلم ذوي القربى من الحالات المتكررة في العيادات النفسية.

والخلل في علاقات الأخوة هو انعكاس لما يحدث في الأسرة وما أصابها من شروخ.

١-إن من الأساليب الخاطئة التفرقة بين الأبناء، حيث يتعامل الآباء والأمهات مع أبنائهم بدون عدل، فيفضلون طفلاً لذكائه، أو جماله، مما يزرع في نفس أخوته الإحساس بالغيرة والحقد.

٢- هناك علاقة وطيدة بين السلوك العدواني للأبناء وأساليب معاملة الوالدين لهم حيث إن الأساليب القائمة على عدم المساواة في معاملة الوالدين لجميع الأبناء تزيد من السلوك العدواني للأبناء.

٣- عدم وجود مجموعة من القيم والمعايير الايجابية في الأسرة كالحب والخير والأمانة والصدق ومساعدة الآخرين.

٤- سقوط ما يسمى باحترام الكبير داخل الأسرة، أي احترام الأخ الأكبر من الأصغر.

٥- أصبح تقييم الأخوة الآن بمدى الانجازات الاقتصادية، فالأخ الغني هو القوي الذي له الكلمة العليا عن بقية الأخوة، بصرف النظر عن تعليمه ونضجه وكفاءته، وعندما تسود القيم الاقتصادية بين الأخوة تتوارى بقيمة القيم خجلاً، فيحدث الخلل بين الأسرة.

٦- دور الأب في الأسرة أصبح هامشيًا، فهو إما غائب أو مطحون في توفير احتياجات الأسرة، وبالتالي غياب الأب القائد يسمح للعدوان بأن يتحرك بين الأخوة بدون ضوابط.

٧- ضعف انتماء الأخ لأسرته، فنجد الأخ أنانيًا لا يهمه الآخر، يهرب منه ولا يقترب إلا في حالة المصلحة والأخذ.

٨- التفرقة بين الأخوة بداية من التفرقة بين الولد والبنت، والابن الأكبر له كامل السيطرة والتسلط، والأخ الصغير مدلل طلباته كلها مجابة، أما الطفل الأوسط فهو حائر بين الأول والأخير.

وكذلك التفرقة بين الطفل السليم والآخر المعاق، الذي يجد قدرًا من الرعاية والحنان أكثر من السليم.

٩- التذبذب في معاملة الأبناء ما بين القسوة الشديدة إلى التدليل لنفس السلوك الواحد أي معاملة الأبناء حسب الحالة المزاجية.

١٠- معاملة الأطفال وفق معايير التفوق الطاعة، فالطفل المتفوق له من الرعاية والحنان أكثر من الابن الأقل تفوقًا.
١١- زيادة الضغوط الحياتية التي تجعل الفرد ينشغل بأحواله عن كل من حوله، فالكل يلهث وراء لقمة العيش، وهذا ليس مبررًا، بأن يجعل الشقيق لا يسأل عن شقيقه لفترة زمنية طويلة، أو يتشاجر معه.
١٢- غياب الحب والعلاقات الحميمة، فإذا لم تمنح الأم ابنها الحب، فلا يستطيع أن يمنحه للآخرين.
للمحافظة على رباط الأخوة وغرس المحبة بين الأبناء يجب:
١- إعطاء الطفل قدرًا من الحنان والاهتمام، لأن الذي لا يتلقى الحب والحنان لا يستطيع إعطاءهما لأحد، والحرص على غرس روح الود بينهم منذ الصغر.
٢- يجب أن يعدل الوالدان بين أولادهم، فلا يفضلان أحدهم على الآخر، بل يساويان بينهم في الحب والعطف والمعاملة، وخصوصًا بين الذكور والإناث.
٣- إذا أخطأ أخ بحق أخيه الأصغر لا نعاقبه، بل نحاول اتهامه بالخطأ الذي قام به ليتداركه في المرات المقبلة.
٤- على الآباء ألا يقارنوا أبناءهم، لأن لكل إنسان شخصيته وظروفه وإمكانياته التي تميزه عن غيره، فالمقارنة كارثة، والمطلوب هو العدالة والتوازن.
٥- العلاقة بين الأخوة والأخوات خاصة في السن الصغيرة ممكن أن تتحول بفضل الأسرة إلى نواة لعلاقة قوية، أوعلاقة سيئة تربط بينهم طوال العمر، فالتناغم في العلاقة مسؤولية الأبوين.
٦- إذا تخاصم الأبناء على الآباء شرح لكل منهما خطأه وتركهما معا ليتصافوا دون تدخل منك.
٧- ترغيب الأبناء في توقير الكبير، ورحمة الصغير وحب المساكين، وحبب لهم ما يقومون به من أمر بالمعروف ونهي عن منكر.
٨- الإسلام يدعو إلى صلة الأرحام، فإنه بذلك يدعو إلى تزكية النفس وتقوية الروح ويعمل على الترابط والتعاون والتلاقي وعدم التنافر، كما يدعو إلى نشر العدل والرحمة، ولهذا يعيش أفراده في وئام وسلام، فلا يبغي بعضهم على بعض، ولا يقسو بعضهم على بعض، مجتمع يرحم الكبير فيه الصغير، ويوقر الصغير فيه الكبير.
٩- إن الطفل حين يجد من أبويه ومربيته القدوة الصالحة في كل شيء، فإنه يتشرب مبادئ الخير، ويتطبع على أخلاق الإسلام، والولد الذي يرى من أبويه القسوة والجفاء لا يمكن أن يتعلم الرحمة والمودة، والولد الذي يرى من أبويه الغضب والانفعال لا يمكن أن يتعلم الاتزان، إن أفضل التربية هي التربية بالقدوة.
١٠- المجتمع الإنساني في نظر الإسلام هو ما كانت فيه العلاقات بين أفراده علاقات إنسانية تقوم على الأخوة والمودة والتعاون، وتنأى بأفراده عن الأنانية، وترتفع بهم فوق المادية.
١١- يجب أن نعلم أولادنا منذ نعومة أظفارهم كيف يتسامحون، لأن هذا التسامح يغرس فيهم التواصل والود والمحبة.
١٢- يجب أن نعلمهم كيف يتحاورون، وتؤدي المحاورة إلى علاقات ودودة بعيدة عن التشاحن والمنازعات.
ويجب أن نغرس فيهم حب العدالة في المعاملة، وفي التعامل، فإن العلاقة الحميمة بين الأخوة تؤسس الأسرة على السكينة والأمانة.
١٣- ضرورة غرس الخلق الحميد في الأبناء بالقدوة الحسنة، التي تتمثل في الأقوال والأفعال.
١٤- إن العلاقة الأسرية التي يسودها الوفاق بين الأب والأم تنعكس بدورها على الأبناء فيشبوا متعاونين على البر والتقوى والإحسان.
١٥- عدم انتقاد الطفل أو معايرته أمام الغير.

وخلاصة القول:
١- إن الأخوة غير معصومين، ويتعرضون للخطأ، ويقعون في الخلل، وتصدر عنهم الهفوة، ويقعون في الكبيرة، فإن بدر منهم شأن من ذلك فلنلزم جانب العفو معهم، فإن العفو من شيم المحسنين، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا.
وقبول عذرهم إذا أخطئوا، فلقد فعل أخوة يوسف مع يوسف ما فعلوا، وعندما اعتذروا قبل عذرهم، وصفح عنهم الصفح الجميل، ولم يوبخهم، بل دعى لهم وسأل الله المغفرة لهم قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: ٩٢).
٢- على الأخوة المداومة على صلة الرحم، حتى لو قاطع أحدهم الآخر، وأن يكون الأخ جواد النفس كريم العطاء مع أخيه.
قال تعالى: ﴿وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٥: الأنفال).
العفو والصفح من الوصايا الإلهية مصداقًا لقوله تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾(الحجر: ٨٥)، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا..﴾ (النور:٢٢).﴿خُذِ الْعَفْوَ..﴾ الأعراف: ١٩٩).
ويقول الرسول ﷺ: (الكلمة الطيبة صدقة) متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه «لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» (رواه مسلم عن أبي ذر.
«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه.
«من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته» (متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما.
وعلى المسلم أن يحسن إلى أخوته قدر استطاعته، كأن يزوره، ويتفقد أحواله حينا بعد حين، حتى يوسع الله في الرزق، ويزيده في العمر.
يقول الرسول ﷺ: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنان صدقة وصلة» (رواه الترمذي).

عن «نخبة» تونس والجهل باسم الحداثة:
غربة الحجاب

نهلة حميد - تونس

تطالعك اليوم بين الفينة والأخرى منابر محمومة تدعو باسم «الحريّة والتحرّر» وتندّد بما يسمونه «قمع المرأة وتخلّفها» فقط لأنّها ترتدي الحجاب، وكأنّ في حشمتها وستر عورتها مسّا من كرامتها وحطا من قيمتها كما يدّعي بعض دعاة الحداثة.

ومثال على ذلك ما يحصل اليوم في تونس، وما تتعرّض له المرأة المحجّبة من إهانات معنوية ومادّية، وخاصّة بعد الثورة فنحن لا نتحدّث عن العهد البائد حيث قمع الإسلام شرّ قمع، ولكن اليوم أيضا لا نزال نشاهد ونسمع ما يهين المرأة فقط لأنّها محجّبة أو منقّبة، وكأنّ شيئا لم يكن، ولم تحدث ثورة في البلاد.. وكأنّ حناجر لم تبّح وهي تنادي بإسقاط نظام عبث بالإسلام أيّما عبث..

وتبادرك «النخبة المثقفة» بكلمات هوجاء فضفاضة لم ولن تكون ودقا مدرارا، فهي لا تمتّ إلى الواقع بصلة، إذ ترى العديد من دعاة «الحداثة» لا يضيّعون مناسبة ولا منبرا إلاّ وأطنبوا في الحديث عن «تهميش» المرأة و«تخلّفها» وكأنّ في سفورها العلم والتقدّم والرقيّ.

فقد شهدت وسائل الإعلام وصفحات التواصل الاجتماعي والمدوّنات بعد الثورة تسابقا محموما نحو المسّ بالمقدّسات والسعي إلى «إهانة» حجاب المرأة ونقابها من طرف مجموعات، تقدّم نفسها على أساس أنّها «نخبة تونس»، وكلّ ذلك طبعا باسم حريّة الرأي والتعبير.

فهؤلاء «الدعاة» يرون في حجاب المرأة عائقا أمام تقدّمها ومسيرتها، فقد أجمع اليوم ساسة وإعلاميون على أنّ الحجاب يعدّ عائقا أمامها، فمنهم من وصفه ب «الخرقة البالية»، ومنهم من قال: إنّه «يمنع من استيعاب المعلومات، ويمنع من تنفس أنسجة الرأس» وأنّه «مظهر من مظاهر التخلّف والرجعية».

ويحدث هذا طبعا في بلاطات الإعلام المحلّي الذّي جنّد صوته وكاميراته بمباركة هذه «النخبة» إلى «إهانة» المرأة في تونس، والمسّ من كرامتها.

والغريب في الأمر أنّ جلّ نساء تونس تقريبا أصبحن يرتدين الحجاب.. فهل يعقل أن تكون كلّ نساء تونس «رجعيات»؟!

أضف إلى ذلك ما يحصل لمضايقات للنساء، سواء في الشارع أو في أماكن العمل حيث تصل الوقاحة بأعداء الدين إلى شتم المرأة المحجّبة حجابا شرعيا علنا، ولعن حجابها أو نقابها، أو النظر إليها «بحقارة» على أساس أنّها غير موجودة وغير محسوبة على المجتمع التونسي فهي «دخيلة ونشاز» بلباسها الشرعي «المتطرّف» عندهم، فحريّتهم وديمقراطيتهم المزعومة تكفل لهم حقّ إقصاء الآخر وتهميشه.

حقيقة ملموسة

نعم المرأة المحجّبة أو المنقّبة في تونس تعيش غربة حقيقية، وليس كلاما واهيا فبعيدا عن التحزّب والانحياز لطرف ما سنجد أنها حقيقة ملموسة، ويمكن استشرافها من خلال العديد من الممارسات التّي تصدر من دعاة التحرّر، فما على المرء إلاّ أن يطالع مدوّناتهم وكتاباتهم ويشاهد لقاءاتهم، وسيعلم حتما أنّ المرأة- باسم الحداثة- إما أن تكون كما يريدون، أو لا تكون.

كفاكم تشدّقا بحقوق المرأة فالإسلام كفلها

هذا تعبير صارخ لحال المرأة المسلمة في تونس التّي عانت الويلات في عهد المخلوع بن علي واليوم تعاني التهميش والازدراء من إسلاميين أنفسهم، بات شغلهم الشاغل في المنابر: هل النقاب فرض أم لا؟ وبات القاصي والداني يفتي، وصار الكلّ علماء وشيوخا يفتون بما ليس لهم فيه علم، وينسى دعاة «الحريّة والديمقراطية» أنّ في حجاب أو نقاب المرأة عفّتها وكرامتها.

وقد تناسى هؤلاء ولن نقول نسوا، لأنهم يتعمدّون النسيان وتمويه الناس ، نسى هؤلاء أنّ الإسلام قد كفل للمرأة جميع حقوقها، وجعل منها تلك الدرّة المصونة، كفل حقّ

المرأة في اختيار زوجها، وحقّها في المهر، وحقّها في الطلاق، وحقّها في الميراث وفي المعاملات، وخصّها بالعديد من الامتيازات المادّية والمعنوية. فعلى اتساع تاريخ الإسلام نجد ربّات خدور وسيّدات قصور وأمّهات رجال وقرينات أبطال.

رفقا بالقوارير

ولنا أن نكشف لهذه «النخبة»، ما تغضّ عنه البصر، فمن يتشدّق بكلام فلاسفة الإغريق وبعهد الأنوار وفلاسفة النظريات البائدة ليبرز التقدّم والرقيّ فليعلم أنّ المرأة كانت عند الإغريق شجرة مسمومة ، وعند الهنود تحرق بعد موت زوجها وعند الروم تسحب بالخيول، وكانت مهيضة الجناح عند الوثنيين وكاسفة البال عند الكتابيين، فقط نظرة يسيرة بالعين المجرّدة إلى تاريخ المرأة في جميع أنحاء المعمورة قبل الإسلام، وسنجد شتّى الصور التّي أهانت المرأة فعلا من «حضارات» تبني عليها اليوم «نخبة تونس» النظريات السياسية والاجتماعية التّي تريد بها أن يقوم المجتمع.

ولن نطنب في الحديث عن الروم والفرس، وكيف عوملت المرأة، فالتاريخ كفيل بما شهدته المرأة في تلك العصور.

فهل نسي هؤلاء أم غضّوا بصرهم فعلا عن ماهيّة الإسلام، وما آتى به من تكريم للمرأة بعد الويلات التّي عرفتها في عصر الجاهلية حين كان يكظم الوجه لمرآها فأتى رسول الرحمة صلى الله عليه وسلم وقال لهم: «رفقا بالقوارير»، وأوصى بالنساء خيرا، وكرّم الله تعالى خلقه، فجعل الجنّة تحت أقدامها، وأعزّها بالرفق والرحمة والمودّة، فكانت نعمة وسكنا، فأي عزّة تبغيها المرأة غير ما جاء به الإسلام الحنيف.

امرأتنا..والغرب

كلام إنشائي

ولو تطرّقنا أيضا إلى حقوق المرأة اليوم فهل سنجد فعلا تلك المرأة الانكليزية والفرنسية والأمريكية وغيرها أفضل حالا من المرأة المسلمة..طبعا كلاّ ولن يكون من باب الكلام العريض أو الإنشائي، بل هو حقائق وإحصائيات تثبت ذلك.. تثبت أنّ حقوق المرأة قد كفلها الإسلام حقّا، وأنّ المسلمين يسيرون فعلا على طريق الإسلام إلاّ من غشيت قلبه غشاوة ولبّس الحقّ بالباطل وعامل المرأة بما حرّم الله.

ففي فرنسا بلد «الأنوار» الذّي تحنّ إليه «نخبة» تونس أيّما حنين، قرّر الفرنجة في سنة ٥٨٦م بعد جدال ونقاش دام لسنوات أنّ المرأة إنسان! إلاّ أنّها خلقت للذلّ والهوان، ناهيك ما فعله الانجليز فيما بين القرن الخامس والقرن الحادي عشر حين تاجروا بزوجاتهم وظلّوا لقرون يبعونهنّ كما تباع السلّع في الأسواق.

كما نشرت حديثا العديد من الإحصائيات في السنوات الأخيرة تخصّ حياة المرأة في الدول الغربية، ونجد منها إحصائيات موثّقة من الشرطة الفيدرالية الأمريكية تثبت أنّ ٧٩٪ من الرجال في أمريكا بلد «الحريّة» يضربون زوجاتهم ضربا يؤدي إلى عاهة، ومنهن حالات تستدعي حالاتهن الدخول للعناية المركزة. وحسب تقرير الوكالة المركزية الأمريكية للفحص والتحقيق FPT هناك زوجة يضربها زوجها كل ١٨ ثانية في أمريكا. أما في فرنسا فهناك مليونا امرأة معرضة للضرب سنوياً وفي بريطانيا يفيد تقرير أنّ ٧٧٪ من الأزواج يضربون زوجاتهن، دون أن يكون هناك سبب لذلك.

اللعب والثقافة العلمية للطفل

د.السيد نجم
متخصص في شؤون الطفل

فطر الطفل على اللعب، ففي مراحله الأولى.. وهو جنين في بطن أمه، مع زيارة الأم للطبيب يسألها قبل الفحص: «هل تشعرين بالجنين يلعب؟»، إن أجابت بنعم، تابع الطبيب عمله مطمئنًا!.. وفي شهور عمر الطفل الأولى، كلما لمحته أمه يرمي بذراعيه، منتبهًا لصوتها وإشاراتها، سرّت وسعدت.. وفي سنته الأولى كلما كان يحبو هنا وهناك، يعبث ويكتشف العالم من حوله، زادت خبراته ومعارفه!.. فيما تتوالى الأيام والسنون، ويصبح اللعب هو الوسيلة والغاية بالنسبة للطفل.

ولا يبقى إلا أن نتوجه معه نحن الكبار كي نلقنه أسرار العالم الجديد الذي يعيش فيه: القيم والأفكار والمعتقدات.. وما أجدى أن يكون مدخلنا إليه هو اللعب، ومن خلاله، مع ضرورة فهم الخصائص العمرية لمراحل الطفولة (المبكرة والوسطى والمتأخرة)، ولكل مرحلة خصائصها. إن النمو الصحيح للطفل، هو النمو اللغوي والنفسي والجسمي، وليس البدني فقط.

على الأم وعلى كتّاب أدب الطفل مراعاة مفردات اللغة التي يتحدثون بها إلى أطفالهم في كل مرحلة، وكلما كانت المعلومة أو الفكرة المراد توصيلها سهلة التناول، بلا إيغال في اللغة، ومن خلال حوار أو موقف.. أقرب إلى الحوار التمثيلي أو الموقف المثير كما اللعب، كان ذلك أجدى للطفل.

يعد تناول موضوع اللعب والخيال والثقافة العلمية للطفل على ارتباط وتداخل، بحيث يلزم التعامل معها معًا. قال العالم الفلكي الأميركي «كارل ساجان»: «يبدأ كل إنسان منا حياته وكأنه واحد من العلماء، فتكمن في داخل كل طفل مشاعر وأحاسيس العالم التي تجعله يتعجب ويندهش، إزاء الأشياء من حوله في الطبيعة» يعني أن «الدهشة» هي من فطرة الطفل ومن طباع العلماء، ولا عجب أن تكون الثقافة العلمية، مع توظيف الخيال الأدبي، مدخلًا لأدب جيد للطفل. وهو ما يتلاءم مع معطيات العصر، وإنجازاته العلمية.

إلا أن من يتصدى للكتابة للطفل، عليه أن يعي هدفه.. أن يتسلح بالمعلومة العلمية، ويتخير موضوعه، والقارئ الذي سيتوجه إليه. ليس المطلوب أن يصبح الطفل عالمًا، بل المطلوب أن يتعرف على: «عالم الطبيعة من حوله».. «استيعاب وفهم جوهر العلم، على اعتبار أنه طريقة في التفكير».. «فهم أن كل العلوم على اتصال وتواصل، فلم يعد عالم الكيمياء بعيدًا عن عالم الطب والهندسة مثلًا».. و«أن العلوم على صور متطورة دومًا».

بتلك المحاور مع تبسيطها يمكن للطفل التطلع إلى المستقبل وهو واع بأن العلم ليس أمرًا مجردًا، كما يمكن أن يستوعب فكرة أن الإنسان عنصر من عناصر البيئة أو الطبيعة، يتفاعل معها وتتفاعل به.

لذا هناك بعض الخصائص الواجب توافرها في «الكاتب» إذا ما تصدى للكتابة العلمية للطفل، منها: أن يكون الكاتب محبًا للعلم والاطلاع على تاريخه ومستجداته.. أن يكون من ذوي الخيال الخصب الواسع.. فقدرة الخيال العلمي الممتزجة بالمفاهيم العلمية الصحيحة، تفيد في التنبؤ، والتنبؤ يعد من أهم ملامح الأعمال العلمية للطفل، فقد تعتمد بعض الأعمال الأدبية للطفل على فكرة غير مطروحة، تنبأ بها الكاتب بخياله، معتمدًا على حقيقة علمية ما.. كما أن التناول الإجرائي للفكرة العلمية من ناحية الأسلوب والمعالجة الفنية يجب أن يكون مناسبًا وجيدًا، يتسم بالبساطة والحيوية.

وليس أجدى من مقولة كاتب الأطفال «أحمد نجيب» (قبل رحيله) عن أمله في أن يرى جمعية أو رابطة لكتّاب أدب الطفل –في كل بلد عربي– تحرص على دعم كتاب أدب الطفل بعيدًا عن الأشكال الرسمية والحكومية. ويضرب مثلًا بكتابه المهم «فن الكتابة للطفل»، وهو الأول من نوعه، في حينه.. حيث قام بكتابته بعد الإعداد لبرنامج تدريبي لكتاب الطفل في القاهرة.. ثم شارك بعدها في ورشة أخرى بسلطنة عمان لكتاب الطفل العمانيين، في العام التالي. وهو ما يشير إلى جدوى تراكم الخبرات، وكم نحن الآن في حاجة إلى برامج عمل تدريبية في مجال الثقافة العلمية والخيال العلمي.

مع ذلك فالثقافة العلمية عمومًا وما يخص الطفل منها، تواجه العديد من المشاكل في العالم العربي، حتى يبدو للمتابع أنها غير مرغوبة، على أهميتها للكبار المتخصصين للكتابة للطفل، وللطفل نفسه.

وهو ما يتضح من الآتي:

قصور السياسات الواضحة لرعاية وسائل التثقيف العلمي.. عدم توافر الدوريات والمطبوعات والآليات المختلفة لنشر الثقافة العلمية.. نقص البرامج الإعلامية العلمية، والمتاح منها قليل الخبرة وغير جذاب.. نقص آليات نقل الثقافة العلمية من مصادرها، داخليًا بالدولة العربية أو خارجيًا من خارجها.. قلة فاعلية دور البحوث العلمية ومتاحف العلوم بالأقطار العربية المختلفة.. قلة المتاح من الإنتاج العلمي المبسط والواجب توافره للطفل وكاتب الطفل معًا.. غياب فهم جوهر العلم وفصله عن الحياة اليومية، حتى يبدو أحيانًا «المصطلح العلمي» وغموضه سببًا في نفور القارئ العادي والطفل.. نقص شديد في ترجمة كتب تبسيط العلوم عن اللغات الأخرى للدول التي لها منجز علمي.. الفهم الخاطئ بالنظر إلى الثقافة العلمية بعيدًا عن الثقافة في الأدب والتاريخ وغيره.

إذا كان الواقع الثقافي يشير إلى ندرة الكاتب العلمي للطفل، سواء على مستوى الثقافة العامة أو الأدب، فلا سبيل سوى الانتباه إلى خطورة الظاهرة، بعد الاعتراف بها، ثم العمل بإخلاص على تلافيها. فالمشكلة ليست كلها مادية، جانب كبير منها يخضع لمنهجية التفكير القاصر، بالنظر إلى الثقافة العلمية على كونها.. جافة ومملة وعديمة الجدوى.

بينما ربط الثقافة العلمية باللعب الذي هو صورة الحياة اليومية للطفل.. ثم بإعمال الخيال، أي في إطار إبداعي (قصصي أو شعري أو مسرحي أو لعبة على الكمبيوتر...).. ثم توفيرها للصغار. يمكننا بذلك تجاوز ما نحن عليه الآن تجاه الثقافة العلمية للطفل (وللكبار)، وما أحوج الطفل العربي إليها مع متغيرات القرن الجديد.

الخدم في الأسرة الإسلامية

جميل حسين الأحمد -- باحث في الشؤون الأسرية

مظاهر رحمة النبي ﷺ حفلت بها سيرته وحياته، وامتلأت بها سنته، فرحم الصغير والكبير، والقريب والبعيد، والمرأة والضعيف، واليتيم والفقير، والعمال والخدم، وجاء بشريعة كلها خير وعدل ورحمة للعباد، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

ومن مواطن ومظاهر الرحمة، إحسان معاملة الخدم وإعطاؤهم حقوقهم، وكانت سيرته وسنته ﷺ خير شاهد على معاملتهم معاملة إنسانية كريمة، والشفقة عليهم، والبر بهم، وعدم تكليفهم ما لا يطيقون من الأعمال، والتواضع معهم، بل جعلهم النبي ﷺ إخوانًا لمن يعملون عندهم، فقال ﷺ: «إخوانكم خولكم (خدمكم)، جعلهم الله تحت أيديكم..» (البخاري).

للخدم علينا حقوق كثيرة إن لم يذكرها القرآن باسم حقوق الخدم، فإنها تطالعنا بأسماء كثيرة كلما نظرنا في القرآن والسنة والأخوة الإنسانية، وحقوق العمال والأجراء وحدهما يؤكدان حق هؤلاء الخدم في الرعاية والرفق، ولا ريب أن خدمنا عوانٌ عندنا، قد ألجأتهم الظروف للحياة معنا، وهم يؤدون لنا من الأعمال ما لو أهمل لساء المصير، ويعرفون من أسرارنا وخفيات أمورنا ما لا يعرف خاصة أهلنا منه شيئًا، وإكرامهم يؤلف على الأسرة قلوبهم، ويضاعف لأفرادها وُدّهم.

ويستثير إخلاصهم فيما يوكل إليهم ويراد منهم، وإذا كان الإحسان جميلاً محببًا فهو أعظم ما يكون حين يتسع لهؤلاء الضعفاء الذين لا حول لهم ولا قوة إلا بالله، ولا يلوون على أهل ولا مال، وإنما يربطون مصيرهم بمصيرنا، ويرون الحياة من خلال نظرة رحيمة أو كلمة كريمة أو صنيع حسن نؤديه إليهم.

ولقد واجه الإسلام فيما واجه من فساد الجاهلية، سوء معاملة الخدم والمماليك، وغضب السادة من إقرارهم وإهدار إنسانيتهم، فقرر المعصوم صلوات الله عليه: «أن كفارة أذى الغلام أن يعتقه سيده»(١).

وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: «كنت أضرب غلامًا لي بالسوط فسمعت صوتًا من خلفي، اعلم أبا مسعود، فلم أفهم الصوت من الغضب فلما دنا مني، إذ هو رسول الله ﷺ، فإذا هو يقول: اعلم أبا مسعود أن

الله عز وجل أقدر عليك من قدرتك على هذا الغلام، فقلت يارسول الله هو حر لوجه الله، فقال ﷺ: «أما أنك لو لم تفعل للفحتك النار»(٢).

ولقد كان الرسول ﷺ أبرّ الناس بالخدم، وأحناهم عليهم، وحسبنا في ذلك قول أنس رضي الله عنه: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي أفٍّ قط، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته، ولا لشيء تركته: لم تركته»(٣).

وأرسلني رسول الله ﷺ في شأنه فانتظرني طويلًا، ثم خرج فوجدني في الطريق فقال: «يا أنيس، اذهب حيث أمرتك»، ورُؤي الغضب في وجهه، لأنه دعا إليه وصيفته، أو وصيفة أم سلمة، فتراخت، فلما جاءت قال لها، وكان بيده سواك: «لولا خوف القصاص لأوجعتك بهذا السواك»(٤).

وغضب صلوات الله عليه، لأن عبدالله بن رواحة ضرب جارية له كانت تتعاهد غنمه، فعدا الذئب عليها، وأخذ واحدة منها، ثم ندم، فأخبر الرسول ﷺ بما فعل.. فغضب غضبًا شديدًا، حتى احمر وجهه، وهاب أصحابه أن يكلموه، وقال لابن رواحة: «ضربت مؤمنة؟! وما عسى الصبية أن تفعل بالذئب، وما عسى الصبيّة أن تفعل بالذئب؟ وما زال يكرر ذلك»(٥).

ومساعدة الخادم في عمله في موازين حسناتنا يوم القيامة(٦).

وفي لحظات الموت حيث لا تذكر إلا جلائل الأعمال، وكريم الوصايا، كان رسول الله ﷺ يقول: «الصلاة، وما ملكت أيمانكم، ومازال يقولها حتى ما يفيض لسانه»(٧).

لقد وضع الإسلام النظم التي تحمي المجتمع منذ أن استقر أمر الأمة، وقرر خلالها حقوق العمال والخدم، ورطب القلوب بالترغيب والترهيب قبل ذلك على هؤلاء الأخوة الذين ينهضون بجانب هام من وجوه الحياة، وينوء كاهل بعضهم بتبعاتها، فهو لا يستجدي، لأنه عزيز أبيٌّ، ولا يتسول، ولكنه يكافح فاقته، فيحترق ويعمل، وله أسوة طيبة بعليّ رضي الله عنه يوم أجّر نفسه من يهودية يستخرِّج لها الماء كل دلو بتمرة، وظل يعمل حتى مجلت كفّاه – تشققتا– فاستوفى من المرأة أجره، وراح يخبر الرسول ﷺ خبره، فأجلّه وأكبَره، وأكل تمرة من تمره صلوات الله عليه.. وما أكبر معنى أكل هذه التمرة إن الخدم والعمال إخواننا، وحقوق الإخوة – في الإسلام– كثيرة نجتزئ منها قول الرسول ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست، قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا عطس فشمّته، وإذا مرض فعُده، وإذا مات فاتبعه»(٨) وقوله: «حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

ومن هذه الحقوق أن توقره إذا أحضر، وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب، وأن تسارع إلى بره، والإحسان إليه حين يحتاج منك الرعاية، فمن أوائل ما أوجب الإسلام، رحمة الإنسان لأخيه الإنسان، بل رحمة الإنسان للحيوان، وإذا كان الله تعالى قد شكر رجلًا سقى كلبًا فغفر له(٩)، وأدخل امرأة النار بأنها حبست هرة فما أطعمتها، ولاتركتها تأكل من خشاش الأرض، فلقد بلغت الرحمة بالمسلمين حدًا يدعو إلى الدهشة بعد أن سمعوا حديث الرسول ﷺ: «في كل ذات كبد رطبة أجر».

إن رعايتنا للضعفاء من إخواننا الذين يُؤَدُّون لنا من الأعمال ما يعود على أموالنا بالنماء، وعلى تجارتنا وصناعتنا بالازدهار والسعة، يقول الرسول ﷺ: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه».

ويتوعد الذين يستوفون أعمالهم، ثم لا يُوَفُّون عمّالهم أُجورهم، ويضعهم مع الغادرين، ومُهدري إنسانية الأحرار في قوله: (ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، رجل أعطى ثم غدر، ورجل باع حرًا وأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا، فاستوفى منه، ولم يعطه أجره»(١٠).

ورأى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخدم في مكة يقفون على أقدامهم، بينما يهيل سادتهم الطعام إلى بطونهم، مأدومًا بنظرات الخدم الجياع، فقال السادة: «ما لقوم يستأثرون على خدامهم...» ثم دعا الخدم فأكلوا معهم في إناء واحد.

يقول الأستاذ المفكر سيد قطب: «ولعل الحادثة التالية عن عمر ذات معنى حاسم في التطبيق العملي للتكافل، ولحق الملكية الفردية، وحدوده في محيط الجماعة».

ويضع الرسول ﷺ دستور معاملة الخدم بقوله: «لا يقل أحدكم: عَبدِي، أَمَتِي، وليقل: فَتاي، وفتاتي» ويقول: «إذا أتى أحدكم خادمه بطعام، فإن لم يجلسه معه، فليطعمه أكلة أو أكلتين، فإنه وَلِيُّ علاجه»(١١)، لقد أصّل النبي ﷺ للعمال والخدم من الحقوق، وشرع لهم من الآداب ما يتناسب مع إنسانيتهم والرحمة بهم، في زمن لم يكن يعرف غير الظلم والقهر، ولا شك أنه كلما سعى المخدوم في تحقيقها نال مراده من العامل، أو الخادم على أكمل وجه، فراحة الخادم والمخدوم، بل والبشرية جمعاء، في اتباع أوامر وهدي النبي ﷺ.

من هنا يجب أن نختار خدمنا، فهم مرآة الأسر وإن الصغار ليتأثرون بهم إلى حد كبير، فلنُمعن النظر في اختيارهم، ولنحاول أن ندربهم على المكارم، وأن يروا منا الحرص الدائم على معالي الأمور، حتى يتسّموا النسمات الصالحة في بيوتنا، إن كانوا قد حرموها في بيوتهم.

الهوامش

١– الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢١١.
٢– المصدر نفسه ص ٢١١.
٣– متفق عليه بلفظ قريب من هذا.
٤– الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢١٧.
٥– جامع مسانيد أبي حنيفة ج ٢ ص ١٦٢.
٦– المنذري ج ٣ ص ٢١٤.
٧– المنذري ج ٣ ص ٢١٥.
٨– اللفظ لمسلم– رياض الصالحين للنووي ص ١١٧.
٩– المنذري ج ٣ ص ٢١٠.
١٠– ابن ماجة، والبخاري.
١١– صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٥٠ طبع الخيرية.

الزوجة الجميلة

منى السعيد الشريف - استشارية أسرية

الجمال مطلب وأمنية كل نفس سوية، وقلما تجد نفسًا تستبشع المنظر الحسن إلا وبداخلها مشكلة نفسية أو أزمة اجتماعية، والجمال مطلوب بالأخص في الزوجين كي تتآلف النفوس وتدوم أواصر الود، فقد خلق الله المرأة مخلوقًا جميلًا يصعب مقاومة سحره، وخاصة من طرف الرجال، حيث يقول ﷺ: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن».

والوصية النبوية في ضرورة نظر الخاطب لمخطوبته أشهر من أن تذكر، فعن المغيرة بن شعبة قال: خطبت جارية من الأنصار، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال لي: «رأيتها؟» فقلت: لا، فقال: «اذهب فانظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما» فذكرت ذلك لوالديها، فنظر أحدهما إلى صاحبه، فقمت، فخرجت، فقالت الجارية: عليَّ بالرجل، قال: فرجعت، قال: فرفعت ناحية خدرها، وقالت: إن كان رسول الله ﷺ أمرك أن تنظر فانظر، وإلا فإني أحرج عليك أن تنظر. قال: فنظرت إليها فتزوجتها، فما تزوجت امرأة كانت أحب إليَّ، ولا أكرم عليَّ منها.

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال للرجل الذي تزوج امرأة من الأنصار: «أنظرت إليها؟» قال: لا، قال: «فاذهب فانظر إليها، فإن في أعين الأنصار شيئًا».

إلا أن الجمال على أهميته ليس المقوم الوحيد والأوحد لحياة زوجية هنية، وأكثر ما في الأمر أنه أحد أركان منظومة متعددة الجوانب، وعامل من عدة عوامل، لا ينفرد عنها بأهمية خاصة ولا ميزة فردية، فالجمال لا قيمة له مع الزوجة البلهاء ضعيفة العقل أو ممسوخة الشخصية، وما ينفع الجمال مع المرأة غير النظيفة، وهل للجمال فائدة مع الزوجة الملولة أو الكسولة أو الكذوبة.. والنماذج كثير.

النفس ملولة

لكن المشكلة تتجلى وبوضوح عند البحث عن شريكة الحياة اقترانًا مع ضعف خبرة الشباب بجوانب الحياة الزوجية النموذجية، حيث يتوق جميع الشباب إلى الزوجة الصارخة الجمال، وصار الأمر كحال الجائع الذي يجول خاطره في صنوف الطعام، ويتصور أنه يمكن أن يلتهم طعام الدنيا بأسرها لو تهيأ له.

والكل يتناسى أن النفس ملولة، وأنها تمل حتى أنعم النعم لو طال العهد بها، وتتشوق دومًا للتجديد والتغيير، ولو استرسل المرء مع رغباته ونزواته لما دامت عشرة بين زوجين.

ولذلك كان للتجديد دور لا يستهان به في استقرار الحياة الزوجية، والقضاء على سحابة الفتور والملل التي تغيم عليها، من تجديد في المظهر وفي الثقافة، والتجديد حتى في طبيعة التحاور والتواصل (الهدية نموذجًا) والعلاقات الخارجية بالأسرة وترتيب المنزل.

بل ربما صارت الزوجة الجميلة بلاءً وشقاءً لزوجها، خاصة إذا كانت متكبرة ترى في جمالها منحة لا يستحقها زوجها، وأنها ببهاء منظرها الخلّاب كان يمكن أن تتزوج الأقوى أو الأعلم أو الأغنى.. وهنا مكمن الخطر الذي ربما يهدد استقرار الحياة الزوجية، فمثل هذه الزوجة لا تلين لها قناة مع زوجها، وهي أشبه بالناقة الشاردة عن مسيرة

القافلة، منوعة متمردة دومًا، وهي إلى الخيانة أقرب، وحينها تقع المصيبة العظمى التي تأتي على كيان الأسرة بالكامل.

العبد والسيد

والطامة الكبرى لو تسرب هذا المفهوم المدمر لقناعة ونفسية الزوج، فاعتقد أن زوجته الفاتنة أكبر منه بمراحل، وأعظم مكانة بمسافات، فهو بينها ممسوخ الشخصية، كالعبد بين يديّ سيده، وكالأسير بين يديّ آسره، يبذل قصارى جهده لينال الرضا، وهيهات له المنيل، فهو المكدود المتعب، بل ربما شقي في هواها، وتحمل عنها ما هو منوط بها من طبخ وغسل ومسح ورعاية ولد.. لا يرد لها طلبًا ولو فوق إمكاناته، ولا يعصي لها أمرًا ولو بان له خطأه وجوره، بل ربما استدان ليرضيها، واختلس ليكفيها، وقطع رحمه ليحتويها، لا يبالي في هواها بصواب من خطأ، أو حلال من حرام.

وهذا عين المذمة وأبشع فخ تنصبه الزوجات للأزواج، وهو «الهوى» الذي يهوي بصاحبه إلى أتون الشقاء في الدنيا والآخرة، ولذلك يقول الماوردي: (وقد كرهوا شدة الجمال البارع؛ لما يحدث عنه من شدة الإدلال المؤدي إلى قبضة الإذلال).

الزوج التعس

ويقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في وصف حال هذا الزوج التعيس: (هؤلاء عشاق الصور، من أعظم الناس عذابًا وأقلهم ثوابًا، فإن العاشق لصورة إذا بقي قلبه متعلقًا بها مستعبدًا لها اجتمع له من أنواع الشر والفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد، ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى فدوام تعلق القلب بها بلا فعل الفاحشة أشد ضررًا عليه ممن يفعل ذنبًا ثم يتوب منه ويزول أثره من قلبه، وهؤلاء يشبّهون بالسكارى والمجانين). إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: (وإذا كان العبد مخلصًا لله اجتباه ربه فأحيا قلبه واجتذبه إليه، فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء ويخاف من حصول ضد ذلك، بخلاف القلب الذي لم يخلص لله فإن فيه طلبًا وإرادة وحبًا مطلقًا فيهوى ما يسنح له ويتشبث بما يهواه (كالغصن) أيّ نسيم مر به عطفه وأماله، فتارة تجتذبه الصور المحرمة وغير المحرمة فيبقى أسيرًا عبدًا لمن لو اتخذه هو عبدًا له لكان ذلك عيبًا ونقصًا وذمًا).

العش الزوجي

أما الزوجة الجميلة مع الرجل الغيور غيرة مرضية، فحياتها في جحيم كجحيم السجون بل أشد، فقائمة الممنوعات طويلة، وتصرفاتها دومًا تحوم حولها الشكوك والظنون من زوج لا يرحم مشاعرها ولا يعتبر لنفسيتها، فهي في استجوابات مستمرة وحصار محكم لا تنفك منه أبدًا. وتهمة الخيانة أقرب ما تكون منها، ويمكن أن يقذفها بها الزوج في أي وقت، فحياتها مهددة، وثقتها بنفسها مبتورة، وعشها الزوجي أتون نار وقوده الرقابة الصارمة والتخوين البشع والريبة العمياء.

وآفة الارتكان على الجمال وحده أنه لا يبقى على حال، خاصة مع تفلت السنوات وذهاب الشباب، أو حلول مرض يؤثر على نضارة لطالما أثرت قلوب ناظريها، وتلك حال الأيام، وحينها يبقى للعشرة الحسنة والدين القويم الأثر الخالد الذي لا تمحوه تقلبات السنون، ولذلك كان أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة حسن الخلق كما قال النبي العدنان ﷺ.

أما إن كان الجمال وحده هو لب الحياة الزوجية؛ فهي حياة فقر ونضب لا حياة نماء ورخاء، وصدق رسول الله ﷺ: «فاظفر بذات الدين تربت يداك» أي: افتقرتا، أو لصقتا بالتراب من شدة الفقر إن لم تفعل. قال القاضي: «عادة الناس أن يرغبوا في النساء ويختاروها لإحدى أربع خصال (المال، الجمال، الحسب، الدين)، واللائق بذوي المروءات وأرباب الديانات أن يكون الدين مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون، سيما فيما يدوم أمره ويعظم خطره، فلذلك حث المصطفى ﷺ بأكد وجه وأبلغه فأمر بالظفر بذات الدين الذي هو غاية البغية ومنتهى الاختيار والطلب، الدال على تضمن المطلوب لنعمة عظيمة وفائدة جليلة. وقوله: «تربت» أصله دعاء لكن يستعمل لمعان أخر كالمعاتبة والإنكار والتعجب وتعظيم الأمر والحث على الشيء، وهو المراد أيضًا هنا».

إن من أشد الغبن أن نختار شريكة العمر على أساس جمال الشكل وحده، فالجمال شجرة وارفة الظلال كما يزينها جمال الهيئة، هناك أيضًا جمال الروح، وجمال الطاعة، وجمال العقل والتدبير.. وجمال الدين الذي معه سعادة ربانية لا تدانيها سعادة، ومن ذاق عرف.

الخطوات الأولى نحو الاندماج في العمل

بشرى شاكر- المملكة المغربية

أكثر المراحل أهمية لشخص بدأ عمله حديثًا في إحدى المؤسسات هي مرحلة اندماجه داخل محيطه الجديد، هذا الاندماج لا يكون سهلًا البتّة بسبب عدة عوامل أولها: القلق الذي يشعر به جراء وُلوجه عملًا جديدا ومؤسسة جديدة، وهو الإحساس الذي يحيله إلى ما يسمى في علم النفس بصدمة الميلاد «Birth Trauma»، وهي الصدمة التي وإن كانت أول صدمة نتلقاها عند خروجنا للحياة بالخروج من مكان أمن وممتاز يوفر لنا كل شيء- من غذاء وحماية في بطن الأم- إلى بيئة باردة مفاجئة غريبة عنا، إلّا أن هذه الصدمة ترافقنا كلما استهلينا أمرًا جديدًا، خطوبة، زواج، انتقال من سكن إلى آخر، أو حتى انفصال، أو تغيير العمل من منصب إلى آخر، أو من مؤسسة إلى أخرى...

إن الإنسان عادة ما يهرب من كل شيء جديد، لأنه يخيفه ويحيى فيه ذلك الإحساس المرعب بصدمة الميلاد، فيحس ببرودة الوضع الجديد والخوف من البيئة المحيطة الغريبة عنه، لذلك وكما يقول« فرويد»: إننا حينما نلجأ للنوم مساء فإننا نهيأ الظروف للإحساس بتلك البيئة الأولى التي شكلت لنا الحماية والملاذ الآمن، بحيث لا ننام في مكان فيه ضجيج، ونطفئ الأضواء، ونعمد على أن يكون المكان مظلمًا إن لم نقل معتماً بالكامل، بل إننا في الغالب نأخذ شكل الجنين في بطن أمّه بحيث ننام على شكل القرفصاء، خاصة إذا كنا نشعر بتعب وإعياء كبيرين، وكأننا نشكل كل الظروف لنعود لبطن أمّنا ثانية!

بالعودة لصدمة الميلاد، فإنها وكما أسلفنا تلازمنا في كل تغيير حال أو وضع، ولذلك يعيشها المنتقل حديثًا لعمل جديد، ويجد نفسه أمام خوفه النفسي من المجتمع المصغر الجديد الذي يستعد لولوجه.

العامل الثاني والأهم: هو تلك المقاومة التي يتصدى له بها الآخرون، هذه المقاومة هي شيءٌ طبيعيٌّ جدًا، فحينما يلتقي شخص آخر للمرة الأولى، يحسّ تلقائيًا بالقلق اتجاه الشخص الماثل أمامه والذي يعتبره غريبًا، فيتردد في الحديث معه، وينتظر أن يبادر الآخر بالخطوة الأولى نحو التعريف بنفسه ونحو معرفته، وهو ذات الشعور الذي يعتري الآخر أيضًا... إننا نتحدث الآن عن مقاومة عادية وطبيعية يقابلها أيضًا قلق طبيعي وإنساني، إنها بصيغة أخرى نوع من الدفاع عن النفس، ولكن هذه المقاومة قد تتحول إلى كتلة من المشاكل يتعرض لها الموظف الجديد حينما يتعرّض لها من قبل زملاءه في العمل.

فحينما يجد نفسه أمام حائط بشري مقاوم، ولا يحس بأنه مرغوب به داخل مجموعة محددة مسبقًا، وكأنها عبارة عن دائرة مكتملة ومحكمة الإغلاق لم تترك مكان للتسلل من خلالها، حينما تشتد مقاومة الآخرين للموظف الجديد فإن البعض منهم قد يدافع عن نفسه بإخفاء كل الجوانب الجيدة، ولا يبرز للموظف القادم سوى الجوانب القائمة في عمله الجديد ومؤسسته التي بدأ فيها العمل، وكأنهم يدفعونه لترك مهمته فور بدئها، وبالأحرى هم لا يرغبون بأن يحطّم جدار دائرتهم المغلقة، حتّى من يستقبلون هذا الموظف بشكل أفضل وابتسامة ودودة فإنهم يقومون بذلك في

بداية الأمر بشيء من التحفظ والتردد، وقد يبدو ذلك واضحًا في حركاتهم ونظراتهم، حتّى وإن لم يبد متجليًا في حديثهم وابتساماتهم، ولكن هؤلاء عادة يمكن أن يكونوا زملاء جيدين، ويمكن الاعتماد عليهم فيما بعد وبالعكس تمامًا، الذين يرحبون بالضيف الجديد بشكل مبالغ فيه قبل معرفته ويسألونه بفضول أكبر، هؤلاء يكونون غالبًا أقل صدقًا في مساعيهم..

حينما يتعرض الموظف إلى سوء استقبال مماثل، فإنه يشعر بقلق أكبر ويخشى طلب معلومات حتّى ولو كانت تخص العمل، إما خوفًا من أن يسخر الآخرون منه، أو خوفًا من أن يمنع من الاندماج داخل المجموعة، حينها يختار الأضعف الأمر السهل، وقد يترك عمله أو يحتفظ به ولكن بدون حماس، ويظل مثقلًا بالتفكير في «معضلة» اندماجه داخل المؤسسة.

ولكن ما يعتبره هذا الموظف الجديد عدوانية من الآخرين أو كرهًا له هو في الواقع مقاومة عادية يمكنها أن تخف مع الوقت إلى أن تتلاشى، لا سيما أنها مقاومة ثنائية، فإن كان القدماء يعتبرونه دخيلًا جاء ليعكر صفو وحدتهم ومجموعتهم، فالموظف الجديد أيضًا يقاومهم بابتعاده عن إبرام علاقات معهم خوفًا منهم، لأنهم أيضًا بالنسبة له غرباء من بيئة جديدة.. هذا الموظف له حلّان: إما أن يرحل، أو يستمر.

ولكي يستمر عليه أن يتقبل أولاً فكرة أنها محنة يمكن تجاوزها، وعليه أن يقوم بجهود لذلك دون أن يظهر استياءه أو قلقه الزائد، أو يستعجل الأمور.

من الطبيعي أن يتساءل ألف سؤال، أو أن يحس أنه ليس بمكانه في بداية الأمر، فهو في مؤسسة جديدة بين مسؤولين جدد وزملاء جدد وعمل أو وظيفة جديدة، وربما مهمّة جديدة أيضًا.

إذن كيف يمكن لهذا الموظف الجديد في بيئة جديدة ومحيط جديد أن يتجاوز كل هذا، ليندمج في مؤسسة يبدأ فيها عمله للتو؟

أولاً وكما أسلفنا، على الموظف الجديد أن يعي أنه من الطبيعي جدًا شعور الآخرين بأنهم مهددون بسبب وافد جديد، هم لا يعرفونه جيدًا، ولا يفهمون كيف عليهم التعامل معه، ولا يعرفون إن كان مؤذيًا أو مسالمًا، كل ما يرونه فيه لأول وهلة هو أنه غريب عنهم، فتلك المقاومة للآخر التي يبدونها اتجاه الموظف الجديد أمر طبيعي، أحيانًا تكون عادية وأحيانًا مبالغ فيها، وعلى الموظف الجديد أن يحاول الهدوء قدر المستطاع، وألّا يظهر قلقه واستياءه من سوء معاملة البعض له، أو يبدي ردة فعل عنيفة، ولكن عليه أن يحاول التخفيف من شعور الآخر من الخوف منه واعتباره دخيلاً، ذلك بأن يكون وديدًا، ولكن دون أن يقحم نفسه إقحامًا في أحاديث لا تخصه، أو يتودد إلى درجة المبالغة.

كما يجب أن يثق بقدراته حتّى لا تتحول مقاومة الآخر له إلى حاجز يعوق تطوره داخل الشركة الجديدة.

لا يمكن للموظف الجديد- بالتأكيد- تجاوز حالة الصدمة الأولى بشكل منفرد وبمعزل عن الآخرين، فهو بحاجة لهم وبحاجة للتأقلم مع بيئته الجديدة، وهم جزء من هذه البيئة، بل الجزء المهم أيضًا، إذن فهو بحاجة ماسة لثقة الموظفين السابقين، وخاصة من لهم، ارتباط مباشر بوظيفته الجديدة، لأنهم بالتأكيد أكثر من سيشعرونه بمقاومتهم لوجوده، لأن عمله يصب في عملهم بشكل مباشر، هناك أيضًا من سيشعره بعدم رغبته في وجوده، ليس لأمر إلّا لشعوره بالتعاطف والتضامن مع موظف سابق كان مكنه، إما ترك وظيفته، أو فقدها مثلاً...

لا يجب أن يتوانى الموظف عن طلب النصح والاستشارة من زملائه، حتّى لو كان بإمكانه أن يعمل بشكل مستقل، ولو كان مبدعاً لدرجة لم يكن بحاجة لأحد، ويمكنه استيعاب كل شيء وحده، ولكن بهذه الطريقة يمهد لطريق المودة بينه وبين رفاقه المستقبليين.. لأنه سيشعرهم بأنه بحاجة لهم ولمعرفتهم، وبأنه يثق فيهم وفي مؤهلاتهم، كما أنه يقدر مساعدتهم ويشعر بالامتنان لذلك.

العمل في جلّ المؤسسات والشركات هو عمل جماعي حتّى وإن كان الشخص مؤهلًا للانفراد بعمله والامتياز فيه من دون مساعدة الآخرين، وهذا المفهوم - القديم والحديث- للعمل والذي نتجاهله في العديد من مؤسساتنا هو ما يشكل ميزة عملية لدى المجتمع الغربي، ويجعلهم يتميّزون ويتفوقون.

رائد من رواد الأدب الإسلامي:

الكاتب المفكر أنور الجندي ومسيرة الأمة

إبراهيم عثمان عبدالرحيم - باحث مصري

عالم جليل من علماء الأمة الإسلامية من الذين ساهموا في تقدم مسيرة الأمة وعدم انحرافها واتباعها سبل الضلال. ولد بمصر ١٩١٧ وفارقنا في ٢٨ يناير ٢٠٠٢ ، كانت كتبه تمثل الزاد المتجدد لحماية عقول الشباب من الزيف، حيث قدم خدمات جليلة خدم فيها الفكر الإسلامي المعاصر والثقافة العربية والإسلامية، فكان مدرسة في التأليف الموسوعي، واليوم نحتفي به الأن احتفاء الأمة بعظمائها واجب ديني وقومي، وهو دليل على عظمة الأمة ورقيها وعلى عرفانها لأبنائها بالفضل، إن الاحتفال بالرواد علامة حسنة من علامات تقدم ورقي الشعوب، لأنها تدل على أن الأمة تسير في طريقها الصحيح، وتقيس خطوات حاضرها على ماضيها.

أنور الجندي نموذج يقتدى به للمفكر الإسلامي الملتزم بعقيدته وبقضايا أمته، إذا أدركنا ما للكلمة من قدرة رائعة على المحافظة على حرارة الإيمان مشتعلة في النفوس، وما لها من أثر عال في إنارة القلوب وتغذية العقول، ولو عرفنا أن الإسلام والمسلمين في معركة دائمة، وعلى كل مسلم نصيبه من الجهاد بالكلمة، أدركنا قيمة الأدب في حياة المسلمين وأهميته في بناء المجتمع المسلم.. وعلى هذا فالأدب هو عنصر من عناصر المجتمع، والأدباء هم من حملة السلاح في المعركة (سلاح الكلمة المكتوبة) فلقد احتذى الأديب أنور الجندي طريق المسلمين الأوائل في الذود عن الإسلام والمسلمين بسلاح الكلمة، حيث جند كلمته المكتوبة للتوجيه والتوعية والتربية مصداقًا لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم:٢٥-٢٤).

أسلوب الكاتب والمفكر أنور الجندي في كتاباته تلج به في رحاب الأدب الإسلامي الذي يتصف بنظافة وبراءة الأدب من فاحش الكلام، ويبتعد عن

الأدب الذي يصف العورات، ويثير الشهوات ويستبيح الحرمات.

إن من مهمات الأديب الإسلامي إنشاء أدب إسلامي يمتع النفوس، ويغني العقول ويرسخ الإيمان، ويحض على الخير، وينهى عن الشر.

حياته:

ولد في مدينة ديروط بمحافظة أسيوط -أحد أقاليم مصر الجنوبية- عام ١٩١٧ وتخرج في المدرسة التجارية العليا سنة ١٩٣٢، وكانت أول كتاباته في عام ١٩٣٢ في مجلة «أبوللو»، وهو مقال في ذكرى الشاعر حافظ إبراهيم، وكان في السابعة عشرة يومذاك، وكان أول كتاب صدر له هو «مصابيح على الطريق» يتكلم فيه عن حياة الريف، وأصدر عدة كتب أدبية وتاريخية، حتى صدر له كتاب «اخرجوا من بلادنا» الذي يندد فيه بالإنجليز، واعتقل بسببه لمدة ١٤ شهرًا في عهد الملك فاروق، ثم أفرج عنه.

محطات في حياته

في عام ١٩٤٠ قرأ ملخصًا لكتاب «وجهة الإسلام» الذي كتبه مجموعة من المستشرقين، فكان هذا سببًا في اتجاهه الفكري المقاوم للغزو الفكري وأغاليط المبشرين، وخصص معظم مؤلفاته للدفاع عن الإسلام، ولقد اتسم أسلوبه في الفترة من ١٩٤٠ حتى ١٩٥٠ بنقد المجتمع، وقد التقى بالبنا الذي كان له دور كبير في تشجيعه على الكتابة أثناء مرافقته له في رحلة

الحج سنة ١٩٤٦، وتدرج في معالجة الواقع في كتاباته من عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٦٤، وفي عام ١٩٦٤ بدأ في كتاباته بتصحيح المفاهيم، حيث تصدى للدفاع عن ثقافة الأمة وحضارتها وأدبها وتاريخها ومواجهة الاستشراق والتغريب في تلك الفترة.

زيف الفكر الغربي

وقد عرف عنه دماثة الخلق والتواضع وزهده في المال والشهرة، وكان له دور في تصحيح المفاهيم، وكشف زيف الفكر الغربي، وإرساء مفاهيم الأصالة الإسلامية، والعودة إلى المنابع الأصيلة للإسلام، ولقد كان ممن أرسى الفكر الإسلامي في مجال الأدب، حيث جعل للقيم الأخلاقية أسبقية على القيم الفنية، وارتفع فوق ظاهرة القوميات والنظرية العرقية والاستعلاء بالعنصر، وحاول الربط بين المشرق والمغرب الإسلاميين في كتاباته، وكانت أولى اهتماماته إعلاء الوطن العربي الإسلامي في مؤلفاته، وقد تصدى بكل قوة للتيارات الوافدة التي بشرت بها كتابات العلمانيين والماركسيين، وتناول في دراساته الاستشراق والتبشير، واهتم بدراسة التاريخ الإسلامي.

عمل المفكر أنور الجندي في ميدان الفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية

والصحافة الإسلامية منذ عام ١٩٤٣، وكتب في مختلف الصحف العربية الإسلامية، على سبيل المثال أنجز تراجم لقادة التحرير، أمثال عمر المختار (ليبيا)، عبدالكريم الخطابي (المغرب)، وحضر عشرات المؤتمرات ودعي إلى المحاضرة في جامعات الرياض والجزائر وأبوظبي وعمان والأردن والخرطوم والرباط وجاكرتا وغيرها، لم يشغله عن الدعوة الإسلامية شاغل، وعايش مختلف التحولات والعقبات والمؤامرات التي حيكت للأمة الإسلامية من المحاولات الليبرالية والقومية والماركسية.

كما تصدى لمخططات الصهيونية العالمية والفكر اليهودي لطمس اللغة العربية والتاريخ والتراث، وعايش حركة اليقظة الإسلامية في مرحلة نموها، حتى وصلت إلى مرحلة الصحوة الإسلامية منذ نكسة ١٩٦٧.

تنوعت كتاباته في جميع مجالات المعرفة بداية في مجال الأدب واللغة والتراجم مرورًا بالحضارة العربية الإسلامية، وقد كان عضوًا عاملًا في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ومن أوائل الأعضاء في نقابة الصحفيين، وحصل على جائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٦٠.

شهادات معاصريه

١ – جمال عبدالهادي: كان أنور الجندي زاهدًا في معيشته ودنياه.

٢ – أحمد العسال: أعطى أنور الجندي أفضل ما عنده للحركة الإسلامية.

٣ – عبدالصبور شاهين: دافع عن قضايا أمته فكان أفضل المحامين.

٤ – د.عبدالمنعم يونس رئيس مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالقاهرة والأستاذ باللغة العربية جامعة القاهرة: إن الرجال الذين يرحلون عن الحياة ويتركون بصماتهم قليلون، ومنهم الراحل أنور الجندي، وطالب بأن تقوم الجامعات الإسلامية وكل وسائل المعرفة بتبني تلك الكتب وهذا المشروع الفكري وتقديمه كمادة علم، وليس مجرد كتب تقرأ.

قالوا عنه

قال الدكتور يوسف القرضاوى عنه:

مسكين أنور الجندي، لقد ظلمته أمته ميتًا كما ظلمته حيًا، فلم يكن الرجل ممن يسعون للظهور وتسليط الأضواء عليه كما يفعل الكثيرون من عشاق الأضواء الباهرة، بل عاش الرجل عمره راهبًا في صومعة العلم الثقافية يقرأ ويكتب، ولا يبتغي من أحد جزاء ولا شكورًا، لقد أخبرتني ابنته الأستاذة فائزة أنور الجندي أنه كان يحب أن يكون متوضئًا دائمًا، فيأكل وهو متوضئ ويكتب وهو متوضئ، وكان ينام بعد العشاء ثم يستيقظ قبل الفجر ليصلي التهجد ويصلي الفجر، ثم ينام ساعتين بعد الفجر ويقوم ليقضي بعض حاجيات البيت بنفسه، ومن الأعلام الذين تأثر بهم شيخ العروبة أحمد زكي باشا، وأحمد تيمور، شكيب أرسلان، ومصطفى صادق الرافعي وحسن البنا وعبدالعزيز الثعالبي وأمين الرافعي ومحمد فريد وجدي وغيرهم.

وقال الدكتور مصطفى الشكعة:

أنور الجندي علم ساطع مرموق في سماء الفكر العربي الإسلامي.

مؤلفاته تربو على ٣٥٠ كتابًا ومنها على سبيل المثال:

١ – موسوعة مقدمة العلوم والمناهج (١٠ أجزاء).

٢ – الموسوعة الإسلامية العربية.

٣ – معلمة الإسلام (جزآن).

٤ – موسوعة على طريق الأصالة.

٥ – دائرة الضوء.

٦ – موسوعة العلوم الإسلامية.

٧ – الفكرة الإسلامية.

المراجع

١– نحو مذهب إسلامي للدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا.

٢– موسوعة أعلام الفكر العربي، سعيد جودة السحار.

٣– موسوعة ألف شخصية مصرية، لمعي المطيعي.

٤– جريدة معلمة الإسلام التي تصدرها جمعية محبي أنور الجندي للفكر المعاصر والأدب الإسلامي، العدد الأول، السنة الأولى، سنة ٢٠٠٢م.

نحو وعي إسلامي بدراسة التاريخ وتفسيره

التاريخ عند المسلمين (٣)

د. أحمد خليل الشال
عضو لجنة السيرة والتاريخ الإسلامي بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر

سبق في الحلقتين السابقتين الحديث عن «التاريخ» عند العرب والمسلمين قديمًا، مجردًا من حيث اللفظ والدلالة باختصار، ولكن هناك وجه آخر لمعنى التاريخ عند المسلمين أدرجه المتأخرون والمعاصرون في المعنى العام للتاريخ، وهو ما عرف بتفسير التاريخ - أو فلسفة التاريخ - وهو حديث هذه الحلقة إن شاء الله تعالى.

ويمكن تعريف تفسير التاريخ بأنه هو: التلطف في تأمل الأخبار والوقائع التاريخية - بعد التثبت من صحتها - من أجل الوقوف على أسبابها ومُسَبَّباتها، بغرض استنباط السنن الحاكمة في مسيرة تاريخ الأمم والشعوب.

ويمكن توضيح جانب من هذا التعريف بقول: إنه ما من شيء - كما هو معلوم - إلا وهو محتاج إلى غيره. فالمحتاج إليه في وجود شيء يسمى سببًا أو علة، والشيء نفسه يسمى مُسَبَّبًا أو معلولا. ومن ثم، فإنه ما من شيء من الأشياء إلا وهو مُسَبَّب عن شيء آخر من جهة، ثم هو سبب لغيره من جهة أخرى. غير أن عدد الأسباب الظاهرة للناظر تتناقص كلما أمعن التأمل حتى ترجع الأسباب كلها إلى سبب واحد، يسميه بعض المتكلمين بالسبب الواجب، أو واجب الوجود، ويقصدون به الخالق عز وجل. ويطلقون على هذا الأمر اسم «قانون السببية». ويعبر ابن تيمية عن ذلك بقوله: «فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب، والله خالق الأسباب والمُسَبَّبَات»(الفتاوى ٨/ ٧٠).

ويظهر من التعريف السابق أن عملية تفسير التاريخ إنما هي «اجتهاد بشري يمكن أن يخطئ ويصيب، كاجتهاد الفقهاء في استنباط الأحكام من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ويمكن أن تختلف فيه وجهات النظر كما تختلف وجهات النظر بين الفقهاء»(١).

إلا أنه ينبغي التنبيه هنا على وجوب الفصل بين تاريخ وضع الاصطلاح، وبين تاريخ مدلوله. ذلك أن دلالة الاصطلاح ومعناه يسبق بكثير المصطلح نفسه، فإن التفكير من خصائص الإنسان بموجب حقه في الاختيار. فهو أمر فطري يتصل بالإنسان منذ كلفه الله تعالى بعمارة الأرض، يبحث عن سر وجود الإنسان، ووظيفته في الدنيا. فهو مطالب بالنظر إلى هذا الخلق بأرضه، وسمائه، وما بينهما: مم خلق؟ ولِمَ خُلق؟ وما مهمته على هذه الأرض؟ ثم إلى أين يكون مصيره.. أسئلة عدة تحتاج إلى التأمل والنظر.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾(العنكبوت:٢٠). وقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾(الروم:٨). ولكن من رحمته تعالى بخلقه أنه لم يتركهم هملًا، بل إنه لما خلقهم، ركب فيهم العقول، فقال: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(النحل:٧٨). وهداهم النَّجْدَين. فقال:﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد:٨-١٠). وأعانهم على ذلك بالأنبياء والكتب، فقال:﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد:٢٥). ولكن أبى كثير منهم إلا الضلالة، فنبذوا كتب الله وراء ظهورهم، واتبعوا أهواءهم بإغواء الشيطان، فقال: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾(الروم:٢٩). ومن ثم، فإننا سوف نجد أنفسنا بين طريقين لا ثالث لهما، يمثلان منهجين متصارعين على مدار التاريخ كله: منهاج الحق، ويمثله الأنبياء ومن اتبعهم بما أنزل عليهم من الكتب. يقول تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة:٢١٣). ومنهاج الباطل، ويمثله أولئك الذين اتبعوا أهواءهم بغير هدى من الله، فاتخذوها آلهة من دون الله. قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجاثية:٢٣).

والخلاصة: أنه لما وُجد الإنسان، وُجد النظر والتفكير، والتأمل والتعليل. وصَدق من قال: «الإنسان هو الكائن الوحيد الذي له تاريخ.. إن الكائنات الأخرى لا تعقل تجربتها على الأرض، وبالتالي لا ينقلها جيل منها إلى جيل نقلًا واعيًا تتسع به مداركها في مواجهة ما يعترضها من الظروف.. فالحمار الأول لا يفترق كثيرًا عن الحمار الأخير، لا في طعامه، ولا عاداته.. وفضلًا عن كون تصرفاته تمليها الغريزة، ولا مجال فيها للاختيار، وإن بدا لنا أحيانًا أنه يختار، فخياراته - المحدودة النطاق - محكومة بالغريزة في النهاية، ليس فيها إرادة حقيقية ولا وعي. ومن ثم فإن الحمار ليس له تاريخ! ومثله بقية الكائنات.. أما الإنسان فهو من مبدأ حياته كائن له تاريخ، ليس فقط لأنه دَوَّن تاريخه بالفعل بصورة من صور التدوين، بالرسم على جدران الكهوف، أو بالكتابة على الجدران أو الأوراق، ولكن قبل ذلك لأنه الكائن ذو الوعي الذي يعقل تجربته على الأرض.. ومن خلال تراكم التجربة تنشأ له مواقف جديدة، فيتكون له تاريخ»(٢).

وأيًا كانت نظرة الأمم الأولى لتجاربها وخبراتها، سواء عليهم اهتدَوا في نظرتهم تلك أم ضلوا، فقد كانت لهم تأملاتهم التي فسروا بها سرَّ وجودهم على الأرض، ودورهم فيها، وعلاقتهم بمفردات الكون الذي هم فيه..

وتُمثل التأملات الفلسفية للحضارات السومرية، والفرعونية، والهندية، والصينية القديمة.. النشأة الأولى لمعنى تفسير التاريخ، أو فلسفته، وذلك بما قدمته تلك التأملات من تفسيرات لحقيقة الإنسان، وسر وجوده، وعلاقته بالكون المحيط به.. ومن يتلطف في تأمل «فلسفات» تلك الحضارات القديمة - سواءٌ عليها ضَلّت أم اهتدت - يمكنه أن يتلمس بوضوح ذلك الخط الأول من نور الهداية الربانية الذي أودعه الله تعالى في نفس كل إنسان: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ من بَنِي آدَمَ من ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف:١٧٢). ذلك النور الذي عززه الله تعالى ببعثة الأنبياء وإنزال الكتب.

● وهنا يطرح سؤال نفسه: هل القرآن تاريخ أم تفسير للتاريخ؟

- يرى البعض أن القرآن الكريم أول كتاب اهتم بالتاريخ عند المسلمين منذ بعث النبي ﷺ. والصواب في رأيي أنه أول كتاب اهتم بتفسير التاريخ، وليس بمجرد التاريخ. فالمتأمل في القرآن يجد أن مجرد التأريخ والإخبار لم يكن من أولوياته ولا من غايته، وإنما تفسير التاريخ هو أهم ما تناوله ونبه عليه من خلال آياته وقصصه وأخباره الكثيرة التي حواها بين دفتيه. فهو لم يكن تأريخًا بقدر ما كان تفسيرًا للتاريخ.

فالقرآن الكريم كما أنه كتاب تشريع، هو أيضًا كتابٌ في تفسير التاريخ، ومن ثم فهو ليس كتابًا في التاريخ، بل في تفسير التاريخ، والفرق بينهما كبير من حيث المنهاج والغاية. وهذا يحل مشكلات المعاصرين ويجيب عن سؤالهم الملح: لماذا لم يؤرخ القرآن للعصور السابقة واللاحقة كما أرَّخت كتب سماوية أخرى؟ وبذلك يُرفع الحرج عن هؤلاء الذين تهيأوا للدفاع عنه بمحاولتهم أن يُثبتوا فيه ما ليس من منهاجه أصلًا - أعني القرآن - عند محاولتهم الرد على هؤلاء المخالفين.

الهوامش

١- انظر: حول التفسير الإسلامي للتاريخ، لمحمد قطب ص ١٩٦.

٢- انظر: حول التفسير الإسلامي للتاريخ، لمحمد قطب ص ٢٣-٢٤.

نعمة الإبصار بين الحفظ والإهدار

محمود علي - باحث دراسات إسلامية

قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ (إبراهيم:٣٤)، فالنعمة الواحدة من نعم الله تعالى يستحيل إحصاؤها ونعمة البصر من أجل وأعظم النعم التي منّ بها الخالق سبحانه على الإنسان، والعين وهي عضو الإبصار جزء حساس في جسم الإنسان، وقد جعلها البارئ سبحانه على هذه الصورة في مقدمة الوجه داخل تجويف عظمي في الجمجمة وأحاطها بعدة سواتر ربانية، متمثلة في الجفون والرموش التي تؤدي دورها في الذود عن العين من أي غزوات تلوثية أو ما شاكلها، فسبحانه القائل: ﴿الذي خلق فسوى﴾ (الأعلى: ٢) ﴿صُنْعَ اللّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٨٨).

فهذه المكانية المتميزة لوضعية العين في الجمجمة تتجلى فيها عظمة الخالق وطلاقة قدرته، وإذا ما عنّ بخاطر إنسان أن يحصي عظيم هذه النعم لأضنته الحيلة ولحارت قريحته وأخفقت فراسته في تحقيق ذلك مهما أوتي من فكر ثاقب وبصيرة نافذة فسبحان القائل ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ (النحل: ١٨).

وقد ترى إنسانًا تعرض لخطر داهم إثر حادث عارض أو قصد عامد، وتأخذك به الشفقة من جلّ ما أصابه من كدمات ورضوض في جسده وتراه وقد تخثعم وجهه وشج رأسه

وما ترى بعينه سوءا قط وكأن عليها من الله حارسا ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: ٦٤).

حقيقة علمية عن العين:

إن عين الإنسان الواحدة بها ١٤٠ مليونا من الخلايا الملتصقة للضوء (light Receptors)، وتقوم بمهمة إرسال المجموعة التصويرية إلى المخ(١)، وتسمى بالمخاريط والعصي، وطبقة المخاريط والعصي هي واحدة من عشر طبقات تتشكل منها شبكية العين التي لا يزيد سمكها على ٠,٤ من المليمتر!! ويخرج من العين نصف مليون ليف عصبي ينقل الصورة بشكل ملون، وللعين درجة حرارة معينة تقل كثيرًا عن درجة حرارة الجسم العادية ولها أيضًا ضغط دم مختلف يتناسب مع طبيعتها الحساسة، فهل يروم لعاقل بعد ذلك أن يبدد هذه النعمة فيما حرم

الله النظر إليه إذا ما علم أن الله ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (غافر: ١٩).

ضوابط إلهية للنظر:

ومما حرمه الإسلام إطالة النظر من الرجل إلى المرأة ومن المرأة إلى الرجل، فإن العين مفتاح القلب، والنظر رسول الفتنة وبريد الزنا، ولهذا وجه الله أمره إلى المؤمنين والمؤمنات جميعًا بالغض من الإبصار مقترنًا بأمره تعالى بحفظ الفروج: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (النور: ٣٠-٣١)، يقول ابن كثير: هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين

فضول النظر يدعو إلى الاستحسان ووقوع صورة المنظور في القلب يفسده

والمؤمنات أن يغضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، فلا ينظروا إلا لما أباح لهم النظر إليه وأن يغمضوا أبصارهم عن المحارم فإن اتفق أن وقع النظر على محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعًا(٢).

يقول الدكتور القرضاوي:

والغض من البصر ليس معناه إقفال العين عن النظر ولا إطراق الرأس إلى الأرض فليس هذا بمراد ولا مستطاع وإنما معنى الغض من البصر خفضه وعدم إرساله طليق العنان يلتهم الغاديات والرائحات أو الغادين والرائحين، فإذا نظر إلى الجنس الآخر لم يغلغل النظر لمحاسنه ولم يطل الالتفات إليه والتحديق فيه(٣).

فأين نحن من هذا الأمر الإلهي الحاسم العاصم:

ترى إنسانًا قد أطلق عنان بصره لتلكم الرعبوب المتبرجة وآخر يتغزل في هذه العيناء المكتحلة المتنمصة، ومنا من يبدد وقته لاهيًا لاهثًا بعينه وراء مناظر خليعة لبشر استشرى فيهم داء (فقر الحياء) فحلت بهم (أنيميا الأخلاق) فحولوا بخبيث أفعالهم تلكم الأجهزة من نعم إلى نقم، وهناك فئة يحلو لها الاستمتاع بالصور الماجنة القبيحة، فهل آن لكل مشغول باللذات الفانيات أن يستعد لملمات الممات ويستدرك هفوات الفوات؟ ولله در القائل:

تمضي حلاوة ما احتقبت وبعده
تبقى عليك مرارة التبعات
يا حسرة العاصين يوم معادهم
ولو أنهم سبقوا إلى الجنات

النظرة الأولى وكفى:

والنظرة المحرمة كبرى المصائب وأخطرها، وهي فرقاطة بصرية تجر وراءها كل المصائب ولذا قال المصطفى ﷺ لعلي بن أبي طالب «يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة» (أحمد وأبوداود والترمذي) وجاء في عدة الصابرين لابن القيم ما معناه «إن النظرة سهم من سهام إبليس فمن غض بصره لله أورثه حلاوة يجدها في قلبه إلى يوم القيامة»، والشاعر يقول:

كل الحوادث مبداها من النظر

ومعظم النار من مستصغر الشرر

وما أفظع ما وصفت به النظرة المحرمة في قول المصطفى ﷺ «والعينان تزنيان وزناهما النظر» (مسلم) وإنما سماه «زنا» لأنه ضرب من التلذذ والإشباع للغريزة الجنسية بغير الطريق المشروع، وما يروى أن رجلا نظر إلى امرأة أجنبية وأطال إليها النظر ثم دخل على أحد المصلين فقال له: أرى آثار الزنا بين عينيك فقال له: ويحك أنبوءة بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: لا، ولكن المؤمن ينظر بنور الله.

فضول النظر يورث مرض القلب:

والنظر المتلذذ الجائع ليس خطرًا على خلق العفاف فحسب، بل هو خطر على استقرار الفكر وطمأنينة القلب الذي يصاب بالشرود والاضطراب، وإطلاق البصر يلبس القلب ظلمة كما أن غض البصر لله يلبسه نورًا، فبين العين والقلب منفذ وطريق

فإذا جبلت العين على النظر إلى ما حرم الله فسد القلب وخرب، لأن فضول النظر يدعو إلى الاستحسان ووقوع صورة المنظور في قلب الناظر فيحدث ذلك انواعًا شتى من الفساد في القلب أقلها دخول الشيطان مع النظرة إلى القلب، ليزين له الحرام ويوقد فيه نار الشهوات، فينشغل القلب باتباع الهوى، والانقياد للهوى بذرة تتضخم بمرور الزمن وتنتشر فروعها في كل اتجاه حتى يشب القلب على إلف المعصية ويكسوه الران ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم﴾ (المطففين: ١٤)، وفي الحديث عن حذيفة بن اليمان قال، قال رسول الله ﷺ: «تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير عودا عودا، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى يصير القلب أبيض مثل الصفا، لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مربدا كالكوز مجخيا، لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا، إلا ما أشرب من هواه» (الألباني).

غض البصر ينير البصيرة:

قال أحد الصالحين: «من عمر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشبهات واغتذى بالحلال لم تخطئ له فراسة قط» وقيل: من حفظ بصره أورثه الله نورًا في بصيرته، وسُئل الجنيد: بم يستعان على غض البصر؟ قال: بعلمك أن نظر الله إليك أسبق إلى ما تنظر إليه.

دموع الخشية درع من النار:

فالبكاء من خشية الله تعالى مطهر للقلب ومنج من النار، فعين المؤمن تفيض بالدموع دومًا، فإذا اغرورقت العينان فدعها تسيل بالدمع على وجهك مهدارة وإياك إياك أن تكفكفها ليشرق وجهك نورًا وبهاء ففي الحديث: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع» (الترمذي)، وما أعظم الجزاء وما أجل المثوبة إذا ما نجح الإنسان أن يكون في ظل الله، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «سبعة يظلهم الله في يوم لا ظل إلا ظله... ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»(٤)، وفي حديث آخر «ليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين وأثرين: قطرة دموع خشية الله وقطرة دم تهراق في سبيل الله.... الخ الحديث»(٥).

خاتمة

يجب ألا يغيب عن فطنة كل عاقل أن من فضل الله عليه أن أمده بالبصر ولم يحرمه منه وتلك نعمة كبرى، فلا يمدن عينيه إلى ما حرم الله فهي مسؤولية أمام الله تعالى فالحق يقول: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولا﴾ (الإسراء: ٣٦)، وإذا ما رمدت العينان أو رمشت الأجفان فليجعل الإنسان وضوءه بلسمًا وإيمانا وإن إدامة النظر في كتاب الله تلاوة وتعبدًا تجلي البصر وتنير البصيرة ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات: ٤٠-٤١).

الهوامش

١- الإسلام يتحدى- وحيد الدين خان ص٨١ بتصرف.
٢- تفسير القرآن العظيم- ابن كثير ج٣ ص ٢٨٢.
٣- الحلال والحرام في الإسلام ص١٤٩ وما بعدها.
٤- رياض الصالحين ص ٢٠٨.
٥- رواه الترمذي- المرجع السابق ص٢١٠.

الرسول ﷺ ينظم سلوكيات مهنة الطب

د. محمد عبدالله الصديقي
طبيب كويتي

من الإبداعات الطبية لرسول الإنسانية ﷺ تنظيم سلوكيات مهنة الطب، فهناك العديد من النصوص الإسلامية للآداب واحترام أحكام الشريعة الإسلامية في مزاولة مهنة الطب، فقد وضع الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه أسسا محددة لسلوكيات الطبيب عند فحصه وعلاجه للمرأة، ويستثنى من ذلك حالات الضرورة القصوى، مثل عدم وجود الطبيبة الاختصاصية أو الماهرة في مستوى الطبيب الاختصاصي، أو في حالات الطوارئ كل ذلك في إطار تعاليم الإسلام التي تقتضي ضرورة محرم، وقد استعان أطباء الحضارة العربية الإسلامية بهذه القواعد التي وضعها خير الأنام وعلى ضوئها تم تحديد الشروط اللازم توافرها في كل من يمارس مهنة الطب وهي:

١- أن يكون تام الخلق، صحيح الأعضاء حسن الذكاء، جيد الرؤية عاقلاً، خير الطبع.

٢- أن يكون حسن الملبس، طيب الرائحة، نظيف الثوب والبدن.

٣- أن يكون كتومًا لأسرار المرضى، لا يبوح بشيء من أمراضهم.

٤- أن تكون رغبته في إبراء المرضي أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأجرة، ورغبته في علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج الأغنياء.

٥- أن يكون حريصًا على التعليم والمبالغة في منافع الناس.

٦- أن يكون سليم القلب، عفيف النظر، صادق اللهجة.

٧- أن يكون مأمونًا وثقة على الأرواح والأموال، ولا يصف دواء قاتلا لا يعلمه، ولا دواء يسقط الأجنة؛ يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه.

فالمتأمل لهذه الشروط يرى أنها خصال إنسانية وردت في تعاليم الإسلام وأحاديث رسول الإنسانية ﷺ.

إعداد : محمود محمد الكبش
باحث بوحدة البحث العلمي في إدارة الإفتاء

نقل الفتوى من كتب الفقه:

لا يجوز لغير طالب العلم أن ينقل الفتوى من كتب الفقه، أو من كُتُب الفتاوى، لأنه غير مؤتَمَن عليها، ولم يؤهَّل لفهم الفتوى بعد.

هذا ما نصَّ عليه أهل العلم، قال الإمام السرخسي رحمه الله: «فأمَّا الكُتُب المصنَّفة التي هي مشهورة في أيدي النَّاس فلا بأس لِمَن نَظَر فيها، وفَهِم شيئًا منها، وكان متقنًا في ذلك: أن يقول: قال فلان كذا، أو مذهب فلان كذا، من غير أن يقول حدثني أو أخبرني، لأنها مستفيضة بمنزلة الخبر المشهور». (أصول السرخسي (١-٣٧٨).

وعليه، فلا يخلو النَّاقل للفتوى من حالتين: الحالة الأولى: أن ينقلها بنصِّها ولفظها مع المحافظة عليها، فهو مأجورٌ إن أوقعها موقعها، ولا يقوى على هذا إلَّا مَن نال حظًّا من العلم والفهم. والحالة الثانية: أن ينقلها بفهمه، وفي هذه الحالة لا يجوز له أن ينقلها إلَّا إذا كان فاهمًا، أو من طلَّاب العلم الذين يفقهون معنى الكلام، ومقاصد الألفاظ ودلالتها.

أمَّا نقل الفتوى من كُتُب الفقه، واعتمادُها، وتبليغ النَّاس بها للعمل والتَّطبيق، مَعَ توفُّر الشَّرط السَّابق، فهذا ممَّا نقل الإجماع عليه غيرُ واحد من أهل العلم، كالعزِّ بن عبدالسَّلام، والإمام الماوردي رحمهما الله تعالى، ولذا لا يشترط اتصال السند على مصنفيها. (الأشباه للسيوطي (ص٥١١)، والحاوي (٥-٣٦٦).

وقال ابن فرحون المالكي رحمه الله: «وسُئل الشيخ أبومحمد بن أبي زيد عن الرَّجل إذا لم يستبحر في العلم، وإنَّما نَظَرَ في «المدونة»، و«الموطأ»، و«المختصر»، ونحو ذلك، يُسأل عن النَّازلة، هل له أن يفتي بما رآه في هذه الدَّواوين لمالك، أو لأحدٍ من أصحابه،

فتاوى الوعي

أكل مال اليتيم

(٢-١٥٣-٥١١)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التالي، ونصُّه:

ما هو حكمُ أكل مال اليتيم، وما هو الواجب على الوارث لهذه الأموال الحرام؟

فأجابت اللجنة بالتَّالي:

إنَّ أكلَ مالِ اليتيم حرامٌ بنصِّ القرآنِ الكريم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾(النساء: ١٠)، والواجب على من ورث مالا يعلم أنَّه ليتيم أن يردَّهُ إلى صاحبه، لأنَّه لا يعتبر من التَّركة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

التَّصرُّف في أموال اليتيم

(٢٠-٢٩٧-٦٤٦٧)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاء التالي، ونصُّه:

يرجى إفادتنا عن الآتي: هل يجوز الصَّرْفُ من مبلغ الكفالة المخصَّص لليتيم على الأمور التَّالية:

أ- دفع إيجار المنزل الذي يسكنه اليتيم مع أهله. ب- شراء أجهزة كهربائية للبيت (تكييف - ثلاجة - طباخ). ج- دفع فواتير الكهرباء للبيت. د- تسديد الرسوم الدراسية لليتيم. هـ- تسديد ديون أم اليتيم. و- إصلاح سيارة أم اليتيم. ز- أيُّ أمور أخرى تخص اليتيم وأمه.

فأجابت اللجنة بالتَّالي:

لا مانع من الصَّرْف من الأموال المتبرع بها للأيتام على ما يلي:

أ- دفع إيجار المنزل الذي يسكنه اليتيم مع أهله.

ب- شراء أجهزة كهربائية للبيت الذي يسكنه اليتيم مع أهله.

جـ- دفع فواتير الكهرباء.

د- تسديد الرسوم الدراسية لليتيم.

هـ- تسديد ديون أُمِّ اليتيم إذا كانت بسبب الإنفاق عليه.

و- إصلاح سيارة أُمِّ اليتيم إذا كانت تحتاج إليها لخدمته.

ز - أيُّ أمور أخرى يحتاجها اليتيم.

وفي كل ذلك يقدم الأهم على المهم من حاجاته. والله أعلم.

الاستثمار بمال اليتيم

الفتوى رقم (٧٨٩٠)

عرض على «اللجنة الدَّائمة للبحوث العلمية والإفتاء» بالسّعودية السّؤال التّالي:

ولي أمر يتيم، ترك له والده (أموالًا نقدًا)، ويريد وليُّه أن ينميها له بالتِّجارة فيها، فإذا فعل واستخدمها في التجارة

أو باختيار لسحنون، أو لابن سحنون، أو لابن المَواز، وشبههم؟ فأجاب عن ذلك: إذا سُئِل عن نازلة وَجَدَها في هذه الكتب؛ فَلْيُفْتِ بها، ويحملْ نفسَهُ عليها إنْ نَزَلَتْ بِهِ». (تبصرة الحكام (١-١٦٧).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: «كان رسول الله ﷺ يبعَثُ كُتُبَهُ إلى الملوك وغيرهم، وتقومُ بها حجَّتُه، ولم يكن يشافِهُ رسولًا بكتابه بمضمونه قطّ، ولا جرى هذا في مدة حياتِه ﷺ، بل يدفع الكتاب مختومًا، ويَأمرُهُ بدفعه إلى المكتوب إليه، وهذا معلوم بالضرورة لأهل العلم بسيرته وأيّامه، وفي «الصحيح» عنه ﷺ أنّه قال: «ما حقّ امرئ مسلمٍ، له شيءٌ يوصي فيه، يَبِيتُ ليلَتَيْنِ إلّا ووصيَّتُهُ مكتوبة عنده».

ولو لم يجُز الاعتماد على الخطِّ لم تكن لكتابة وصية فائدةٌ». (الطُّرق الحكميّة (١-٢٨١).

ولكن لهذا النقل شروط وضوابط، وأهمها:

أوّلًا: إخلاص النية لله تعالى، والتجرد عند النقل من الهوى والعصبية المذهبية.

ثانيًا: أن يكون للناقل ملكة علمية تؤهله لمعرفة طرق الاستدلال، والتعرف على الأدلة من خلال أقوال أهل العلم وفتاويهم.

ثالثًا: أن يجتهد الناقل في معرفة مواضع الإجماع والخلاف في المسائل الفقهية، ليأخذ بالإجماع ويعتمده، ويجتنب الشاذ والضعيف من أقوال أهل العلم، كي لا يكون حاطب ليل.

رابعًا: التزام الدقة في نقل الفتوى، سواء نقله بلفظه أم بمعناه.

خامسًا: أن يتحرى الدقة من المصادر الموثوقة والمعتبرة في المذهب، وانطباق الفتوى على الواقعة أو النازلة المستفتَى عنها. (تنظر هذه الضوابط في «النهج الأقوى» للعريني(٢٧٩).

قال عبدالله بن الإمام أحمد: «سألت أبي عن الرجل تكون له الكتب المصنَّفة، فيها قول رسول الله ﷺ، واختلاف الصّحابة والتابعين، وليس للمرجل بَصَرٌ بالحديث الضعيف المتروك منها، فيفتي به، ويعمل به؟ قال: لا يعمَلُ حتّى يسأل ما يُؤخَذُ به منها، فيكون يعمل على أمْرٍ صحيح، يَسْأَل عن ذلك أهل العلم». (مسائل أحمد بن حنبل، رواية ابنه عبد الله (ص٤٣٨).

وخسرت - لا قدر الله- هل يضمنها الولي أم لا؟ وإذا تركت بدون عمل تجاري كأموال تحت يد الولي هل يزكي عنها كل عام أم لا، وماذا يفعل إذا أكلتها الصدقة؟

فأجابت اللجنة بما يلي:

إذا نمّى الولي مال اليتيم بقصد الإصلاح، وكان خبيرًا بأمور التجارة، ولم يتعدَّ، فلا ضمان عليه فيما خسرت التجارة، ولا ينبغي له أن يترك مال اليتيم بدون تنمية تأكله الصدقة، وأما الزّكاة فتجب في ماله إذا بلغ نصابًا، وحال عليه الحول، ويخرجها وليه، وإذا كان للتجارة أرباح فحول الربح حول أصله، إذا بلغ الأصل نصابًا. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

معاملة اليتيم

الفتوى رقم (٩٣٨٤)

عرض على «اللجنة الدّائمة للبحوث العلمية والإفتاء» بالسّعودية السّؤال التّالي:

ما هي حدود معاملة اليتيم مادمنا نُكِنُّ له كلَّ خير، ونجعله كابن وهو صغير، وكأخ وهو كبير، وهل يفرض علي تعليمه بالمدارس وتزويجه، وعند تقسيم التركة نعطيه ما ترك والده، أم نقتسم كل الموجود؟

فأجابت اللجنة بما يلي:

أوّلًا: الإحسان إليه، ومعاملته بالمعروف، والمحافظة على ماله، وتنميته له كأنه مالك، والإنفاق عليه منه بالمعروف.

ثانيًا: يجب تعليمه أمور دينه، وما يحتاج إليه في حياته بقدر ما يتسع له ماله، وتزويجه عند حاجته إلى ذلك، ووجود الداعي إليه، وذلك من ماله بالمعروف ممن هي كفء له.

ثالثًا: إذا بلغ رشيدًا، فادفع إليه ماله مع الإشهاد على ذلك، سواء في ذلك حقّه في الإرث من تركة أبيه وما ملك من وجه آخر. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

شرط تسليم اليتيم حقه من ميراثه

الفتوى رقم (١٥٥٣١)

عرض على «اللجنة الدّائمة للبحوث العلمية والإفتاء» بالسّعودية السّؤال التّالي:

إذا بلغ أحد اليتامى سن البلوغ الشرعي كيف أسلمه حقه؟

فأجابت اللجنة بما يلي:

يدفع مال اليتيم إليه بشرطين: الشّرط الأول: البلوغ. الشرط الثاني: الرشد. بأن لا يكون سفيهًا، وهو الذي يبذر ماله في غير منفعة، قال تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾(النساء: ٦)، ويتم دفعها إليهم بحضرة شهود عدول، أو توثيق من المحكمة الشرعية، قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾(النساء: ٦)، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

إعداد : خالد محمد

«يا عربي» محرك بحث جديد.. يحجب المواقع المسيئة

انطلق في دبي محرك البحث العربي الجديد «يا عربي» www.yaarabi.com في نسخته التجريبية على شبكة الإنترنت، ويأتي المشروع الجديد تحت شعار «ذكي وآمن وموثوق» في محاولة لسدّ الفجوة والخلل في المحتوى المعرفي العربي على شبكة الإنترنت، في الوقت الذي لا يتجاوز فيه المحتوى العربي في الإنترنت أكثر من ١٪، وفقًا للقائمين على المشروع.

ووفقًا لتصريحات صحفية أدلى بها القائمون على المشروع للبوابة العربية للأخبار التقنية، فإن محرك البحث الجديد سيعمل على تهذيب المواقع الإلكترونية، وحجب المُسيء منها أو تلك التي تعصف بالقيم الأخلاقية والإنسانية، وتحرّض على العنف

والجريمة والكراهية، وأن هذا المشروع يأتي ليشكل نواة لمشروع معرفي نهضوي عربي، يقدم المعرفة والمعلومة بعد تنقية المواقع واختيار اللائق منها، ويراعي القيم والأعراف السائدة.

ويقدم محرك البحث الجديد «يا عربي» للمستخدم إجابات أقل بـ١٠٠ مرة من محركات البحث الأخرى، من خلال تكنولوجيا معرفية تفكر مثل العقل البشري.

وكان معتز كوكش، الخبير التقني للمشروع، قد أشار إلى أن المشروع الجديد لا ينافس أي من محركات البحث الأخرى، ويستهدف الجمهور العربي على الإنترنت الذي تتراوح أعداده بين ٧٦ و١٠٠ مليون مستخدم.

وقال إنه يعد أول موقع عربي مغلق يتم إعداد قاعدة بياناته من خلال مختصين عرب، وإن آلية البحث ستكون من خلال العنوان والمحتوى الرقمي دون اسم النطاق كما هو متبع.

وأضاف كوكش أن نتيجة البحث على الموقع ستكون من خلال المواقع المعتمدة فقط، التي يتم اختيارها من قبل المختصين العاملين بالمشروع، وأن النتيجة تشمل ٣ مستويات من أي موقع دون باقي أجزائه.

٢٢ مليون جهاز ذكي في المنطقة العربية

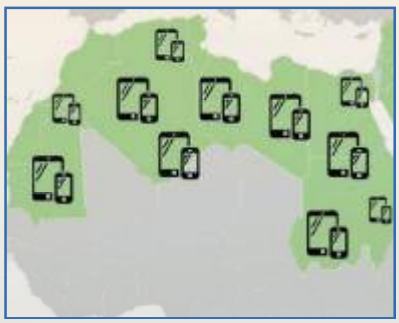

كشفت إحصائية حديثة امتلاك المستخدمين في المنطقة العربية نحو ٢٢ مليون جهاز ذكي، سواء حاسب لوحي أو هاتف ذكي، وتعمل النسبة الأكبر من تلك الأجهزة الذكية بنظام «أندرويد».

وأوضحت الدراسة التي كشفت عنها شركة «FrootApps» لتطوير التطبيقات، أن نظام «أندرويد» يشغل نحو ٤٠٪ من الحواسب اللوحية والهواتف الذكية العاملة في المنطقة العربية، أي ما يقدر بثمانية ملايين و٨٠٠ ألف جهاز.

وأضافت الدراسة أن نظام iOS يأتي في المرتبة الثانية بعد أندرويد، حيث يعمل نحو ٧,٧ مليون جهاز ذكي من «آبل» سواء هاتف «آيفون» أو حاسب «آيباد» لوحي في المنطقة العربية، مقابل نحو ٣,٣ مليون جهاز ذكي بنظام «بلاك بيري».

ويعد نظام «ويندوز فون» أقل الأنظمة استخدامًا بين المستخدمين العرب، فحسب الدراسة تعمل ١٠٪ فقط من الأجهزة الذكية في المنطقة العربية بالنظام الذي تطوره «مايكروسوفت».

وأشارت الدراسة كذلك إلى أن فئة الألعاب هي أكثر التطبيقات تنزيلًا من متجري «آب ستور» و«جوجل بلاي»، تليها تطبيقات التواصل الاجتماعي.

ويعد الرجال الأكثر تنزيلًا للتطبيقات من النساء، حيث تشير الدراسة إلى أن متوسط عدد التطبيقات التي يثبتها الرجل على جهازه الذكي هو عشرة تطبيقات، كما أوضحت الدراسة أن الرجال هم الأكثر اهتمامًا بالتطبيقات المدفوعة.

وأضاف أيضًا أن ٢٨ شخصًا من العاملين في قطاع الإعلام وقطاع التكنولوجيا ورجال القانون قاموا بإعداد بيان الخصوصية، عوضًا عن إعداده من قبل مسؤولي المشروع، كما تفعل محركات البحث الأخرى تبعًا لسياسة الشركة.

وقال كوكش إن استضافة المحرك البحثي الجديد تأتي من خلال ٣ أجهزة خادم في الولايات المتحدة الأميركية وسنغافورة وأستراليا، فيما سيتم الربط بينها من خلال الحوسبة السحابية.

وتظهر الصفحة الرئيسية للموقع ثلاثة تصنيفات رئيسية هي: بحث، صور، بريد. إضافة إلى وجود قائمة على الجانب الأيمن تحتوي على عدة أقسام بما فيها: أخبار، فيديو، مكتبتي، خرائط، الطقس، الترجمة، أضف موقعًا.

«جوجل» تعتمد اسم «فلسطين» بدلا من «الأراضي الفلسطينية»

اعتمدت شركة «جوجل» الأميركية في محرك البحث التابع لها تسمية «فلسطين» بدلًا من مصطلح «الأراضي الفلسطينية»، وذلك على صفحة المحرك الخاصة بفلسطين «www.google.ps»، في خطوة أثارت دهشة الكثيرين.

وأعلن الناطق الرسمي باسم «جوجل»، ناثان تايلر، عن ذلك رسميًا لهيئة الإذاعة البريطانية «بي بي سي»، وأكد تايلر أن هذا التغيير دخل حيز التنفيذ في الأول من شهر مايو الجاري، وأضاف أن الشركة بصدد تطبيق هذا التغيير على جميع منتجات الشركة.

وأوضح تايلر أن «جوجل» تقوم بالتشاور مع عدد من المصادر والسلطات عندما يتعلق الأمر بأسماء الدول، وأضاف، في هذه الحالة، فالشركة تتبع ما تقرره الأمم المتحدة UN ومنظمة «آيكان» ICAN وهي المنظمة المعنية بتوزيع وإدارة عناوين «آي بي» وأسماء النطاقات وتخصيص أسماء المواقع العليا، كما تتبع الشركة أيضًا، المنظمة الدولية للتوحيد القياسي ISO، بالإضافة إلى غيرها من المنظمات الدولية.

يُذكر أن الجمعية العامة للأمم المتحدة كانت قد منحت «فلسطين» في ٢٩ نوفمبر من العام الماضي ٢٠١٢، صفة دولة مراقبة غير عضو، بعد أن صوتت ١٣٨ دولة لهذا القرار وامتنعت ٤١ ورفضته ٩ دول من بينها أميركا وإسرائيل.

إطلاق تطبيق «مصحف المدينة المفسر»

أصدرت شركة «٧٠٠apps» المصرية المتخصصة في مجال تطوير تطبيقات الأجهزة المحمولة وبرمجة مواقع الإنترنت، تطبيقًا إسلاميًا جديدًا لأجهزة «آيباد»، أطلقت عليه اسم «مصحف المدينة المفسر».

وقالت الشركة التي تتخذ من مدينة طنطا مقرًا لها، إنه واستمرارًا لإصداراتها من التطبيقات الإسلامية التي تساعد المستخدمين على توفير سبل للمعرفة والعبادة، من خلال استخدام الأجهزة والهواتف الذكية، يأتي تطبيق «مصحف المدينة المفسر».

وأضافت حسب ما ذكرته وكالات الأنباء أن التطبيق الجديد يعرض المصحف الأكثر انتشارًا في العالم الإسلامي، ألا وهو مصحف المدينة المنورة، مصحوبًا بتفسير ميسر للآيات القرآنية، مع إمكانية الاستماع إلى التلاوة بأصوات مجموعة من مشاهير قراء العالم الإسلامي، وهم الشيخ سعد الغامدي، والشيخ عبد الرحمن السديس، والشيخ ماجد فاروق.

ويمتاز التطبيق بخصائص متعددة، منها الانتقال السريع إلى السور أو الأجزاء عن طريق قوائم في جانبي الشاشة، كما يقدم قائمة سفلية تسهل على المستخدم الوصول للوظائف الأكثر استخدامًا، كما يتضمن إمكانية استخدام العلامات المرجعية من أجل سرعة الوصول إلى موضع القراءة لاحقًا، كما يتيح مشاركة التطبيق على الشبكات الاجتماعية كفيسبوك وتويتر وجوجل بلس.

ويمكن لمستخدمي الحاسب اللوحي «آيباد»، تحميل التطبيق من متجر «آبل» للتطبيق، مع الإشارة إلى أن التطبيق يتطلب الإصدار ٥ وما فوق من نظام «آي أو إس».

القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:
info@alwaei.com
aelbarbary@live.com

إعداد : علاء عبد الفتاح

المبادئ أولًا

كلنا نشاهد هذه الهيمنة من الصراعات التي تدور على كل النطاقات وكل الآفاق.

وهذه الصراعات منشؤها الأول يتجسد في الصور الذهنية، والخلفيات الثقافية والاختلاف على القشور دون المبادئ.

ولو غصنا أكثر لوجدنا أن هذا الخلاف أيضًا، يصل إلى ضبابية الرؤية حول ماهية المبادئ وحقيقة كنهها.

فلو أن الناس اتجهوا إلى فهم المبادئ الكونية، وغاصوا في حقائقها التي لا تتبدل ولا تتغير -وخصوصًا أنها مبادئ كونية راسخة وتجتمع عليها كل الأديان، وكل العصور- فلن يختلف عليها أحد.

وكل خلاف يحصل في الكون، هو عبارة عن خلل في تطبيق المبادئ، أو ردة فعل، تحقيقًا لمقولة: إن لكل فعل ردة فعل، وكما تدين تدان، وفق الرؤية الشرعية المعروفة..

وعلينا أن نعود إلى المبادئ، ونبدأ من خلالها في تصحيح كل ما نريد تصحيحه، لنصل إلى حيث يجب أن نكون.

حمد عبدالعزيز الكنتي

الشفاء في تغيير النظرة!

بحثت عن طريقة تجعلني أكثر سعادة مهما كانت العوامل والظروف المعاكسة، فرأيت أن أغير نظرتي للأمور، فنحن لا نرى إلا ما نعتقد، كما قال «كارل روجرز عالم النفس الأميركي» وليس من الضروري أن يكون الاعتقاد حقيقة فعلًا، ولكنه رغم ذلك يوجه أفعالنا وسلوكنا، فإذا اعتقدنا أننا أصحاء أسوياء سعداء فسوف نكون كذلك، والعكس صحيح.. وإذا كنت أصلًا سلبيًا لا تستطيع تغيير الواقع فلماذا تنقد كل شيء من حولك، وتنظر للأمور نظرة تشاؤمية.. إذن عليك أن تكون إيجابيًا لكي تكون الحياة أكثر راحة وسعادة، لقد قال الدكتور صلاح مخيمر «الإيجابية وحدها هي الحبلى بأجنة المستقبل».

حيث إن طريقتنا في الإدراك والتفكير هي التي تصنع حياتنا وواقعنا، فإن كانت إيجابية مشرقة فسوف تكون الحياة جميلة ومليئة بلحظات السعادة والسرور، وإن كانت سلبية متحجرة فستكون حياتنا كئيبة مليئة بالانتكاسات ومشاعر الفشل.

د.خالد كمال

الكنيسة وإعلان حقوق الإنسان

يعد اللاهوتي هانس كونغ أبرز المنتقدين للوضع الراهن للكنيسة، إذ لم يتوان الرجل عن اتهام حاضرة الفاتيكان بخضوعها لمافيا لاهوتية، يتربع في وسطها المجلس البابوي. ولخص أزمة الكنيسة في ارتهانها إلى البراديغمات الدينية المتأتية من القرون الوسطى، ما جعل الناس ينفضون من حولها. ورغم أن كنيسة روما تزعم أنها منفتحة على العلمانية، ومتصالحة مع الحداثة، وألا خصومة لها مع المجتمع المدني، فهي لا تزال تصر على عدم المصادقة على إعلان حقوق الإنسان في المجلس الأوروبي.

لقد تعالت أصوات عدة دعت إلى ضرورة التطهر من تراث محاكم التفتيش، لتكون الكنيسة منفتحة وحداثية، فتلغي بموجب ذلك كل أشكال الحرمان والتخريس على من يُوسمون عادة بالهراطقة، وتنتهي عن اقتفاء أثر اللاهوتيين المناوئين، كحرمانها في البرازيل لليوناردو بوف، وفي هولاندا لإدوارد سكيلبيكس، وفي فرنسا لجاك بوهيي، وفي الولايات المتحدة لشارل كوران، وفي المجر لجورجيو لانتي.

د.عزالدين عناية -
أستاذ بجامعة روما لاسابيينسا في إيطاليا

فهم الآخر واحترام النفس

شغف عدد غير قليل من كتابنا بنتاج الحضارة الغربية، بل ألقوا أنفسهم في خضمها بحجة فهمها، وهو أمر جيد، لكن لا يساوي الانسلاخ من حضارتنا بحجة فهم الآخر أو معرفة كيف تقدم، ونحن ندرك في أعمق أعماق أنفسنا أننا لن نتقدم إلا إذا سلكنا طريق التمسك بديننا الحنيف الذي لا يمثل رحمة بأمتنا وحدها بل العالم كله، من نير الحروب والمتاهات والترهات التي تقوده المادة وأوهام القوة إليها، وصدق عمر بن الخطاب، رضي الله عنه إذ يقول: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فإن ذهبنا نبتغي العزة في غيره أذلنا الله.

إن رحلتنا نحو التقدم لتمر بفهم كيف حقق الغرب هذه المنظومة ومحاولة تجنيبنا وتجنيبه نير الكراهية والتعصب وما يؤديان إليه رفقًا ورحمة بالعالم وتحقيقًا لقول الله تعالى لرسوله ﷺ واتباعًا لهديه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(الأنبياء:١٠٧)، لكن يجب ألا يتناسى البعض أننا أمة صاحبة إرث حضاري بالغ الضخامة، وإن تدهور الحال بنا.. أما الغرب فقد احتكر لنفسه في العصور الأخيرة كل الصناعات التجميعية والتحويلية الموجهة للاستهلاك! أما الصناعات الكبيرة فقد أحكم قبضته عليها واحتفظ بأصولها لديه، إنه يبيع المحرك مثلًا ولا يبيع كيفية صنعه.. وهكذا.. والكلمات الأخيرة للشيخ محمد الغزالي، رحمه الله تعالى، الخلاصة في العلاقة بيننا وبين الغرب: لقد صعد الغرب السلم الحضاري على إرث قدمته له حضارتنا.

محمد ثابت توفيق

القلم

يكفيك فخرًا من الأسماء أنك القلم، ومهما تخفيت في الورى.. علم
وأول بدء الخلق قاطبة.. يوم كان الخلق كلهم في العدم!
مكرم على ذرى الأشهاد تبدو شامخًا
ولاشك أن المكرمين دائمًا هم الأول
إذا تبسمت على الصفحة البيضاء فاح عبيرها
وإذا صمت فصمت الراهب الفطن
وإذا غضبت فالنازلات صواعق منك.. ترمي وتحرق كل من جسروا
تبارك من أقسم بالقلم.

● **حسين المحمد**

ردود سريعة

● الدكتور ناصر أحمد اتضح أن البحث الذي أرسلتموه إلينا تحت عنوان «المرأة بين الزينة الحسية والزينة المعنوية» منشور باسم كاتب آخر، فلعله مسروق منكم أو غير ذلك، ولهذا لا يمكن إعادة نشره في مطبوعتنا.

● الأستاذ محمد فؤاد علي، عرضكم لكتاب د .مصطفى مشرفه «العلم والحياة» عرض قيم ولكن نود أن نلفت نظر سيادتكم والقراء الأعزاء إلى أن عروض الكتب تكتسب قيمة أكبر عندما تكون مواكبة لوقت صدورها، وفي انتظار مزيد من المعروض لأحدث الإصدارات مستقبلًا.

● الشيخ رسمي عجلان، مقالكم «الأمة بين التكفير والتدمير» مهم، ونتفق معكم في أنه يتوجب علينا الآن أن نولِّي وجوهنا وسواعدنا شطر البناء والتشييد، وإن اختلفت الأهواء، لأن مصلحة الوطن فوق كل الآلام.. ومع ذلك فنعتذر عن عدم نشر المقال، فقط لأن نفس المضمون نشر في مقال آخر قريبًا وفي انتظار مزيد من مساهماتكم القيمة.

● الأستاذ محمد فتحي النادي، بحثكم تحت عنوان النبي ﷺ وذوو الاحتياجات الخاصة.. بحث متعمق، وعدد كلماته أكبر من أن يستوعبها منشور في مجلة، نرجو اختصاره بمعرفتكم وإعادة إرساله على ألا يتجاوز ٢٤٠٠ كلمة.

القراء الأفاضل: لم يتسع المقام للتعقيب على كل ما وصل المجلة من مساهمات واقتراحات ونأمل في الأعداد المقبلة الإشارة إلى ما تيسر منها إيمانًا من إدارة التحرير بأن كل حرف يخطه قارئ «الوعي الإسلامي» له به علينا حق الرد مع الشكر والامتنان دومًا.

كلمات في الإنصاف والائتلاف

لا تعتقد أن مذهبك أفضل المذاهب.. فإنك لا دليل لك على ذلك.

الذهبي

التفريق الذي حصل من الأمة... أوجب تسلط الأعداء عليها.

ابن تيمية

إذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التباين والتحزب.. لم يضرّ.

ابن القيم

ما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر.

الإمام مالك

ننظر إلى ذات القول لا إلى قائله.. الحق حتى ولو كان قائله حقيرًا.

محمد الأمين الشنقيطي

إن الله ورسوله ﷺ أمرا بالجماعة والائتلاف، ونهيا عن الفرقة والاختلاف.

ابن تيمية

أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسي ألا أجهل عليه.

حاتم الأصم

المناظرة والمحاجة لا تنفع إلا مع العدل والإنصاف

ابن تيمية

الرسوخ في الإنصاف بحاجة إلى قدر كبير من خلق رفيع ودين متين.

بكر أبوزيد

ما غاب عني من الحق فبيّنوا لي... والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.

محمد بن عبدالوهاب

فإن كان الحق معي اتبعني، وإن كان الحق معه اتبعته.

الشافعي

أكثر الأئمة غلطوا في مسائل يسيرة مما لا يقدح في إمامتهم وعلمهم،.. فلقد انغمر ذاك في محاسنهم وكثرة صوابهم.

ابن رجب

من آفات علماء السوء.. يبالغون في التعصب للحق، وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار.

أبوحامد الغزالي

إذا ثبتت إمامة الرجل وفضله، لم يضره ما قيل فيه.

الذهبي

ليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكًا، فإن المنازع قد يكون مجتهدًا مخطئًا.

ابن تيمية

كلْ لكل عبد بمعيار عقله، وزن له بميزان فهمه، حتى تسلَم منه، وينتفع بك، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار.

الغزالي

من صحت عدالته، وثبتت في العلم إمامته.. لم يلتفت فيه إلى قول أحد.

ابن عبدالبر

الإسلام يدعو إلى الألفة والتحاب والتراحم والتعاطف، فكل رأي أدى إلى خلاف ذلك فخارج عن الدين.

الشاطبي

ينبغي لمن كان عبوسًا منقبضًا أن يبتسم، ويحسن خلقه، ويمقت نفسه على رداءة خلقه، وكل انحراف عن الاعتدال فمذموم.

الذهبي

خلاف الصحابة في الاجتهاد: وكانوا مع هذا أهل مودة وتناصح، أخوة الإسلام فيما بينهم قائمة.

الشاطبي

إسحاق بن بهلول الأنباري سمى كتابه كتاب الاختلاف، فقال له الإمام أحمد: سمّه: كتاب السَّعَة.

الطَبقات لأبي يعلى

الإسلام والإبداع الفني

حسن بن محمد - تونس

جاء الإسلام ليطلق الطاقات الإبداعية الكامنة في أعماق الإنسان، ويدفعه لاكتشاف قوى الكون وأسراره، ويحفزه على توظيف مواهبه توظيفًا حضاريًا لائقًا بالكرامة الإنسانية، ليقوم كل فرد في المجتمع بواجبه في المكان الذي يعمل ويبدع فيه، ولقد حث الإسلام على الإبداع المسؤول، ومنحه الحرية لكي يسمو بالإنسان ويرتقي به، وفي المقابل وضع لحرية الإبداع جملة من الضوابط، حتى لا يكون وسيلة لهدم قيم المجتمع وثوابته، ولقد استطاع المسلمون الأوائل أن يحققوا العديد من الإنجازات والاختراعات في ظل حرية الإبداع المسؤولة.

إن الدين الإسلامي لا يعارض الإبداع، أو الفن كوسيلة إبداعية تخاطب المشاعر والأحاسيس، وتعمل على تحقيق وتنمية الأهداف السامية داخل المجتمعات الإسلامية، وإنما يتحفظ فقط على الأعمال الفنية، أو الأدبية أو الفكرية التي تعمل على هدم الثوابت الدينية، والقيم الاجتماعية، مثل المساس بالذات الإلهية، أو نقد الرسول ﷺ، أوالسخرية من الأديان السماوية، أو نشر أفكار الانحلال والفساد الأخلاقي والاجتماعي.

لقد أعطى الإسلام أتباعه مساحة كبيرة من الحرية المنضبطة بتعاليم الدين، والتي من أهم مبادئها إعطاء الفرد حرية الفكر والإبداع، والتعبير عن الذات مع الحفاظ على قيم وثوابت المجتمع، وحمايته من الأفكار التي من شأنها الاعتداء على الأعراض وإثارة الغرائز، أو الاعتداء على قدسية الذات الإلهية، كما أن الإسلام لا يعارض الأدب والشعر والقصة والرواية، وغيرها من الفنون التي تخاطب العقل، وتعلي قيمة الفكر، وتؤدي للعلو، واحترام القيم الإنسانية النبيلة.

أما الفن أو الإبداع الهابط الذي يخاطب أساسًا الغرائز، ويعتمد على الإسفاف والسطحية، فهو سبب تخلف الأمة، والانحراف بفكر الشباب، وهذا ما يرفضه الإسلام، ويحاربه بشتى الوسائل، حيث إن الإسلام يرى أن الانطلاق الصحيح للإبداع الذي ينهض بالمجتمع يتمثل في التربية الإيمانية التي تربط المبدع بأصول وقيم دينه، فالإنسان يتحول إلى طاقة هائلة من الإبداع والعطاء، عندما يقوم إبداعه على أساس من الإيمان، والصدق، والوضوح، والوعي الصحيح. كما أن الإسلام يحرس الكيان الإبداعي للمجتمع بالنهي عن كل إبداع يؤدي إلى إسراف وتبذير، وإهلاك للنعم والثروات التي يمتلكها الإنسان، فضلًا عن أنه يهتم بالبيئة المشجعة على الإبداع، ويرغب في تحصيل ثواب الدنيا والآخرة لمن عمل صالحًا، وذلك ليتحمس المبدع للرسالة التي يحملها، ويدخل عالم النجاح الواسع، فتمتلئ الحياة بالإيجابية والخير، ولا يتوقف قطار الإبداع.

إن الإسلام يشجع كل إبداع ينفع الناس، كما أنه يشجع كل تقنية تؤدي لازدهار الحياة مع التمسك التام بالخصوصية الحضارية الإسلامية التي تحمي مجتمعاتنا من الانفلات، وضياع هويتنا الحضارية، ومن ثم، فإنه من الضروري الرقي بالفنون وتوظيفها في خدمة رسالة الأمة.

لقد خلق الله تعالى الإنسان ليكون خليفة له في الأرض، ولهذا أمده بإمكانات لم يؤتها أحدًا من خلقه، فقد آتاه العلم ليشجعه على الابتكار والإبداع الذي يتخذ مظاهر كثيرة، منها الإبداع الفكري، والعلمي، والفني.

مجلة

الوعي الإسلامي

تهديكم جديد إصداراتها

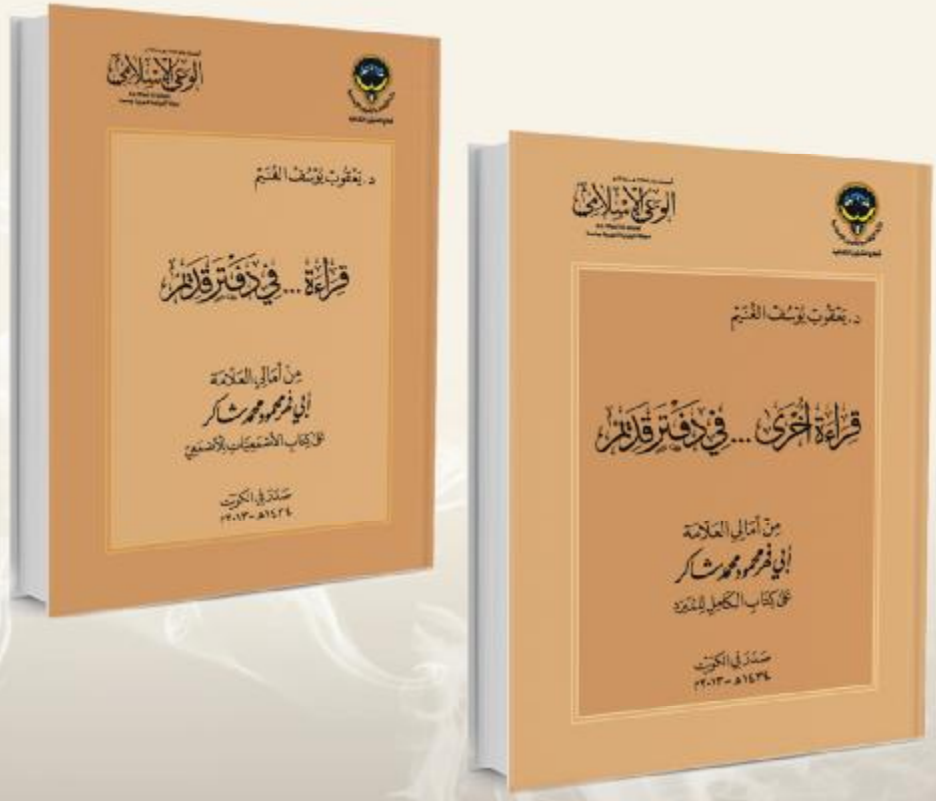

وزير التربية الكويتي الأسبق د. يعقوب الغنيم
يكتب قراءاته في دفتر قديم لأستاذه العلامة
محمود شاكر رحمه الله

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ الكويت هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
البريد الالكتروني: manager@alwaei.com - info@alwaei.com

الوعي الشبابي

للقيمة معنى...

www.shabab.alwaei.com

- مواضيع حيوية ومعاصرة
- حوارات حصرية مع الشباب المبدعين
- مقالات لأبرز الكتاب الشباب

«الوعي الشبابي» مجلة شبابية
إلكترونية تصدر عن مجلة «الوعي الإسلامي»
رئيس التحرير: فيصل يوسف العلي

البريد الإلكتروني
info@shabab.alwaei.com

للتواصل زوروا موقعنا
www.shabab.alwaei.com